

**الإبادة والتنجير والتوطين في
الدولة العثمانية وورثتها**

ج 1

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الإلكتروني

E _ mail: unecriv@net.sy
aru@net.sy

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت
<http://www.awu.sy>

الإخراج الفني: وفاء الساطي

عدنان محمد مصطفى قبرطاي

الإبادة والتطهير والتوطين في
الدولة العثمانية وورثتها
ج 1

سلسلة الدراسات (3)

2020

منشورات اتحاد الكتاب العرب

دمشق

اهداء

إلى كل من يرنو ببصره وبصيرته إلى الحقائق دون تزييف .
إلى كل من ضحى في سبيل قومه ووطنه وأرضه بروحه وجهده وماله .
إلى الشعوب المنكوبة جراء الإبادة والتهجير والتوطين من قبل العثمانيين أولاً ثم من قبل
الجمهورية التركية .
أقدم هذا الكتاب (راجياً أن تكون لبنة في بناء كبير) بمثابة باقة من الزهور ، آملاً أن لا تذبل
أضعها منحنياً على مثوى شهدائنا الأبرار على قمة قاسيون ، الأحياء عند ربهم يرزقون .

البحث وأهميته

تأتي أهمية هذا البحث من التعرّف إلى جانب أسود مظلم مهمل من تاريخ الإمبراطورية العثمانية غير المشرفة في المنطقة العربية بشكل عام وفي بلاد الشام بشكل خاص، إذ تعودنا عموماً مطالعة سلسلة الوقائع السياسية والعسكرية لها فقط، مع أنه لفهم أحداث ووقائع التاريخ فهماً عميقاً وجيداً يترتب دراسة البنية الداخلية، والأنظمة الحقوقية والاقتصادية والإدارية التي تسود مختلف فئات الشعب، وأشكال العلاقات بين الحكومة والشعب بل الشعوب الأخرى في الدولة وخارجها وخاصة الدول الواقعة على حدودها. وفي هذا الإطار اخترت دراسة هذا الموضوع، في تاريخ الإمبراطورية العثمانية وما بعدها، أي وريثها الجمهورية التركية الحالية، لأن هذه السياسة لم تدرس في المنطقة العربية كما يجب على ما أظن، واخترت أن أدرس هذه السياسة مقرونة بأمثلة، كعيّنات واقعية حدثت فعلاً في الإمبراطورية العثمانية في كل مراحلها التاريخية الطويلة، وما بعد الدولة العثمانية على حدودها الجنوبية الحديثة التي كانت نتيجة لمعاهدتي سيفر ولوزان، وخاصة في منطقة ولاية حلب وولاية سورية، نظراً لارتباطهما بما يحدث في هذه الأيام على حدود الجمهورية العربية السورية من عدوان تركي أردوغاني موصوف على حدودها الشمالية والشرقية والغربية بل في كل سورية العربية..

مشكلة البحث:

تأتي المشكلة من العقلية المتخلفة، لسياسي الإمبراطورية العثمانية أولاً، ثم في عقلية وتفكير ورثتها في الجمهورية التركية المأجورة والمرتهنة للغرب الأوربي والأمريكي معاً، منذ بداية حكم يهود الدونمة فترة سيطرة حزبهم (الاتحاد والترقي) وزمن قائدهم المفضل مصطفى كمال

أتاتورك، وحتى الآن زمن من تقمّص تلك السياسات العثمانية والأتاتورية المتناقضة، زمن رئيس النظام التركي الحالي رجب طيب أردوغان، الذي يتخيل نفسه تارة السلطان العثماني الجديد، وتارة أخرى أتاتورك نفسه، ويعمل على إعادة إنتاج سياسات الامبراطورية العثمانية البالية والمخرّبة، في المنطقة العربية عموماً، وعلى حدودها الجنوبية، مع الجمهورية العربية السورية والعراق خصوصاً، وأقصد هنا إعادة سياساتهم القديمة في التهجير والتوطين والإسكان بل الإبادة بعد ارتكابهم جرائم الحرب بكل أشكالها والتي باتت معروفة للقاصي والداني في هذه الايام..

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى تحقيق الآتي:

1 - العودة إلى مراحل التاريخ العثماني القديم، لنتبيّن سياستها الإسكانية والتوطينية والتهجيرية والإبادة، وبعض المجازر التي قامت بها.. منذ تأسيسها قبل أقل من ثمانمئة عام خلت، وصولاً إلى هذه الأيام التي تحاول فيها تركيا أردوغان سلطان تركيا، أن تقيم منطقة آمنة لها في الشريط الحدودي من الأرض العربية السورية، طولها يزيد عن تسعمائة كيلومتر وعرضها يزيد عن /30/ كيلومتر بحجة حمايتها من منظمات كردية تسللت من تركيا نفسها إلى الأراضي السورية وتعدّها هي ارهابية، وإسكان أكثر من مليوني مهجرّ سوري ساهمت هي نفسها بتهجيرهم إليها، بغية استخدامهم بما يخدم أهدافها وأطماعها الاستعمارية البغيضة، ولتحدث تغييراً ديمغرافياً واضحاً لا لبس فيه في المنطقة، يخدم أهدافها القريبة والبعيدة، جرياً على عاداتهم في السياسات القديمة للدولة العثمانية المنهارة، وما تلاها في سياسات الجمهورية التركية الحالية..

2 - إيراد أمثلة حيّة موثّقة كل التوثيق، عن سياساتهم التهجيرية والتوطينية والإبادة السكانية في مراحلهم التاريخية المختلفة والمتباينة، منتقاة لأزمنة متفاوتة قديمة ثم حديثة (مورست ضد أمم وشعوب مسلمة ومسيحية على حد سواء)، فعلى سبيل المثال لا الحصر تآمرهم وإقدامهم وعملهم على تهجير الأمة الشركسية من وطنها الأزلية شركيسيا في

القفقاس الشمالي، إلى مختلف أنحاء الدولة العثمانية المترامية الأطراف، ثم إهمال المهجّرين على الأرض العثمانية، وخاصة على سواحلها البحرية الكثيرة، اهمالاً قاتلاً سببت هلاك وموت مئات الآلاف من الشراكسة المهجّرين.. ثم بعثت من تبقى منهم حياً، في أرجاء أوروبا وآسيا وإفريقيا.. ثم استخدمهم كملاطٍ إحكام في بناء جيشها المتخلف المتداع وصولاً إلى هذه المرحلة التاريخية أي مرحلة المتسلطن الجديد رجب طيب أردوغان وأعماله ضد الشعب العربي السوري والدولة السورية بشكل عام..

3 - هذه المواضيع تعرّفنا على بعض ما نجهله، وتزيل بعض الضباب والتشويش الذي يلفّ ويكتنف بعض المعلومات الشفهية، المتوارثة عن العشائر والقبائل والشعوب التي هجّرتها الدولة العثمانية بل أبادتها، واستقدمتهم من خارج الحدود العثمانية وداخلها، وأسكنتهم في سورية العربية وغيرها، إبان الحكم العثماني الطويل الذي استمر زهاء أربعة قرون، والتي شكّلت فترة انحطاط مؤلمة ومظلمة في تاريخ بلادنا العريقة عراقية التاريخ المكتوب.

4 - إظهار وتوضيح أن التاريخ ليس علم الماضي فحسب، بل هو علم الماضي والحاضر والمستقبل أيضاً، لنتعظ ونستخلص العبر والدروس من تلك الأحداث الدراماتيكية، فعلياً الاستفادة من ذلك كله، أثناء التخطيط لما سوف يكون من سياساتنا الوطنية القادمة، لمواجهة سياسات ورثة العثمانيين وحلفائهم الحاليين في تركيا أردوغان، وفهم أهدافهم الاستعمارية القديمة والحديثة في بلادنا فهماً صحيحاً، فبلادنا في نظرهم ومخططاتهم تقع ضمن ما يتصورونه جزءاً من دولتهم الاستعمارية القديمة كما يزين لهم أحلامهم الشيطانية، ويودون أن يتعاملوا معنا على هذا الأساس! آملين أن لا يلقوا منا أي مقاومة أو معارضة، متناسين أن من ميزات وطننا العربي السوري العظيم أنها دمجت بل صهرت بقايا ومخلفات كل الغزوات والاجتياحات والتهجيريات القديمة الماضية، من فرنجية ومن مغول وتتار ومماليك وعثمانيين، (وصولاً إلى عهد الاستعمار الفرنسي البغيض المطرود من وطننا الغالي والمقدس)، في بوتقة واحدة فريدة ومميّزة

اسمها الجمهورية العربية السورية، بعد أن هزمت كل الشعوب المعتدية على هذا الوطن المقدس.

5 - توضيح وإظهار أن المفاوضات التي أجراها " جورج بيكو " (مصطفى كمال أتاتورك) بتاريخ / 5 - 6 كانون أول 1919م/ أن مصطفى كمال أتاتورك كان قد طالب ليس فقط بكليزيا السورية بل أيضاً بمنطقة - الاسكندرونة السورية - والجزيرة وحب السوريتان - ومنذ تلك الأيام تخصص الدولة التركية ليرة تركية واحدة في ميزانيتها المالية السنوية لضم حلب وإدلب والموصل.. وتنتظر مرور مئة عام على المعاهدات الدولية، التي فرضت عليها من دول الحلفاء بعد الحرب العالمية الأولى، كمعاهدتي " سيفر ولوزان " لتتحلل من قيودها المفروضة عليها. ومنه نعلم ونتأكد من استمرارية أطماع تركيا بالأراضي العربية السورية بل العراقية والليبية أيضاً..، ومنه نعلم أيضاً إلى ماذا كانت تهدف سياساتهم التهجيرية والتوطينية في المناطق العربية السورية والعراقية، ومنه نعلم ونستشف ماذا يهدف أردوغان في هذه الأيام من تطبيق سياساته التهجيرية والتوطينية على الشريط الحدودي السوري بل بالعمق السوري..! وأخيراً وليس آخراً عندما تجد في هذا البحث اسم قوم ما، أساء قادتها إلى شعوب وأمم أخرى، علينا أن ندرك بأنني لا أتحدث عن كل هذه القومية بشكل سلبي، بل أقصد بكل تأكيد الحكام والقادة والمتسلطين على تلك الشعوب المقهورة في حينها.

مقدمة المؤلف

ليست الإبادة بالضرورة في غرف الغاز أو نووية أو كيميائية أو جرثومية أو بيولوجية.. فالاستعمار العثماني البغيض كان له السبق منذ القدم في مجالات شتى مثل الإبادة وتهجير وتوطين الشعوب المستضعفة والمقهورة وإحلال العنصر الطوراني مكانها، وارتكاب المجازر بأسلوبهم الخاص والمميز والمبتكر ماضياً وحاضراً.. دعونا نعود إلى المعارك الكبرى غير المتكافئة للشعوب المستضعفة، مع جيوش كثيرة في ظل مبدأ (الحق للأقوى) المرادف لقانون الغاب، عندما كانت السمكة الكبيرة تأكل السمكة الصغيرة، والدول الكبرى تبتلع الشعوب الصغيرة بل تهضمها، حينما كانت جيوش أوروبا شرقيها وغربيها قد انطلقت من عقالها، إلى أطراف الدنيا الأربعة، وبيدهم الأسلحة النارية المتطورة، يلعبون بها كأولاد أسيئت تربيتهم، تارة بحجة الحفاظ على خطوط المواصلات العالمية، أو ذريعة نشر الحضارة والمدنية، أو التبشير بالدين المسيحي وغيرها من الأديان، أو تطبيق المبادئ الإلحادية والنظريات الموغلة في المادية، أو متسلحة بنظرية المجال الحيوي، أو متحججة بذريعة وجود أمة ما أضحت تشكل خطراً على حدودها، وأخيراً حجة القضاء على من يقف في طريق العولمة والتجارة الحرة، والحفاظ على النظام العالمي الجديد ذات القطب الواحد، وللمحافظة على مميزات الفوضى الخلاقة؟! وأخر تلك الحجج هي مكافحة الإرهاب غير المعرف، (واتهام الشعوب المقاومة ضد الاستعمار لاسترجاع حقوقها الثابتة بالإرهاب..) مع أن تلك الدول الغربية هي من صنّعت الإرهاب ودرّبهم وسلّحهم ومولّهم..! من يستطيع تصور الكم الهائل من الأرواح البريئة التي أزهقت وستزهق في قارات العالم كلها، بعد أن انطلق وحش الفكر الاستعماري وعملائهم (شرقيها وغربيها من عقاله

وأنتج الارهاب الأسود ، الذي نعيشه في سورية والعراق وليبيا.. منذ تسعة سنوات ونيف)، ومن يعرف عدد الذين هجروا من أوطانهم وقضوا نحيم على دروب التهجير القسري، خاصة إذا كانوا مسلمين، ومن يعرف عدد المحتلين والمستوطنين الذين حلوا في أرضهم وبيوتهم خاصة في فلسطين العربية على سبيل المثال لا الحصر، في وقت لم يكن قتل الإنسان في تلك الأيام الحالكة السواد يمثل السهولة التي غدا عليها اليوم، بعد اختراع أسلحة الدمار الشامل أو ما شابهها من الأسلحة الفتاكة والذكية. في الماضي البعيد كان الجنود القتلة يرون وجوه ضحاياهم في معظم الأحيان، في حروبهم الاحتلالية الاستيطانية والإحلالية ضد الشعوب المظلومة والمستضعفة والمقهورة، أما في هذه الأيام ما على الجندي سوى الضغط على زر الإطلاق، ليقتل من الأبرياء والأطفال والنساء ما لا يعدّ أو يحصى دون أن يراهم أو يعرفهم. علينا أن نتساءل عن حجم الجهود الكبيرة التي بذلتها الإمبراطورية العثمانية، وصانعو القرارات الاستعمارية في الأستانة وغيرها منذ قرون وحتى الآن، من أجل أن يجعلوا من جنودهم أناساً قادرين، ليس على مجرد القتل وهم ينظرون إلى وجوه ضحاياهم الأبرياء مباشرة، وإنما يقتلونهم وهم يجدون متعة في ذلك تشبه متعة الصياد، وهو يصطاد في الغابات والجبال والصحاري بل في المدن العامرة، لمجرد اللهو والتسلية ولإرضاء السلطان القابع في الأستانة (وفيما بعد في أنقرة)، مدعياً أنه خليفة العالم الإسلامي، والإسلام منه براء، فهم من استخرجوا فتوى دينية بجواز قتل الإخوة في سبيل الحفاظ على الحكم.. ولم يعرف التاريخ أن أحداً من هؤلاء المغتصبين للخلافة قد حج لبيت الله الحرام، وهو الركن الخامس في الإسلام. ولا يستطيع أحدهم أن يدعي بأنه كان غير قادر على أداء الحج، وهم الذين أمضوا حياتهم مع الجواري المسروقات والمخطوفات، من بلاد الأمم التي كانوا يحتلونها ويهجرونها ويستوطنونها.. ونعلم أنه كان أعشار ولاية سورية كلها على سبيل المثال تصرف على واحدة فقط من زوجات (الخليفة) السلطان العثماني. في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مارس العثمانيون وأتباعهم، ضد الأمة الأديغية الشركسية، إبادة جماعية من نوع خاص، متلائمة مع أفكارهم

ومبادئهم الاستعمارية المتطرفة والمتعصبة، وأطماعهم التوسعية الجشعة كان بدون حدود، بمعزل عن مراقبة الأنظار.. وبمنأى عن المحاسبة، في وقت لم يكن هناك إعلام مرئي أو مسموع أو حتى مكتوب (سوى ما يكتبه أداة الإبادة، القادة العسكريون أنفسهم إلى رؤسائهم وبكواتهم وباشواتهم.. أو ما يكتبه الأدباء العثمانيون في رواياتهم وأشعارهم وتاريخهم المزيّف الذي يتفاخرون به، من خلال وجهات نظرهم طبعاً..) وفي ظل عدم تواجد أية منظمة عالمية نزيهة، تهتم بأمور الشعوب والأمم المستضعفة والمغلوبة على أمرها في تلك الأيام، لقلّة عددها ولوقوعها الجغرافي في الاستراتيجي، مارس العثمانيون كل ما يروق لهم بحق الأمة الشركسية العريقة، بعد أن عملوا على تهجيرهم إثر تأمرهم مع السلطات القيصريّة.. وبعد ذلك بنصف قرن مارس العثمانيون ضدّ الأمتين الأرمنية والآشورية وغيرهما من الشعوب والأمم سياسة التهجير والتوطين بل الإبادة.. بتاريخ 1864/5/21م/ أعلن نائب القيصر عن انتهاء الحروب، بين الشركسة والقيصرية الروسية، وعمل على تهجير وطرده أربعة أخماس من تبقى حياً في وطنه (بعد أن اتفقت وتآمرت مع السلطات العثمانية)، إلى مختلف أنحاء الدولة العثمانية، لتستخدمهم وفق مصالحها المتعددة.. وخلاصة القول ماتت مئات الآلاف من المهجّرين الشركسة قبل مغادرة الشواطئ الشركسية على الساحل الشرقي للبحر الأسود، من الأوبئة والجوع والبرد القارس التي أصابتهم في ظل الظروف التي وضعوا فيها على تلك الشواطئ الخالية من كل مظاهر الحياة، وخالية من وسائل المعيشة لشهور عديدة وصلت إلى عام كامل في حالات كثيرة لعدم توفر وسائل النقل البحرية اللازمة لترحيلهم وتهجيرهم.. لقد أجبر أكثر من مليونين في المتوسط من الشركسة على مغادرة وطن آبائهم وأجدادهم إلى الإمبراطورية العثمانية، وبسبب الإهمال القاتل من الجانب العثماني مات منهم أكثر من نصف مليون، بسبب عدم التحضير الجدي لمثل هذه الموجات الكبيرة من المطرودين والمهجّرين، وتستمر المعاناة وتزداد المآسي والنكبات تحرق وتغرق سفن كثيرة وهي محمّلة بالآلاف المهجّرين، ويزداد انتشار الأوبئة والأمراض فيهم، ويموت مئات الآلاف من العطش والجوع

والإرهاق والأوبئة والإهمال والتقصير على السواحل التركية.. في تلك الأيام السوداء، نفذت العثمانية الباغية أبشع عملية إبادة جماعية للجنس البشري في التاريخ، إذ دمّرت أمة منكوبة بكاملها، ووضعتهم على سكة الانقراض والضياع إلى الأبد، (حين هجّرت ما تبقى منهم حياً على شواطئها،) إلى مختلف أنحاء إمبراطوريتها المترامية الأطراف في ثلاث قارات.. ولن يجرؤ أي مؤرخ نزيه أن يكتب عن تلك الجرائم التي كانت ترتكب، وتمارس ضدهم والتي يندى لها جبين الإنسانية خجلاً.. لقد قتلوا بإهمالهم المعهود وتقصيرهم المعروف والمتعمّد، مئات الآلاف من الشعوب الشركسية المسالمة التي كانت فوق أرضها الأزلية بعد أن عملت على تهجيرهم وإفراغ وطنهم من سكانها لأغراضهم الدنيئة، ومورست ضدهم سياسة تهجير وإسكان وتوطين جائرة، (تخدم أهدافهم الاستعمارية) وتكرر ذلك التهجير بحقهم، لمرات عديدة متعاقبة في مناطق متعددة من الدولة العثمانية.. وجراء ذلك انقرضت قبائل شركسية عديدة وعشائر كثيرة، مما كان متبقياً منهم حتى التهجير الكبير تلك، للشعوب الشركسية القديمة قدم التاريخ المكتوب..، وذلك لاستغلال هذه الشعوب المنكوبة، والتميّزة بشكل خاص في المجال العسكري والاقتصادي.. لمصاحها الخاصة، وقامت بإعدام كل من خالف رغبتهم في عملية التهجير والتوطين ووقف ضدها.. وعلى البر التركي انتشرت عشرات المقابر الجماعية للشراكسة الذين قضاوا منذ الأيام والشهور الأولى من وصولهم إليها، بسبب الأمراض والجوع والبرد والإهمال.. وجنّد الأتراك عشرات الآلاف منهم في الجيش العثماني المريض والمتخلف، فوراً بعد التهجير، ليحارب بهم في أماكن مختلفة في بقاع الإمبراطورية العثمانية.. في وقت كانت فيه الشعوب الشركسية تهيم على وجوهها في مختلف المناطق المقفرة والتي استوطنت فيها الأوبئة القاتلة.. في أماكن التوطين التي كان سكانها الأصليون قد هجروها سابقاً.. والتي أعيد إسكان الشراكسة المهجّرين فيها لأهداف تخصّ الدولة العثمانية وتخدم سياساتها التوطينية دون النظر للحالة الصحية في تلك المناطق الموبوءة... ويموت مئات الآلاف منهم مرة أخرى، أثناء إعادة تهجير الشراكسة الذين أسكنوا في مختلف

بقاع البلقان الشائرة على الدولة العثمانية بعد /17/ عاماً من تهجيرهم الأول، تحت ظروف قاسية للغاية. إذ كانت ظروف المنفيين بالغة الصعوبة في هذه المرة أيضاً، وفرضت الدولة العثمانية هذه المرة أيضاً تعتيماً متعمداً على أخبارهم وأحوالهم.. ولو لم يرسل قناصلة وسفراء الدول الأوربية بتقاريرهم المؤتقة لحكوماتهم، لضاعت كل الممارسات والإهمال التي مارسها العثمانيون وغيرهم بحق المهجرين الشراكسة في المرتين..



في ذكرى يوم الحزن الشركسي في /1864/5/21م/ يلقي الشراكسة كل عام في البحر الأسود بسواحل تركيا باقة من الورد إحياءً لذكرى من قضوا من المهجرين الشراكسة.



كلينتون وبوش الاب وبوش الابن واوباما
وازواجهم غزو 9 دول اسلاميه وقتلوا 11
مليون مسلم خلال 23 سنه من حكمهم ولم
يصفهم احد بالارهاب وكله بالقانون اقصد
قانون سكسونيا*

الباب الأول

**سياسة الإبادة والتهجير والتوطين في
الدولة العثمانية منذ القدم**

الفصل الأول

التهجير والتوطين في ولايتي حلب وسورية أثناء الحكم العثماني لهما

المبحث الأول

تمهيد:

كان شعور الترك الطورانيون على مدار تاريخهم بنوع من التفوق العنصري الشوفيني، وللتأكد من أن سياسة الرئيس التركي أردوغان حيال الحرب الكونية التي تشن على سورية المقاومة منذ تسع سنوات. والتأكد من أن هذه السياسة لا تخرج بشكل من الأشكال عن السياسة التي كانت الدولة العثمانية تتبعها على الدوام حيال إبادة الشعوب والتوطين والتهجير الداخلي والخارجي منذ قرون عديدة.

لابد من إيراد بعض المعلومات التاريخية الموثقة كأمثلة في هذا المجال لنثبت من أن أردوغان (المتعالي على بقية الشعوب غير التركية والذي يشعر بنوع من التفوق العنصري الشوفيني، ولا غرو في ذلك فمن قبله مصطفى كمال أتاتورك قد محا كل القوميات والشعوب التي تعيش في تركيا عندما صرّح أن تركيا لا يعيش فيها غير الأتراك.. متجاهلاً القوميات الأخرى ومنعوا التحدث بغير اللغة التركية بل اعتبر القانون التركي في تلك الأيام أن التكلم بغير التركية جريمة يعاقب عليها مرتكبها..) اسوة بأجداده القدماء المتعاليين أيضاً، فهو ما زال يسير ويستمر على النهج نفسه. ويمكن تبين شعور الأتراك منذ القدم، بالسلطة والتفوق وبأنهم أصحاب رسالة في عدد من النصوص التاريخية منذ القدم، أكثرها مدعاة للاهتمام نص كتبه شخص تركي من (كشغر) حوالي عام /1072م/ في مقدمة كتاب عن اللغة التركية يقول فيه ما يلي:

((لقد رأيت أن الله قد جعل شمس الإمبراطورية تشرق في منازل الأتراك، وجعل أفلاك السماء تدور حول مملكتهم. أعطاهم اسم الترك ومنحهم الملك، وجعلهم ملوك العصر، ووضع في أيديهم مقاليد الناس، في هذا الزمان وفضلهم على البشرية..))⁽¹⁾. وفي هذا السياق جاء في كتاب السلطان سليم إلى السلطان طومان باي الذي يقول فيه ما يلي: ((... أما بعد _ فإن الله قد أوحى إليّ أن أملك البلاد شرقاً وغرباً، كما ملكها الإسكندر ذو القرنين..)). وفيها وعيد وتهديد للسلطان طومان باي: ((.. وإن لم تدخل تحت طاعتنا، أدخل إلى مصر وأقتل جميع من بها من الجراكسة حتى أشق بطون الحوامل وأقتل الأجنة التي في بطونهن من الجراكسة..))⁽²⁾. ومن هذا القول نجد أنهم تبوّأ مبكراً الفكر التلمودي والصهيوني الذي مفاده أنهم شعب الله المختار..

تحت عنوان (دولة الترك) كتب ابن خلدون ما يلي: ((.. وعددنا منهم أيضاً – الغور والخزر والقفجاق ويقال الخفشاخ ويمك والعلان ويقال اللان وشركس⁽³⁾ وأركش... وقال صاحب كتاب – زجار – في الكلام عن الجغرافيا، أجناس من الترك كلهم وراء النهر إلى البحر الظلوم وهي... وأما مواطنهم فإنهم ملكوا الجانب الشمالي من المعمورة في النصف الشرقي منه، قبالة الهند والعراق في ثلاثة أقاليم هي: السادس والسابع والخامس.. وهم رحالة مثلهم وأهل حرب وافتراس ومعاش من التغلب والنهب.⁽⁴⁾)).

(1) محمود كاشغري – ديوان لغات الترك (طبعة مصورة – أنقرة سنة 1941م) ص2.

(2) بدائع الزهور: ج 3 ص 83.

(3) هنا أخطأ ابن خلدون في عدّ الشركس من الترك، فالترك من العرق الأصفر والشركس من العرق الأبيض، والغرب يصف العرق الأبيض بالعرق القوقازي. واللغة الشركسية مؤلف من ستين حرفاً معظمها حلقية لا يستطيع التركي حتى لفظها وإن أجهد نفسه، وعدد أحرف اللغة التركية هي أقل من اللغة العربية، وثلاث كلمات اللغة التركية فارسية والثلاث الأخر عربية.. المؤلف: عدنان قيرطاي.

(4) تاريخ ابن خلدون – تأليف عبد الرحمن بن خلدون (732 - 808 هجرية) المسمى:

==

لقد مارس الترك أدواراً معقدة في التاريخ السياسي البشري لبعض المناطق خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين باسم الترك (Turks) ، وفي المصادر البيزنطية فإن كلمة (Tourkoi) تعني (Magyars) أي المجري، لذا فإن مصطلح (الترك) عند العديد من المؤرخين المسلمين غير مضبوط في معناه بشكل كامل، وكانت (الشاهنامه) من أولى المصادر الإيرانية التي أعطت إشارات كافية عن العرق الطوراني التركي، الذي نما بصعوبة بالغة وغداً مسيطراً على عالم شاسع باسم الترك.

في حقيقة الأمر فإن هذه المجموعة من الشعوب التركستانية تعود في أصلها إلى الأجناس الصفراء، والأجناس المعنية هي مغول الشمال والوسط والجنوب وهم المغول الأصليون وقسم من الصينيين والتبتين (وكلهم من السلالة المغولية والتتارية التي اجتاحت قسماً كبيراً من العالم القديم..).

استوطن الترك بشكل مؤكد واستقروا عند حدود ترانس أوكسانيا السامانية وخوارزم، على مر أجيال عدة قبل الفتح الإسلامي لتلك الأقاليم البعيدة في القرن الثامن الميلادي، ويرى كل من المؤرخين فري وسايلي بأن النزوح الأعظم للترك نحو الغرب كان في أواخر القرن السادس الميلادي.

وقد واجهت تلك الجماعات التركية الحقيقية في القرنين التاسع والعاشر الميلادي ضغوطات قوية، خارج تخوم دار الإسلام وكانت لم تنزل قبليية بعد. وكان من أشهر تلك الجماعات القبليية: الأوغوز (Oguz) وبعد ذلك القبجاق = (القفجاق) = (Qabchag) لقد كانت موجة الأوغوز هي الموجة التركية الأخيرة في القرن الخامس الميلادي، إذ بدأوا ينتشرون في مناطق الاستبس، وهناك فروقات واضحة في كل من لغة الترك والأوغوز ولغة القبجاق مثلاً. وكثيراً ما وصف الشعبان الأخيران بـ (التركمان)

ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر - (1332 - 1406م) الجزء الخامس - دار الفكر للطباعة والنشر - مراجعة خليل شحادة وسهيل زكار - ص /426/.

تميّزاً عن الأتراك. إن أول من ذكر الأوغوز في الأدبيات الإسلامية هو المؤرخ البلاذري عام 892 م/، إذ بدؤوا يزحفون على السلطة على حساب التراخي العربي. وانبثقت على أيديهم في التاريخ الإسلامي عدة دول قوية، كان من أشهرها دولة سلاجقة الروم، والدولة التيمورية في سمرقند ((وكان في عسكر تيمور، من الترك عبدة الأصنام، وعباد النار من المجوس الأعجام، وكهنة وسحرة، وظلمة وكفرة، فالمشركون يحملون أصنامهم والكهان يسجعون كلامهم، ويأكلون الميتة والدم المسفوح، ولا يفرقون بين مخنوق ومذبوح، وزواج خراصون ينظرون في ألواح الظآن (عظام لوح الخاروف) ويحكمون بما يرون فيها على أحوال كل مكان...))⁽¹⁾ .

ومن الجدير بالذكر أن كل سلاطين الدولة العثمانية لم يحجوا إلى بيت الله في مكة كما قلنا سابقاً؟ وهذا أمر غريب من الذين كانوا يحسبون أنفسهم من خلفاء المسلمين بعد اغتصابها من الخليفة العباسي الذي اصطحبوه معهم عنوة إلى الأستانة بعد احتلال القاهرة، إثر سقوط الدولة الشركسية عام 1517م/ وأجبروه على التنازل للسلطان سليم العثماني، الذي لا يتوفر فيه الشروط الشرعية للخلافة وهو قاتل / ستين أخاً له /، وكان جل سعيهم البحث عن زوجات من الأوربيات لتحسين بل تغيير صفاتهم البيولوجية التي هي من العرق الأصفر في المنظور البعيد..؟ وكذلك فعل الكثيرون من الأتراك أيضاً..

– ووصف أمة الترك الطورانيين الرحّل أنهم أقرب إلى المغول في وصفهم الأثني وصفاتهم الجسدية هي أقرب ما يكون إلى (السلالة المغولية) المعروفين تماماً (فالمغول ذو رؤوس عريضة ووجنات مرتفعة وبارزة بروزاً جانبياً، وفك بارز قليلاً وأنف قصير جداً وعريض ومنبسط، وحوajib منخفضة ومقوسة قليلاً، وعيون صغيرة سوداء ضيقة منحرفة وزاويتها الخارجية مرتفعة قليلاً) (كما أنهم في الغالب قصار القامة

(1) المرجع نفسه - ص 11.

ممتلئين⁽¹⁾. ويطلق عليهم الجراكسة صفة (نه زف) وترجمتها العيون الضيقة، وكل هذا الوصف يناه في معايير الجمال في الشرق الأوسط⁽²⁾، وكان قد وصف أسلاف الشراكسة من قبل، الجغرافيا الرحالة العربي المسعودي حيث قال عنهم متحدثاً عن أمة الكاشك (الشركسية): (وليس فيمن ذكرنا من الأمم في هذا الصقع (يعني بلاد الكشك / الشركسية /) أنقى أبشاراً ولا أصفى ألواناً ولا أحسن رجالاً ولا أصبح نساءً...). وجاء في الأثر في وصف صديق بيبرس البندقاري، وقريبه وابن بلاده قلاوون ما يلي: (ولم يكن بين ملوك مصر قاطبة أجمل من قلاوون كما ذكره البدر العيني في السيف المهند) وقلاوون هو من نفس قبيلة بيبرس برج أوغلا الذي قال عنه الإمام الكوثري أنها قبيلة جركسية معروفة في تلك الأيام. وفي خطط المقرئزي ج/3/ ص/361/ يقول عن الناصر حسن بن محمد قلاوون: (أنه كان يدعي أنه جركسي الجنس) حيث كان معنى تسمية الجركس قد وضحت في تلك الفترة تماماً. ومنه يكون كل سلاطين بيت قلاوون هذا من الجراكسة، وبالفعل فقد وضع مفهوم ومعنى الجراكسة وهي التسمية الجديدة على الأمة (الأديغية - الكاسية) في تلك الفترة بالذات وكانوا قبل ذلك يتسمون بالترك بسبب إطلاق المؤرخين على كل شعوب الشمال تسمية وصفة الترك عليهم خطأ. (ورغم ذلك ظلوا يطلقون على الجركس لفظة ترك إلى آخر دولتيهم البحرية والبرجية).

وخلاصة أمر تغير الصفات البيولوجية والإثنية للأتراك العثمانيين سكان تركيا الحالية أنه ناتج من التزاوج مع الشعوب الأصلية لآسيا

(1) أنور زقلمة - المماليك في مصر ص /50/.

(2) ومعظم أبطال المسلسلات التركية المدبلجة باللغة العربية منتقون بعناية كبيرة لإظهار جمالهم المميز، لا يمتون أبداً للعرق الطوراني الأصفر التركي، بل هم من بقايا الشعوب التي سكنت أو كانت تسكن في آسيا الصغرى، قبل قدوم بني عثمان إليها قبل ثمانية قرون خلت.. تعليق المؤلف عدنان قبرطاي.

الصغرى، كذلك بفعل تزواج الأتراك من نساء أرمنيات وشركسيات⁽¹⁾ ويونانيات وألبانيات وعروق أخرى آرية وغير آرية من الشعوب المقهورة..(كذلك بسبب الملايين من أحفاد الجيش الإنكشاري الذين كانت الدولة العثمانية تسرقهم وتختطفهم من ذويهم الأوربيين، وهم أطفال الشعوب الأوربية المستعمرة المقهورة، يربونهم ليستخدموهم ضد شعوبهم الأصلية وغيرها من الشعوب الأخرى..⁽²⁾..

وقد اتخذ الشعب التركي (في تركيا الحالية) ملامح جسمية هي أقرب ما تكون إلى الملامح الأوربية⁽³⁾..

إذا عدنا إلى بدايات نشوء الدولة العثمانية وما بعدها نجد أن أصل العثمانيين في تركيا الحالية يعود إلى قبيلة - قايي الأوغوزية - استوطنوا في جزء صغير من تركيا الحالية قبل أقل من ثمانمائة عام، وأما باقي العشائر فإن قسماً منهم كان من بيكويات الأناضول والسلجوقية، التي ضمها العثمانيون إلى أراضيهم بالتدريج والقسم الآخر ورثه العثمانيون عن القبائل الطورانية - آق قويونلو -..

-
- (1) على سبيل المثال لا الحصر، هناك عدد كبير من السلاطين والوزراء (والصدور العظام) أي رؤساء الوزارات، والقادة العسكريين والباشوات العثمانيون أمهاتهم وزوجاتهم شركسيات، وكان آخرهم السلطان عبد الحميد التي كانت أمه وكثير من زوجاته من الشركسيات. وكان هناك عدد كبير من الشركسية قد تزوجوا من بنات أو أخوات السلاطين العثمانيين أيضاً، وكان آخرهم أول رئيس للدولة السورية الشركسي الداماد أحمد نامي الذي تزوج من أخت السلطان عبد الحميد الثاني السلطانة عائشة عام 1908م فأصبح يلقب بالداماد أي صهر السلطان العثماني، وتعود أصوله إلى قبيلة الشابسوغ (الشركسية) التي تبوأ أفرادها مناصب رفيعة في عدة بلدان عربية..م(عدنان قبرطاي)..
- (2) في هذه الحالة لم يصف المؤرخون والباحثون، أن الدولة العثمانية مملوكية مع أن جيوشها التي كانت تعدّ بمئات الآلاف في كل جيل خلال ستة قرون، كانت مكونة في غالبيتها من هؤلاء الانكشارية المماليك فعلاً 9 !.م(عدنان قبرطاي)..
- (3) مفيد عنوق - تاريخ سهل العمق - دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - ط1 سنة /2001م دمشق - ص / 75 - 76 /.

(ملاحظة: إن من نسميهم حالياً بالأتراك في تركيا الحالية، كانوا يتسمون أولاً بالسلاجقة الأروام، ومن بعد عندما استوطنت قسماً صغيراً من تركيا الحالية قبيلة بني عثمان الطورانية، القادمة من آسيا الوسطى وهم من العرق الأصفر الطوراني، فقد تسموا بالروم أيضاً،). وكان قبل ذلك مؤرخو العرب يُطلقون لفظة الروم للدلالة على البيزنطيين الإغريق الذين كانوا في تركيا الحالية في العصور الوسطى، وتستعمل هذه الكلمة أيضاً للدلالة على أتراك الأناضول⁽¹⁾. وبقيت تسمية الأروام على الدولة العثمانية حتى وقت متأخر، فعلى سبيل المثال لا الحصر كانت هذه التسمية في القرن السابع عشر ما تزال مستخدمة لدى الشاعر الشركسي الأمير منجك باشا اليوسفي /1598- 1669م/ الدمشقي، عندما ارتحل إلى بلاد الروم أي بلاد الأناضول كما كانت تسمى في ذلك العصر وقد وصف رحلته من جُلُق في قوله⁽²⁾:

رحلنا إلى الروم من جلق وطرف الأمانى عراه العرج

و(كانوا يطلقون على أنفسهم العثمانية نسبة إلى عثمان جدهم أو الروم أو مملكة الروم)⁽³⁾. (أما سلاطينهم فيطلق عليهم ملوك الروم من بني عثمان..)⁽⁴⁾ هذه التسمية ربما بسبب استقرارهم مكان الروم في آسيا الصغرى، أو لأنهم مثل السلاجقة الذين كانوا قبلهم ومعهم في آسيا الصغرى، ويطلق عليهم سلاجقة الروم وهم من الترك الطورانيين أيضاً، ولربما لأنهم أصبحوا مثل الروم يهاجمون في بلاد الإسلام بعد ذلك⁽⁵⁾.

-
- (1) دائرة المعارف الإسلامية الشيعية حسن الأمين المجلد الثاني ص /455/.
 - (2) خلاصة الأثر ج/4/ ص /231/ وجُلُق هي دمشق.
 - (3) فيردون وثائق متعددة (كان سلطان العثمانيين كما يظهر من موضوع مفاتيح الكعبة الشريفة يسمى نفسه سلطان الروم) ص /103/ من كتاب طومان باي.
 - (4) ابن اياس ج/3/ ص /237/ - س/6/.
 - (5) ابن اياس كتاب طومان باي ص /104/.

المبحث الثاني الإمارات الحدودية الشمالية التي كانت تتبع لدولة الشركسية

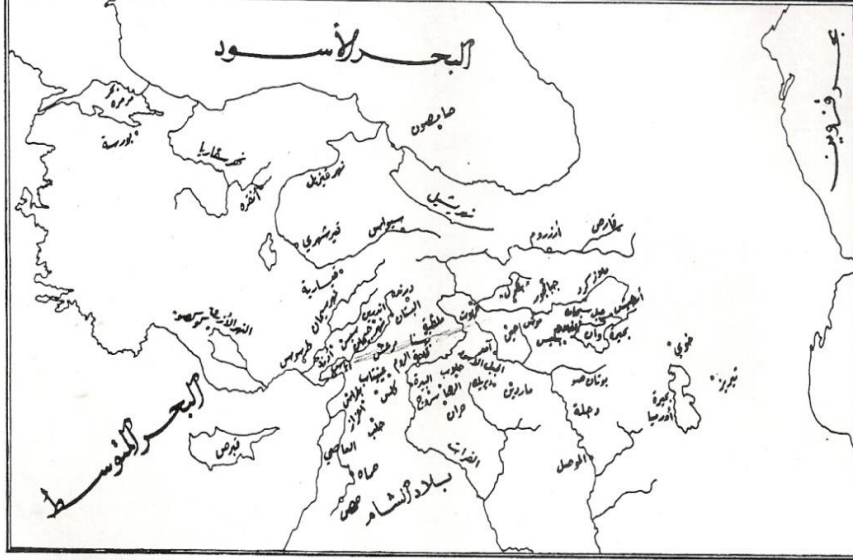
كانت العلاقات بين العثمانيين وسلالطين الشركسة جيدة في بداية الأمر والدليل على ذلك أنه في عام (798 هجري/1396م) أرسل بايزيد كتابين إلى القاهرة الأول إلى الخليفة في القاهرة، يطلب منه منحه تفويضاً شرعياً بالسلطنة، بعد انتصاره على تحالف أوربي بيزنطي في معركة (نيقوبوليس)، فمنحه الخليفة هذا اللقب مكافئة له على تلك الجهود الكبرى من أجل الإسلام والمسلمين⁽¹⁾، والثاني إلى السلطان الشركسي برقوق يبشره بانتصاره، بالإضافة إلى هدية، منها مائة أسير من الفرنج الفرنسيين والإيطاليين.. وكان الفاصل بين الدولتين على الحدود الشامية (السورية) امارات بدوية تركمانية ثلاثة، تتبع كلها لدولة سلاطين الشركسة البرجية. فقد تأسست الدولة القرمانية في شمال سورية، وجنوب آسيا الصغرى (تركيا الحالية) سنة / 654 هجرية - 1256م/ على يد أبناء قرمان، وبقيت حتى سنة / 888 هجرية / 1483م/، حيث قضى عليها السلطان العثماني بايزيد الثاني، وأقدم على ضمها إلى الدولة العثمانية، وكانت تتبع لسلاطين الدولة الشركسية كما قلنا، وهذه الحادثة كانت من أولى محاولات الدولة العثمانية، التي كانت تطمح في الأراضي السورية، التي تحوي تلك القبيلة (الشامية) في الدولة البرجية التي عاصمتها في القاهرة.

(1) حليم، ابراهيم بك: ص48.

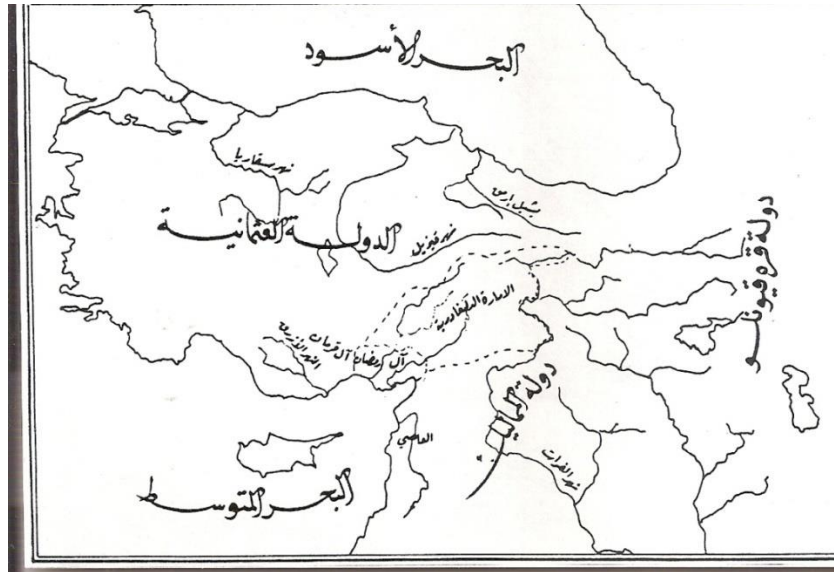
وأما أبناء رمضان فقد أسسوا إمارتهم في الشمال السوري أيضاً سنة 780 هجرية / 1330 م وبقيت حتى / 1017 هجرية 1608 م / . وكانت تتبع الدولة الشركسية وهي الأراضي السورية التي تحوي تلك القبيلة (الشامية) في الدولة البرجية..

أما إمارة ذي القدرية أو الدلغادرية فقد نشأت سنة / 740 هجرية 1339 م / على يد (يدج قراجا بن دلغادر التركماني) في الشمال السوري والذي امتد سلطانه على مرعش – والبستان وملطية وعين تاب وعزاز وخربوت ودرند وتيرشهر وقيسارية وحصن المنصور وقلعة الروم وبلاد سيسى وقارص وضمانتي وأودية عمق وكوندزالي وغير ذلك من الأراضي السورية، التي تحوي تلك القبيلة (الشامية) في الدولة البرجية، وبقيت هذه الإمارة قائمة تحت ظل دولة سلاطين الشراكسة، حتى سنة / 922 هجرية 1516 م /، وقضي عليها من قبل السلطان سليم الأول العثماني، وانضوت تحت دولته وكانت كما قلنا سابقاً تتبع لدولة سلاطين الشراكسة حتى آخر يوم من أيامها، أي بعد معركة مرج دابق الكارثية..

وكانت تسبب المشاكل لدولة سلاطين الشراكسة وتثور عليها، بتحريض الدولة العثمانية الطامعة مبكراً في أراضي، بلاد الشام التي كانت ممتدة حتى جبال الأمانوس السورية.. التي كانت امتداداً طبيعياً وجغرافياً للبلاد السورية الشامية قبل ضمها وهضمها من قبل العثمانيين وورثتها، الطارئين على آسيا الصغرى..



خريطة تبين التشابك الجغرافي بين نفوذ الدولة الشركسية والعثمانية في العمق التركي الحالي



خريطة تبين التشابك الجغرافي بين نفوذ دولة سلاطين الشركاسة، والعثمانية في العمق التركي الحالي. (التي كانت امتداداً طبيعياً وجغرافياً للبلاد السورية الشامية) قبل قضمها وهضمها من قبل العثمانيين الطارئين الجدد على آسيا الصغرى..).

لاحظ أن الإمارات الثلاث (آل قرمان وآل رمضان وإمارة ذي القدرية أو الدلغادرية)⁽¹⁾ الذين كانوا يتبعون دولة سلاطين الشراكسة، يتصلون بالبحر الأبيض المتوسط، ويمتدون في عمق آسيا الصغرى، بل يقتربون من بلاد الشراكسة التي تقع على السواحل الشرقية للبحر الأسود، ورغم هذا القرب الجغرافي لم يفكر السلاطين الشراكسة، في يوم من الأيام بمساعدة بلادهم الأصلية، ولم ينقلوا إليها قرشاً واحداً من دولتيهم التي دامت /257/ سنة، بعكس ما فعله العثمانيون الذين نقلوا كل ما حصلوا عليه من مصر وبلاد الشام إلى بلادهم تركيا إثر معركة مرج دابق الكارثية وما بعدها..

(1) - تأسست الدولة القرمانية سنة / 654 هجرية - 1256م/ على يد أبناء قرمان وبقيت حتى سنة / 888 هجرية/1483م/ حيث قضى عليها السلطان العثماني بيابيد الثاني وكانت تتبع لسلاطين الدولة الشركسية. وأما أبناء رمضان فقد أسسوا إمارتهم سنة 780 هجرية / 1330م وبقيت حتى /1017 هجرية 1608 م/ وكانت تتبع الدولة الشركسية.. أما إمارة ذي القدرية أو الدلغادرية فقد نشأت سنة /740 هجرية 1339 م/ على يد يدج قراجا بن دلغادر التركماني الذي امتد سلطانه على مرعش - والبستان وملطية وعين تاب وعزاز وخربوت ودرند وتيرشهر وقيسارية وحصن المنصور وقلعة الروم وبلاد سيس وقارص وضماني وأودية عمق وكوندزالي وغير ذلك، وبقيت هذه الدولة قائمة حتى سنة /922 هجرية 1516م/ وقضى عليها من قبل السلطان سليم الأول العثماني وانضوت تحت دولته وكانت تتبع لدولة سلاطين الشراكسة حتى آخر يوم من أيامها.

المبحث الثالث

دفاع سلاطين الشراكسة عن وحدة الأراضي في دولتيهم وخاصة في الجزء الشمالي السوري منها ضد العثمانيين

نجد على سبيل المثال لا الحصر دفاع السلطان الشركسي قايتباي الذي دام حكمه ثلاثة عقود تقريباً، عن وحدة بلاد الشام " التي كانت سورية الحالية، بمثابة عامودها الفقري " ورفض رفضاً قطعياً محاولات انفصالية لأحد عملاء بلاد الروم (العثمانيين) واسمه - شاه سوار - أمير إمارة ذي القدر⁽¹⁾ الذي كان تابعاً لدولة سلاطين الشراكسة في مصر وبلاد الشام (اضافة لإمارات أخرى) - وبتحريض من الدولة العثمانية آنذاك.. وكان أمراء هذه البلاد يصادق على تعيينهم ملك البلاد التي تشمل مصر وبلاد الشام والحجاز وغيرها، وفي سنة (سبعين وثمانمائة هجرية) أي / 1465م / قدم أمير هذه البلاد المسمى (أرسلان بن سليمان) إلى القاهرة، فأمر السلطان قايتباي بقتله لكونه سلم بلاد خربوت (التابعة للدولة الشركسية) لحسن بك الطويل، وعيّن مكانه أخاه (شاه بداق بن سليمان) وكان له أخ ثالث اسمه (شاه سوار بك) استعان بسلطان الروم العثماني، على استقلال بلاده من الدولة الشركسية الثانية، وأعلن

(1) في منتصف القرن الثامن الهجري قامت إمارة تركمانية شمالي حلب في العمق التركي حالياً عرفت بإمارة ذي القدر، وبعض المؤرخين يسميها بإمارة ذي الغادر، وكانت تحتوي على بلاد البستان ومرعش وعينتاب وملطية وعزاز وبهسنى ودارنده وغير ذلك.

وكانت تتبع لدولة السلاطين الشراكسة في مصر وبلاد الشام. وهي آنذاك جزء لا يتجزأ من سورية الطبيعية..

العصيان على الدولة الشركسية في مصر، فأرسلت له الدولة حملتين عسكريتين فاشلتين، فحشدت بعد ذلك جيشاً كبيراً بقيادة الأمير الشركسي (يشبك الدوادار)، فانهزم سوار بك أمام هذه القوة الهائلة (هو وحليفته الدولة العثمانية) التي استعملت المكاحل (المدافع)... وأخيراً سلم سوار نفسه، ولكن القيادة العامة في مصر كانت تضمر له الشر، فأمره قائد الحملة بزيارة نائب دمشق (الأمير برقوق) فذهب إلى سُراده لیسلم عليه، فأمر برقوق بالقبض عليه فقيده بالحديد، ثم أخذه لمصر فصلب وهو حي، فأعدم مكبلاً بكاليب من حديد في لوح كتفيه. ولما رجع نائب دمشق (الأمير الشركسي برقوق)⁽¹⁾ إليها بنى في أعلى قاسيون قبة كُنصت تذكاري، بمناسبة انتصارهم على شاه سوار ومشغليه من العثمانيين، وسماها قبة النصر على شاه سوار، وذلك سنة سبع وسبعين وثمانمائة هجرية - 1472م /، وكانت على شكل سرج حصان، مثل قمتي جبل البروز في جمهورية (قبردينا - بلقاريا) الشركسية الحالية في الاتحاد الروسي.. وعن قبة النصر على قمة جبل قاسيون نقول:

إنها كانت من القباب الشهيرة التي يُسأل عنها دائماً، وتقع في قمة جبل قاسيون، بقيت عامرة إلى سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف هجرية /1759م ثم سقطت بسبب الزلزال العظيم الذي حصل في هذه السنة⁽²⁾ وبقي لها بقية ترى من بعد على هيئة كرسى ويسمونها الناس كرسى الداية، وعندما دخلت جيوش الحلفاء دمشق سنة /1941م / هدموها خوفاً أن تتخذ علامة لضرب المواقع العسكرية⁽³⁾ « هكذا كان تبريرهم، أما

(1) كتاب دمشق الشام - أيوب سعدي - ص149 « برقوق الزهيري القوشج 1472 - 1473 م / 877 هـ، بقي البناء قائماً حتى منتصف القرن التاسع عشر وغدا خرابة بعد عام 1917 م وأزيل كلية بعد عام 1947 ».

(2) كتاب يوميات دمشق - ص223 للبديري الحلاق ذكر بأن نصف القبة هدم من زلزال 1172هـ المشهور.

(3) كتاب معالم دمشق التاريخية - أحمد الايش وقتيبة الشهابي - ص338: أزالتها قوات فيشي الفرنسية المتحالفة مع قوات المحور، لئلا تتخذ كنقطة علام

==

الحقيقة الساطعة فتقول إن تلك الجيوش التي دخلت دمشق لم يرق لها أن يستمر أي أثر يذكر هذه الأمة العربية بانتصاراتها التليدة، على الدولة العثمانية وأتباعها، وكأن هذا النصب يقول لهم نحن أمة انتصرت أيضاً على العثمانيين وحلفائهم أيضاً، كما انتصر (الحلفاء الغربيون) عليهم بالأمس القريب، وهذا لن يروق لهم طبعاً، ونحن نعرف حادثة زيارة الجنرال غورو إلى قبر صلاح الدين رمز انتصار هذه الأمة عليهم في الحروب الصليبية، وكيف قال له وهو في قبره ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين - الآن انتهت الحروب».

لقد انطلى هذا التبرير على عامة الشعب، ولكننا نعرف أن قبة لا تهدي إلى مواقع عسكرية بعيدة عنها، وما نعرفه هو أنه لو كان هذا النصب لهم وفي بلادهم لأعادوا بناءها من جديد، فهم يتمسكون بأصغر من هذا بكثير، ولاحتفلوا كل عام بذكرى بناء هذه القبة ويذكرى النصر.. والآن قد زالت جميع معالمها، ولكنها لا تزال في ذاكرة الناس.⁽¹⁾ وقد ذكر الأستاذ المحامي - نجاة قصّاب حسن - عنها ما يلي: «وكان في المكان الذي توجد فيه محطة البث التلفزيوني اليوم في أعلى جبل قاسيون بناء مهدّم لا نعرف تاريخه، ولكنه كان يظهر للناظر من الأسفل من طرف المدينة كما لو كان سرجاً على متن الجبل، كالذي يوضع على ظهور الخيل⁽²⁾، وكان الناس يسمونه (بكرسي الداية) تشبيهاً له بالكروسي الذي تستعمله القابلات، ثم اندثر الآن⁽³⁾ وهذا الوصف للنصب التذكاري ينطبق تماماً على قمتي جبل البرز في بلاد القبرطاي

عسكرية من قبل جيش الحلفاء البريطاني الذي دخل دمشق مؤازراً للقوات الديغولية (التي كان فيها بضع كوكبات شركسية).

(1) كتاب في رحاب دمشق - محمد أحمد دهمان - ص 59+60.

(2) هذا الوصف ينطبق تماماً على شكل قمة جبل ألبروز في بلاد الشركس وهي أعلى قمة في أوروبا (5652 متر) موطن باني هذه القبة.

(3) كتاب معالم دمشق التاريخية - أحمد الأيبش والدكتور قتيبة الشهابي - ص 429.

الشراكسة في شمال القفقاس، وهي أعلى قمة في أوروبا ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر /5652م/.



جبل (أوشحه مافه) البرز في بلاد القبرطاي الشراكسة في شمال القفقاس وهي أعلى قمة في أوروبا ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر /5652 م/. (لاحظ معي أن قمتيها تشبهان سرج الحصان الذي وصفه المحامي نجاة قصاب حسن الذي قال: كان يظهر للناظر من الأسفل من طرف المدينة كما لو كان سرجاً على متن الجبل، كالذي يوضع على ظهور الخيل..).

في عام /1515م/ أرسل سليم رسالة إلى الغوري يطلب عزل - علي دولات - أمير ذي القدر التركمانية التابع والموالي للغوري، وتعيين ابن أخيه - علي بن شاه سوار - الموالي لسليم مكانه ثم تواترت الأنباء كما يقول ابن إياس عن هجوم علي شاه علي - علي دولات - وتقهقر علي دولات إلى قلعة - زمنطو - بعد مقتل ابنه في المعركة، وقد قدم سليم العساكر لعلي شاه. وعندما وصل رسول علي دولات إلى القاهرة طالباً النجدة. جمع السلطان الأمراء للتشاور في الأمر وتقرر إرسال أربعة من الأمراء إلى حلب لمراقبة الموقف، كما تم اختيار - جانم الخاصكي - للتوجه إلى السلطان سليم، وكان من ذوي العقول الراجحة، وقد سافر فعلاً وكان هذا التصرف من الغوري تساهلاً وتهرباً من اتخاذ الإجراءات الحاسمة لإنقاذ دولته. وتوالت الأحداث بسرعة حيث جرت مناقشات بين علي دولات وبعض عساكر ابن عثمان، أرسل سليم علي إثر ذلك قوات كبيرة احتلت بلاد - علي دولات - الذي قتل وجز رأسه وعيّن علي شاه

بدلاً عنه، كما قال ابن إياس. وفي الوقت نفسه وصل إلى القاهرة - جانم الخاصكي - الذي كان في مهمة عند سليم، وقد أخبر السلطان الغوري بأن سليم أكرمه غاية الإكرام وحمله هدايا فاخرة كما ذكر ابن إياس. هكذا كانت سياسة سليم (المراوغة)، أن يستولي على أرض الغوري ثم يتظاهر بالود تجاهه من جهة أخرى، حتى يطمئن الغوري وقد استمر سليم في اتباع سياسة التناقض بين أقواله وأفعاله حتى معركة مرج دابق، كل ذلك كي لا يتخذ الغوري خطوة سريعة لحسم الأمور، وحتى نهاية سنة 1515م/ تبودلت بعض الرسائل بين الغوري وسليم، والملاحظ في رسائل سليم التزلف والتودد كوصف الغوري بحامي الحرمين الشريفين، وناصر الإسلام والمسلمين إلى غير ذلك من الأوصاف.

وفي شهر آذار من العام 1516م/ وصلت أخبار إلى القاهرة بأن الشاه إسماعيل الصفوي ملك العراقيين / إيران / جمع من العساكر ما لا يحصى عددهم، وهو زاحف على بلاد ابن عثمان، فلما طرق السلطان هذا الخبر اجتمع بالأمرء، وقد أشاع ابن إياس. بأن السلطان قانصوه الغوري قال: (أنا أخرج بنفسي وأقعد في حلب حتى نرى ما يكون من أمر الصفوي وابن عثمان، فإن كل من انتصر منهما على غريمه لا بد أن يزحف على بلادنا). أي أن الغوري قرر الخروج أصلاً لا لمقاتلة العثمانيين، وإنما للإقامة في حلب ومراقبة الموقف عن كثب بين الصفوي وسليم. وعندما تأكد سليم من عزم الغوري على التحرك أرسل له رسالة يخادعه فيها ويقول: (أنت والدي وأسألك الدعاء، واني ما زحفت على بلاد علي دولات إلا بإذنك، وأنه كان باغياً علي وهو الذي أثار الفتنة القديمة بين والدي والسلطان قايتباي..وأما ابن شاه سوار فلکم أمر إبقائه أو عزله، وأما التجار الذين يجلبون المماليك الشراكسة فاني ما منعتهم وإنما هم تضرروا من معاملتكم بالذهب والفضة، وان البلاد التي أخذتها من علي دولات أعيدها لكم وجميع ما يرومه السلطان فعلناه..). وقد علق ابن إياس على الرسالة قائلاً: وكان هذا حيلة وخداعاً من ابن عثمان لتثبيط عزم السلطان الغوري وجيشه، حتى يبلغ بذلك مقصده، وقد ظهر حقيقة ذلك فيما بعد.

وفي الحقيقة لقد حاول سليم كالعادة إيهام الغوري بأن احتلاله لبلاد - علي دولات - صديق الغوري وتابعه ليس أكثر من اشتباكات على الحدود، يمكن تسويتها لا بل أكثر من ذلك، فإن البلاد التي أخذها من علي دولات يعيدها إلى الغوري، وجميع ما يراه السلطان الغوري يفعله. كذب وخداع ومكر من السلطان العثماني سليم. فقد كان ينفذ مأربه بموجب خطة محددة ومدروسة، متبعاً سياسة التناقض بين أفعاله وأقواله، والهدف أن لا يخرج الغوري بكل قواته، ذلك أن سليم كان يحسب ألف حساب لجيش الغوري ويعرف قوته وخبرته، تماماً كما كان من قبله تيمورلنك الذي لم يجرؤ على مهاجمة جيش السلطان الشركسي الظاهر برقوق..

المهم تابع الغوري طريقه وعندما وصل إلى حلب اجتمع أيضاً برسولي سليم قاضي عسكره - ركن الدين - وأحد أمرائه - قراجا باشا - وقد عاتبهم الغوري لما حضرا بين يديه، من أفعال ابن عثمان وأخذه بلاد علي دولات، فقال له قاضي عسكر سليم: نحن من فوّض لنا أستاذنا الأمر وقال مهما اختاره السلطان الغوري افعلاه ولا تشاوروني. وكان كل هذا حيل وخداع حتى تبطل همة السلطان قانصوه الغوري عن القتال ويثني عزمه عن ذلك، وقد ظهر مصداق ذلك فيما بعد كما قال ابن إياس. ثم أبرز قاضي العسكر العثماني رسالة من سليم إلى الغوري يقول فيها: (السلطان والدي / يقصد السلطان قانصوه الغوري / وأسأله الدعاء، ولكن لا يدخل بيني وبين الصفوي) وزيادة في المكر والخداع طلب الرسولان من الغوري وعلى لسان سليم "سكراً وحلوى"، فأرسل إليه الغوري مئة قنطار سكر وحلوى، وغادرا حلب مكرمين. لقد حاول سليم إيهام الغوري أيضاً بأنه متوجه إلى قتال إسماعيل الصفوي، وأنه من القيصرية يريد التوجه شرقاً لملاقاته. كما علق ابن إياس على رسالة سليم قائلاً: "وأظهر سليم أنه قاصد نحو الصفوي ليحاربه والأمر بخلاف ذلك". ثم عين الغوري أحد كبار أمرائه وهو - مغلباوي - مع عشرة من الجنود للذهاب إلى سليم ومعه شروط الصلح. وفي 10/ رجب الموافق 9/ آب 1516م/ وصل مغلباوي ورفاقه إلى معسكر سليم فقتلهم إلا رئيسهم حيث

أعاده وقال له: (قل لأستاذك يلاقيني على مرج دابق). وهكذا بعد أن أدرك سليم أن خططله قد نجحت وأنه استطاع تحديد زمان ومكان المعركة، وأنه ضمن عدم اشتراك معظم قوات الغوري في المعركة الوشيكة الوقوع، أفصح عن نواياه وغدره، وذلك قبل معركة مرج دابق بأيام معدودة. وبعد هذا الاستعراض السريع لسير الأحداث يمكننا العودة إلى وضع كل من الجيشين.

لقد دخل سليم معركة مرج دابق على رأس جيش كبير العدد، اختلفت فيه الروايات بين مئة ومئة وعشرين ألفاً، فكان في الحد الأدنى للتقديرات يزيد عن ضعف جيش قانصوه الغوري، ولا عجب في ذلك فقد خطط سليم لهذه المعركة بكل عناية ومكر. أما جيش الغوري فكان أقل عدداً من الجيش العثماني، إذ خرج الغوري بخمسة آلاف مقاتل من مصر ولو أضفنا إليهم جيوش نواب بلاد الشام - غزة - صغد - دمشق - طرابلس - حماه - حلب - لما اجتمع لديه أكثر من ثلاثين ألفاً كحد أعلى. وهكذا جرت معركة غير متكافئة، وبالرغم من أن كل جندي من جنود الغوري كان يقابله ثلاثة جنود من العثمانيين على أقل تقدير، فقد استطاع إحداث خسائر فادحة في صفوف العثمانيين، نظراً لأن القدرة القتالية للجندي الشركسي كانت عالية وتفوق مقدرة الجندي العثماني بكثير.

إن من الأخطاء الكبيرة التي وقع فيها السلطان قانصوه الغوري، والتي أدت في النهاية إلى سقوط دولته، وبالتالي وقوع البلاد بأيدي العثمانيين عدم خروجه بقوات كافية. ففي الوقت الذي قاتل السلطان العثماني بكل قواته، فإن الشركاسة لم يقاتلوا إلا بعدد محدود من قواتهم، بالرغم من أن الغوري كان يمتلك جيشاً يعتبر من أقوى جيوش عصره. ويعود السبب إلى أن الغوري كان حتى قبل أيام معدودة من المعركة متشككاً في حتمية المواجهة العسكرية مع سليم، كما أنه لم يخرج أساساً لقتال العثمانيين كما رأينا، لذا قيل لو أن جيش الغوري قاتل بكل قواه لكان له شأن آخر. أما القول بأن جيش الغوري كان يفتر إلى الروح المعنوية العالية والخبرة القتالية إلى آخر ما هنالك، فالمقصود كما

هو معلوم، التقليل من شأن هذه القوات ولو كان هذا الجيش ينقصه الخبرة والروح المعنوية، لما تمكن من قتل أكثر من عشرة آلاف جندي عثماني، ولما قال ابن إياس مؤرخ مصر الأول في أواخر عصر سلاطين الشراكسة في وصفه لمعركة مرج دابق (.. وقتل من عسكر ابن عثمان ما لا يحصى ضبطه فكانت ساعة يشيب منها الوليد ويدوب لسطوتها الحديد). وأخيراً لو أردنا أن نحدد الأسباب التي دفعت سليم إلى محاربة الغوري لوجدناها بكل بساطة رغبة سليم في توسيع رقعة دولته ليس إلا، فعندما أدرك صعوبة توغله في الغرب توجه إلى الشرق، في الوقت الذي كان فيه الغوري يواجه الخطر البرتغالي، في البحر الأحمر والمحيط الهندي وبحر العرب بكل قواه، كي لا تقع الأماكن المقدسة تحت رحمتهم أو سيطرتهم، كما رأينا حروبه ضد البرتغاليين سابقاً.. وبدلاً من أن يسارع سليم إلى تقديم يد المساعدة إلى الغوري لإبعاد الخطر البرتغالي (عن مقدسات المسلمين وبلادهم) الذي كان صليبياً قبل أن يكون تجارياً، كما تقضي روح الإسلام بدلاً من افتعال الحوادث المؤدية للحروب ضد إخوتهم المسلمين.. وكان الأسطول المصري زمن قانصوه الغوري قد التقى بالأسطول البرتغالي في بندر شول في 9/14 هجريا الموافق العام 1508م/، وانتهت المعركة البحرية بهزيمة الأسطول البرتغالي ومقتل قائده (لورنزو دي الميدا) وأسر إحدى سفنه، فيما فرّت بقية السفن⁽¹⁾. وبهذا النصر سيطر الأسطول الشركسي على الموقف العسكري في المحيط الهندي وأرسل السامري ملك كاليكوتا أربعين سفينة إلى الأمير حسين الكردي لتكون في خدمته، وفي ذلك قال المؤرخ الكبير ابن إياس: ((ورجع الأمير حسين تخفق على هامته وعلى سوارى اسطوله المصرى (الجركسى) رايات الظفر وأعلام النصر، فأقام بميناء (ديو=) عدة شهور

(1) المعبري - تحفة المجاهدين - ص / 83 /، + إسماعيل سرهنك - حقائق الأخبار - ص /189/.

حتى انقضى فصل الأمطار وأرسل إليه السامري أربعين غراباً لتكون في خدمته⁽¹⁾). غير أن الأسطول البرتغالي ما لبث في السنة التالية /1509م/ أن داهم الأسطول في خليج (ديو) بعد الإمدادات التي وصلتته فما كان من الأمير حسين الكردي إلا أن قام بإخراج السفن التي كانت معه من غير استعداد، وخرج معه الهنود بسفنهم بلا استعداد أيضاً، وانتهت المعركة التي دارت بينهما في خليج / ديو / إلى تدمير معظم قطع الأسطول الشركسي (الملوكي) بشكل خاص، إذ أن البرتغاليين كانوا يهدفون إلى الانتقام منه بسبب مقتل ابن قائد أسطولهم (لورنزو دي الميدا) ابن نائب ملك البرتغال بالهند.

لقد حول السلطان العثماني سليم الأول الجهاد بين المسلمين وأعدائهم الفرنجة، إلى حرب بين المسلمين أنفسهم إذ كانت دولة سلاطين الشراكسة أقوى دولة عسكرياً في العالم الإسلامي، فانقطعت بذلك عرى المودة والأخوة العربية الإسلامية، وحلّ محلها روح البغضاء والحقد، فكان في كل ذلك الضربة الأليمة المؤثرة على العالم العربي والإسلامي.. وكانت الحجة لتبرير اتجاه السلطان العثماني لمقاتلة أقوى دولة إسلامية من الناحيتين العسكرية والاقتصادية، قول السلطان العثماني سليم: ((إن الله قد أوحى إليّ أن أملك البلاد شرقاً وغرباً، كما ملكها الإسكندر ذو القرنين..)). وهي الحجة نفسها التي قالها بوش أثناء غزوه للعراق! (أن الرب قد أوحى له احتلال العراق..).! ومن غريب الصدف أن نجد أحفاد العثمانيين في زماننا هذه يكررون ما قام به أسلافهم في الوطن العربي، فيتركون العدو الغربي والصهيوني محتل فلسطين ويتجهون لمحاربة الحماة الحقيقيين للمقدسات الإسلامية والعربية " في فلسطين العربية " أي سورية العربية..

(1) ابن اياس بدائع الزهور ج4 - ص، 142 / + أحمد دراج - الماليك والفرنج - ص/137.



المبحث الرابع

مذابح الأتراك العثمانيين ضد الشركاسة والعرب بعد دخولهم بلاد الشام ومصر والعراق

هل وضع البعض القيود على كشف الحقائق التاريخية الثابتة بما يخص الأعمال المجيدة للشركاسة في المنطقة العربية...؟
هل يوجد قيود على تاريخ المذابح التي تعرّض لها الشركاسة والعرب في مصر وبلاد الشام والعراق، أم أن الماضي البعيد طمسها ليجعل منها جريمة كاملة..؟

فبغض النظر عن أعمال الشركاسة ومنجزاتهم التاريخية المجيدة التي أعادت للأمة العربية والإسلامية بعضاً من ومضاتها وألقها وتاريخها التليد.

هل من المعقول في بداية القرن الحادي والعشرين أن نغمض أعيننا عن الحقائق الدامغة وعن الأعمال المجيدة للشركاسة في المنطقة العربية والإسلامية منذ اشتراكهم مع صلاح الدين الأيوبي في تحرير القدس ومروراً بمحاربة كل حملات الصليبيين والمغول والتتار والتآلف المغولي الصليبي منذ عين جالوت ومعركة حمص وشقحب... حتى أتموا كنس البلاد العربية من بقايا كل الغزوات والحملات. فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن السلطان الشركسي قانصوه الغوري الذي كان عمره 76/ عاماً استشهد وهو يحارب العثمانيين في مرج دابق دفاعاً عن البلاد العربية، وفي الوقت نفسه كان يحارب بأسطوله البحري، أقوى أسطول صليبي في حينها وهو الأسطول البرتغالي على شواطئ كلكتا بالهند، لأنه كان يعتدي على الموانئ الإسلامية والعربية، ويعتدي على سفن قوافل

الحجاج المسلمين المتوجهين إلى موانئ الحجاز وغيرها.. في تلك الظروف اعتدى السلطان العثماني عام /1516م/ على الدولة الشركسية، عندما دهمهم الغزو العثماني في مرج دابق. وبعدها في الريدانية وغيرها من المعارك الكبرى الأربعة داخل مصر... يقول الكاتب والباحث الكبير محمد أحمد دهمان في كتابه - العراق بين المماليك والعثمانيين الأتراك في مجال المذابح والمجازر من قبل العثمانيين بحق الشركسة أثناء نهاية دولة سلاطين الشركسة: من رسالة السلطان سليم شاه إلى السلطان الشركسي طومان باي نقتبس: ((.. وإن أردت أن تتجو من سطوة بأسنا فاضرب السكة في مصر باسمنا وكذلك الخطبة وتكون نائباً عنا بمصر، ولك من غزة إلى مصر، ولنا من الشام إلى الفرات، وإن لم تدخل تحت طاعتنا وإلا أدخل إلى مصر وأقتل جميع من بها من الأتراك⁽¹⁾ حتى أشق بطون الحوامل وأقتل الجنين الذي في بطنها من الأتراك - المماليك -)). وفي آخر الرسالة: (وما كنا معذيين حتى نبعث رسولاً).⁽²⁾ وإن وصف السلطان سليم الشركسة بالترك كان أمراً عادياً في تلك الأيام حيث كان معظم الكتاب والمؤرخين يطلقون على الشركسة اسم الترك دون أن يعترض الشركسة على ذلك وكان تسمية الروم هي الشائعة على العثمانيين، ومثال على ذلك: هذا شاعر نظم شعره مباشرة بعد الاحتلال (الرومي) العثماني لمصر وبلاد الشام يقول:

جل الذي أفنى عساكر مصرنا من دولة أتراكها من جركس⁽³⁾
وأنت إلينا دولة الأروام من أولاد عثمان ذو الفحل المسي

(1) المقصود من كلمة الأتراك هنا هم الشركسة كما بيّنا سابقاً. المؤلف عدنان قبرطاي.

(2) محمد بن محمود الحلبي الملقب بابن أجا المتوفى سنة /881 هجرية/ - العراق بين المماليك والعثمانيين الأتراك - صنعة - محمد أحمد دهمان - ص /274/.

(3) تصور معي هنا فداحة الخطأ المرتكب في عدّ الشركس تركاً ١٤٩.

قتلوا أكابرنا بأيسر حيلة⁽¹⁾ عملت عليهم لا بإسهام العسي

ويقول خيرى الذهبى فى مقدمة كتاب نهاية المماليك ودخول العثمانيين إلى الشام من بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن إياس ما يلي: (والترك هو اسم للمماليك ورغم أن اسم الترك يضم الشراكسة إلا أنهم فضلوا اسم الترك ليمتازوا عن العرب الرعايا)⁽²⁾. وقد انتقم العثمانيون من أهل غزة " العرب " بسبب مساعدتهم المصريين، قبل معركة الريدانية، فقتلوا منهم ألف إنسان من الرجال والنساء والأطفال⁽³⁾،

وآخر سلاطين الشراكسة طومان باي قاتل ودافع عن مصر العربية فى أربعة معارك كبرى " منها معركة الريدانية "، بعد أن دافع عن حرية بلده مصر من قرية إلى قرية ومن حارة إلى حارة فى القاهرة، وبعد أن رفض طلب السلطان سليم بأن تسك العملة باسمه ويدعى له فى المنابر مقابل انسحابه من مصر والإبقاء على ملك طومان باي مدى الحياة..

جادل السلطان طومان السلطان سليم وهو فى الأسر قائلاً: ((فلما تقلدت عليهم، وجب عليّ أن أردّ عنهم. ثم أشار إلى سليم أنه مثله قد تربت نفسه فى العزّ، ولا تقبل الذل، وقال: وهل لو أرسلت لك أنا وأمرتك أن تكون تحت إمرتي هل كنت ترضى بذلك، وهل سمعت أن الأسد يخضع للذئب، لا أنتم أفرس منا، ولا أشجع منا، ولكن أنت كنت تستحل قتل المسلمين، وترمي عليهم بهذه المدافع والنيران، فكيف بك، إذا وقفت بين يدي رب العالمين، وما من ملك وإن تعاضم ملكه، إلا هو لله عبد أصغر فما أنا وأنت إلا بجملة العبيد..)).

(1) يشير الشاعر هنا إلى الاستخدام الكثيف للمدفعية المتحركة فى معاركهم ضد الجراكسة.

(2) خيرى الذهبى فى مقدمة كتاب نهاية المماليك ودخول العثمانيين إلى الشام من بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن إياس - ص - 77.

(3) الخطط 1 - ص / 202.

وكان السلطان طومان قبل أن يؤسر قد ألقى قصيدته المشهورة التي سجلها له الأمير الشركسي شريك الذي قاتل معه إلى آخر رمق في حياتهما ، حيث يذكر المؤرخ ابن زنبيل شيئاً عجيباً عن طومان باي لم نصادفه لأي سلطان شركسي آخر من سلاطين الشراكسة في مصر وبلاد الشام ، إلا أن له دلالة كبيرة ، تبين أن طومان باي كان يعتبر نفسه مصرياً عربياً رغم أنه شركسي الأصل ، يقاتل في سبيل مصريته وعروبوته (وإسلامه) فيذكر أن طومان باي وهو عند أهرام الجيزة. وكأنها الكعبة الشريفة بالنسبة له _ قرض قصيدة طويلة من الشعر العربي بلغت مائة بيت كتبها له الأمير شريك بيتاً بيتاً ، وعلقها عند الأهرام ، كأنه يعلقها في أركان الكعبة المقدسة ، تتضمن النوايب التي حلت به وبدولته الشركسية ، وأنه بحكم المسؤولية يقبل قدره ، وأنه فعل ذلك من أجل مكانة مصر التي شهدت مولد الزمان ومولد الحضارة. وعلى العكس فإن سليمان بعد هذا النصر ، تفرّج على الأهرام وأعجب ببنائها فقط. وقد جاء في مطلع قصيدة السلطان الشركسي طومان باي والذي كان قد أُجبر على تسلّم السلطنة بعد معركة مرج دابق:

دموع العين فاضت من مآقٍ وقلبي ذاب من كثيرٍ احتراق

فلا نار طفاها دمع عيني ولا دمع يفيض من اختناق

ومن عجائب الدهر أن يقف الجيش الشركسي في مصر مرة أخرى في عام /1798م/ في معركة الأهرام يدافع عن مصر ضد غزو جيش الإمبراطور الفرنسي نابليون بونابرت ، حيث تصدى له القائد مراد بك الشركسي وجنوده وهم بدروعهم البراقة وملابسهم الزاهية ، فلما رأى بونابرت حُسن استعداد الشراكسة التفت إلى جنوده وقال جملة المأثورة ((اعلموا أن خمسين قرناً تنظر إليكم من قمم هذه الأهرامات وتراقب حركاتكم تنظر ما يؤول إليه أمركم مع هؤلاء المماليك)).

إن تضحيات الشراكسة في المنطقة العربية يجب أن لا تقابل بالجحود ونكران التضحيات التي بذلوها من أجل الوطن العربي أولاً والإسلام ثانياً. ومن المستغرب أن أحداً منهم لم يخطر بباله أن يعود إلى وطنه الأصلي أو

يحاول مساعدتها أو ينقل جزءاً من ممتلكاته إليها بل كان همّهم البناء والإنشاء في هذا الوطن العربي المجيد..

بعد هذه المقدمة السريعة نستعرض بعض المذابح التي ارتكبت بحق الشراكسة من قبل الطورانيين الأتراك العثمانيين وتحت ظل حكمهم الطويل للوطن العربي الذي دام أربعة قرون في منطقة الشرق العربي: نرى السلطان العثماني يترك الجبهة الأوربية ويغدر بالدولة الشركسية البرجية في معركة مرج دابق الكارثية على دولة الشراكسة في مصر وبلاد الشام، وبعد استشهاد قنصوه الغوري وهو يناهز السادسة والسبعين من العمر، (الذي كان السلطان سليم يخادعه في مراسلاته له قبيل المعركة ويقول: (كما تريد يكون يا والدي ١٥) أسرع السلطان سليم في استثمار نصره بالاستيلاء على مدن بلاد الشام الواحدة بعد الأخرى.. وقد فسدت أحوال دمشق بعد استشهاد نائبها الشركسي الأمير سيباي في مرج دابق، حيث نهبت أسواقها، واضطر أهلها إلى الخروج عنها، فقتل العثمانيون لما دخلوها عدداً كبيراً من أمرائها، ومن كانوا قد لجؤوا إليهم، غير الرعية⁽¹⁾.

بعد معركة الريدانية المعروفة، وبمجرد دخول طلائع العثمانيين القاهرة، شرعوا في تعقب الشراكسة في كل مكان، وحتى في البيوت والمقابر، فمن كان يقع منهم، تضرب عنقه فوراً.. حيث قتل منهم في يوم واحد، ثلاثمائة وثلاثون (شركسياً). فكانت الجند العثمانية تنتهك حرمة المساجد بدخول الخيل فيها، وطلعت المآذن، وصاروا يرمون بالبندق الرصاص، بحيث أن معظم قتلى المماليك كانت من رش البندق (توفنك) حتى قال ابن زنبيل عن ذلك: قاتل الله من اصطنعها، وقاتل من رمى بها⁽²⁾، بحيث تمكن العثمانيون من قتل خمسة وعشرين ألفاً من /الشراكسة / وبمجرد دخول طلائع العثمانيين القاهرة، شرعوا في تعقب الشراكسة في

(1) ابن إياس ص74.

(2) معجم البلدان، 5 ص 46.

كل مكان، وحتى في البيوت والمقابر، فمن كان يقع منهم، تضرب عنقه فوراً.. بحيث أنه قتل منهم في يوم واحد ثلاثمائة وثلاثون⁽¹⁾ كذلك عمد العثمانيون إلى قتل المصريين بوحشية لا نظير لها، سيما أن سليماً وهو في الشام كان قد هدد إذا ما دخلها، أن يحرق بيوتها قاطبةً، واللعب في أهلها بالسيف⁽²⁾. وفي الوقت نفسه، ساد النهب في القاهرة، بحجة البحث عن الشراكسة، بحيث صار الجند العثمانيون ينهبون ما يلوح لهم فلم يتركوا خيلاً ولا بغلاً ولا أقمشة، ولا قليلاً ولا كثيراً. ولم يُمنع النهب، إلا بعد ثلاثة أيام متوالية، حينما أمر سليم الانكشارية العثمانيين بالخروج من القاهرة، وكان الأمير الشركسي الغزالي قد طلب الأمان من سليم بعد الكسرة الأخيرة في القاهرة، فيظهر ومعه نحو أربعمئة مملوك دقت أعناقهم جميعاً حائثاً بأمانه وأبقى الغزالي حياً.. ويبدو أن سليماً وجد أن لا سبيل له مع طومان باي إلا أن يخوض بنفسه ضده معركة حاسمة جديدة، وقبل أن يحاربه، قتل جميع الأمراء الشراكسة المحبوسين في القلعة، وكانوا نحواً من الأربعين أو أكثر، مع أنهم نالوا أمانه بعد معركة القاهرة الأخيرة، فكان منهم من هو مقدّم مائة أو أربعين أو عشرة من أمراء الجيش الشركسي، أو من كان يتولى وظائف أخرى كبيرة في جهاز الحكم المملوكي السابق، مثل نائب القلعة، وحاجب الحجاب، والزرديكاش، وأمير سلاح، والخازندار، ورأس نوبة وكأنه بذلك قرر أن يُنهي التركيب الشركسي المملوكي في مصر إلى الأبد. وقد انتقم العثمانيون من المصريين بحرق بيوتهم وتدنيس مساجدهم ومشاهد أوليائهم، بما فيها مقام الإمام الشافعي، وقتلوا فوق عشرة آلاف تركوا جثثهم مرمية في الطرقات تنهشها الكلاب، حتى كاد يفنى أهل القاهرة نتيجة لذلك.. يحدثنا ابن إياس عن مطاردة العثمانيين للجراكسة وقطع رؤوسهم فوراً فيقول: [ثم أن العثمانية صارت تكبس على المماليك في

(1) مصر والشراكسة لراسم رشدي ص 106.

(2) ابن زنبيل ص 109 + 113.

البيوت والحارات، فمن وجدوه منهم ضربوا عنقه، وكذلك في الجوامع الكبار والمدارس والزوايا، فهجموا على الجامع الأزهر، وجامع الحاكم، وجامع ابن طولون، وغيرها وقتلوا من وجدوه من الجراكسة فيها، فقبل قبضوا على نحو ثمان مئة مملوك ما بين أمراء عشروات، وخاصكية، ومماليك سلطانية، فضربوا رقابهم جميعاً بين يدي السلطان سليم. وأخبرني (ابن إياس) من أتق به أنه شاهد جثة الأمير قانصوه (وهو غير الغوري) نائب قطيا، وهو مرمي قدام سبيل السلطان والكلاب تنهش في مصارينه وشحم بطنه، فإنه كان رجلاً جسيماً⁽¹⁾.

[وقد استمر النهب والهباج. ووضع الأتراك العثمانيون أيديهم على كل ما وصلوا إليه، وهددوا الناس بالموت إذا لم يدفعوا لهم فداء كبيراً. وقد اضطهد الجراكسة في كل ناحية، وذبحوا بدون رحمة، وعلقت رؤوسهم حول ميدان القتال. وبعد أيام دخل السلطان سليم المدينة (القاهرة) ومعه الخليفة الذي بدأ حينئذ تأثيره يظهر إذ وقفت بمساعيه الفضائع الوحشية،⁽²⁾ وفي اليوم الثاني أمر السلطان سليم باقتفاء أثر الشراكسة، [وأصدر إعلاناً يندر فيه بقتل كل من يأويهم إليه، فكشف بهذه الوسيلة عن ثمانمائة حزت رؤوسهم،⁽³⁾ ومن أعمال السلطان سليم [انتقامه بارتكاب عمل وحشي وهو قتل الأمراء (الشراكسة) المسجونين في القلعة البالغ عددهم 57 أميراً /⁽⁴⁾ وكان طومان باي قد قرر الرجوع إلى القاهرة، ولم تمض خمسة أيام على انتصار العثمانيين عليه. ففي ليلة الأربعاء، الخامس من المحرم / 28 / يناير 1517م، بعد صلاة العشاء تمكن من تسريب اتباعه في حاراتها، حتى وصلوا إلى معسكر السلطان

(1) نهاية المماليك ودخول العثمانيين إلى الشام (الرؤية المصرية) - من بدائع الزهور في وقائع الدهور - لابن إياس - ص 15/.

(2) السير ولیم مویر - تاریخ دولة المماليك في مصر - ترجمة محمود عابدين وسليم حسن. ص 194/

(3) المرجع نفسه. ص 195/.

(4) المرجع نفسه - ص 196/.

سليم وأشعلوا معسكر سليم بالنار وظن سليم أنه مأخوذ لا محالة، واستمرت مقاومة الشراكسة ومعهم المصريون أربعة أيام وليالي، إلى يوم السبت حيث ظهروا فيها على العثمانيين، وبسبب انتصار طومان باي، فإنه خطب له في القاهرة في يوم الجمعة، مع أنه في يوم الجمعة الماضية، كان قد دعا لسليم، ويبدو أن حرب الحارات التي أكره عليها العثمانيون لم تعد تلائم العثمانيين، مما جعلهم يلجؤون إلى تكتيكهم السابق بالحرب بالبارود وحده الذي كانوا يعتمدون عليه في كل حرب ناجحة، لتفوقهم فيه. فصعدت الانكشارية من رماة البندق (الرصاص) إلى المآذن، وصاروا يرمون في كل اتجاه بالبندق الرصاص، مما أجبر الشراكسة والأهالي على وقف المقاومة، واضطر طومان باي وصحبه إلى الانسحاب إلى خارج القاهرة. وقتل العثمانيون كل من وقع في أيديهم من الشراكسة، الذين تخفوا في بيوتهم أو في أماكن أخرى، وبلغ عددهم نحو ثمانمائة، من الأمراء والمماليك العاديين، بما فيهم الأمير كرباس والي مصر _ الفسطاط _ الذي هتف وهو يموت بحياة طومان باي في نصرته الله⁽³⁾، وقد اعتبرت هذه المحاولة الفاشلة من قبل طومان باي الكسرة الرابعة للمماليك الشراكسة على أيدي العثمانيين، بعد مرج دابق وغزة والريدانية. (في يوم السبت مستهل الشهر المحرم سنة 923 هجرية / أرسل السلطان سليم جماعة من الانكشارية ليقفوا على أبواب المدينة ويمنعوا النهب. وانتقل بوطاقه من بركة الحاج إلى الريدانية، وكانت العساكر العثمانية تقبض على المماليك الجراكسة من التراب وغيطان المطرية، ويحضرونهم إلى السلطان سليم فيأمر بضرب أعناقهم،.. فضرب في يوم واحد ثلاثمائة وعشرون رأساً.. وقيل قتل في الريدانية أكثر من أربعة آلاف إنسان ما بين مماليك جراكسة وعربان الشرقية والغربية دون تفريق بين أمير وغيره).⁽¹⁾

(1) محمد بن محمود الحلبي الملقب بابن أجا المتوفى سنة 881 هجرية / - العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك - صنعة - محمد أحمد دهمان - ص 284/.

وأعمل العثمانيون (الروم) السيف في العوام والغلمان وانتشرت الجثث من باب زويلة إلى الرملة ومنها إلى الصليبية وقناطر السباع إلى الناصرية ومصر العتيقة، وقدر من قتل في الأيام الأربعة للقتال بأكثر من عشرة آلاف إنسان، وهاجم العثمانيون البيوت والحارات وضربوا عنق من وجدوه من المماليك الشراكسة، وهاجموا الجوامع للغرض نفسه، ومنها الجامع الأزهر وجامع ابن طولون ومدارس ومزارات وقبضوا على نحو ثمانمائة مملوك من مختلف الرتب ضربت أعناقهم أمام السلطان سليم.

وكانت الجثث ترمى في النيل وما بقي في الطرقات تناهشته الكلاب⁽¹⁾. (وأخرج في شهر صفر نحو سبعمائة مملوك منه إلى مراكب توجهت بهم إلى الإسكندرية ومنها إلى استانبول. وضربت أعناق أربعة وخمسين أميراً من المقدمين والعشرات في ربيع الأول عندما أشيعت أخبار عن تجمع قوات جديدة لطومان باي في البهنسا⁽²⁾). وفي معركة الجيزة والهزيمة الأخيرة لطومان باي (قطع السلطان سليم رؤوس المماليك والعربان الذين كانوا مع السلطان طومان باي وحملت على مراكب وعلقت على أعمدة من الخشب ودار العثمانيون بها في القاهرة. وقيل أن عددها بلغ نحو ثمانمائة رأس بين مماليك وعربان والذين قتلوا في المعركة وألقوا في النيل أكثر من ذلك⁽³⁾).

[وفي يوم الأحد سادس ربيع الأول عدى السلطان سليم إلى بر الجيزة بسبب قتال الأشرف طومان باي. فكان بين الفريقين واقعة لم يسمع بمثلا، أعظم من الواقعة التي كانت بالريدانية. وقيل كانت هذه الواقعة عند كوم الحمام وانكسر عسكر ابن عثمان فوق ما مرة، وطردتهم "الأتراك" الجراكسة حتى ألقوا أنفسهم في البحر، وكانت الكسرة

(1) محمد بن محمود الحلبي الملقب بابن أجا المتوفى سنة / 881 هجرية - العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك - صنعة - محمد أحمد دهمان - ص / 286.

(2) المرجع نفسه - ص / 288.

(3) المرجع نفسه - ص / 293.

عليهم أولاً، وقتل منهم جماعة كثيرة. ثم بعد ذلك تكاثرت العثمانية على الأتراك " الجراكسة"، وطرشتهم الرماة بالبندق الرصاص، فهزموهم هزيمة منكرة ووقعت الكسرة على الأتراك، وولّى السلطان طومان باي مهزوماً، فتوجه إلى قرية تسمى البوطة في أعلى تروجه وهذه خامس كسرة وقعت على عسكر مصر، كان السلطان طومان باي ليس له سعد في حركاته، كلما رام ينتصر على ابن عثمان ينعكس.. فلما انتصر ابن عثمان على عسكر مصر، قطع رؤوس الفرسان الجراكسة، وقطع رؤوس جماعة كثيرة من العريان الذين كانوا مع السلطان طومان باي، فلما تكامل قطع الرؤوس رسم ابن عثمان بإحضار مراكب، فلما حضرت وضعوا فيها رؤوس الذين قتلوا، فلما عادوا إلى بولاق صنعوا مداري خشب، وعلقوا عليها تلك الرؤوس، وحملتها النواتية على أكتافها، ولاقتهم الطبول والزمور ونادوا في القاهرة بالزينة فزيت زينة حافلة، وشقوا بتلك الرؤوس من البحر إلى باب القنطرة. وقيل كان عدة الرؤوس الذي قتلوا في هذه الواقعة ودخلوا القلعة نحو ثمانمائة رأس ما بين أتراك (أي جراكسة) وعريان وغير ذلك، والذين قتلوا هناك وألقوهم في البحر أكثر من ذلك⁽¹⁾. وهنا لا بد لنا أن نعلم كيف دافع السلطان الشركسي حتى آخر رمق في حياته عن العروبة والإسلام في مصر بعد معركته الخاسرة في الريدانية: [في يوم الأربعاء ثاني ربيع الأول رسم السلطان سليم شاه بأنّ الأمراء الذين كانوا بالقلعة في الترسيم يحضرون بين يديه في الوطاق الذي في بركة الحبش، فنزلوا بهم من القلعة: شيء على بغال، وشيء على حمير، وشيء مشاة. وهم في جنازير وعليهم كبورة عتق، وعلى رؤوسهم كوايف بغير شاشات. وقيل كان فيهم من الأمراء المقدمين سبعة، وهم: أركماس أمير سلاح، وأنص باي أمير آخور، وتمر رأس نوبة النواب،

(1) نهاية المماليك ودخول العثمانيين إلى الشام (الرؤية المصرية) - من بدائع الزهور في وقائع الدهور - لابن إياس - ص 362 + 363. (كانوا يسمون الشراكسة أتراكاً في تلك الأيام والعثمانيين كانوا يسمون بالروم ومن يريد الاستزادة يرجى الرجوع إلى كتاب عدنان قبرطاي - الأصول الشركسية للسلطين البحرية - .

وطقطباي حاجب الحجاب، وتاني بك الخازندار أحد الأمراء المقدمين، وتاني بك النجمي أحد الأمراء المقدمين، وقانصوه أبو سنة أحد الأمراء المقدمين. وأما الأمراء الطبلخانات فهم قاني بك رأس نوبة ثاني، ومصرباي الأقرع، والماس والي القاهرة، وماماي الصغير المحتسب، ويوسف الأشرفي الزردكاش الثاني. وآخرون من الأمراء الطبلخانات لم تحضرنني أسماؤهم الآن. وأما الأمراء العشراوات فجماعة كثيرة لم تحضرنني أسماؤهم فكان مجموع هؤلاء الأمراء المقدم ذكرهم / أربعة وخمسين أميراً / ما بين مقدمين ألوف وغير ذلك. فلما مثلوا بين يدي السلطان سليم شاه وبّخهم بالكلام ثم أمر بضرب أعناقهم أجمعين فضربت أعناقهم في الوطاق الذي ببركة الحبش، وذلك في يوم السبت خامس ربيع الأول. وصارت أجسادهم مرمية على الأرض تتهشهم الكلاب بالنهار والضباع والذئب بالليل، وصارت المرأة من نساء الأمراء المقدمين "تبرطل" المشاعلية بمال له صورة حتى يمكنوها من نقل جثة زوجها، فتحضر له تابوتاً وحمالين يحملونه من بركة الحبش إلى المدينة، فتغسله وتكفنه وتدفنه في تربته إن كان له تربة وتركت جثث البقية هناك مرمية تتهشها الكلاب. وكانت هذه الكائنة من أعظم الكوائن في حق الأمراء. وقد ظهرها بالأمان لابن عثمان، ثم غدرهم وقتلهم، فكان لا يثق أحد له بالأمان وليس له قول ولا فعل⁽¹⁾.

ومن فرمان السلطان سليم لأهل دمشق في بشارة النصر وأخذ مصر نورد هذا القسم: ((فالتجؤوا إلى بعض البيوت الحصينة، فحرقنا عليهم

(1) نهاية المماليك ودخول العثمانيين إلى الشام (الرؤية المصرية) - من بدائع الزهور في وقائع الدهور - لابن إياس - ص 360 + 361. (هذا السلطان قتل إخوته الستين وجاء مصر ليقتل أخوه / جانم / الذي التجأ إلى السلطان الشركسي قانصوه وأجاره. وبهذه الطريقة البشعة قضى على قادة الجيش الإسلامي الذي كان يدافع عن الأرض العربية والإسلامية ضد كل الغزوات التي مرت من صليبيين ومغول وتتار وحتى ضد العثمانيين الذين تركوا فتوحاتهم في أوربا واتجهوا لقتال المسلمين، وقضوا غدرًا بمدافعهم المتحركة على أكبر وأقوى جيش إسلامي في تلك الأيام..

تلك البيوت التي التجؤوا إليها، وبقوا في العذاب الأليم، وأرادوا الهرب فما لقوا لهم طريقاً إلا بحر النيل، " فأرما " أنفسهم فيه، وغرقوا كيوم فرعون..وبعون الله تعالى قتلنا جميع الجراكسة، ومن انضم إليهم من العريان، وجعلنا دماءهم مسفوحة وأبدانهم مطروحة، ونهب عسكرنا قماشهم وأثاثهم وديارهم وأموالهم وبركهم ويرقهم، ثم صارت أبدانهم للهوام⁽¹⁾. وعن نهاية سلطنة جانبرد الغزالي وثورته على العثمانيين نقول: (وقتل العثمانيون نحو الثلاثة آلاف نفس وستين، ونهبت الحارات والقرى حول دمشق، وأخذ بعض نساء وأولاد...وكذا في كل حارة من حارات دمشق، فكف العسكر بعض الكف، ثم جهز رأس الغزالي إلى الخنكار ومعه نحو ألف أذن من المقتولين)⁽²⁾. وفي سنة 1199هجرية / الموافق لعام / 1784م / جاء الجيش التركي إلى مصر _ بينما عسكر بقية المماليك تحت زعامة كبيرهم عثمان بك البرديسي ومحمد بك الألفي في الجيزة ودبر الصدر الأعظم العثماني وقبطان باشا مكيدة للتخلص من المماليك، وأوهماهما بإعداد وليمة لهم في أبي قير فلما لبى المماليك (الشراكسة) الدعوة ما لبثوا أن أدركوا الشرك الذي نصب لهم فحاولوا الفكاك منه فنجح البرديسي واثان آخران وقتل بعض الزعماء هذا في حين أن الصدر الأعظم في القاهرة أرسل من رجاله من هاجم المماليك في الجيزة وأحرقوا بيوتهم.. وما أن تولى خسرو باشا الولاية في مصر، حتى حاول القضاء على بقية المماليك وقد أصبحوا تحت زعامة البرديسي والألفي. ولكن محاولته فشلت لأن المماليك كانوا أصحاب الكلمة في الصعيد بينما لم يكن يدين للباب العالي بالطاعة سوى القاهرة والإسكندرية. وكان بين رجال التجريدة العثمانية السابقة جماعات من الأرنؤوط (الألبانيين) والانكشاريين فتفرقت هذه الجماعات لحماية مصر السفلى

(1) المرجع نفسه - ص /293/.

(2) محمد بن محمود الحلبي الملقب بابن أجا المتوفى سنة /881 هجرية / - العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك - صنعة - محمد أحمد دهمان - ص /309+310/.

وبعض مدن الصعيد. أما الإنكليز بقيادة هتشنسون فظلوا في الإسكندرية ريثما يولى الباب العالي والياً عثمانياً يكبح جماح المماليك (الشراكسة) الذين كانوا ما يزالون يحاولون الاستقلال بمصر. فعين الباب العالي أحمد خسرو باشا وكان في الأصل من مماليك حسين قبطان باشا وهو الذي سعى له في هذه الولاية. وكانت معه أوامر سرية بإعدام المماليك بأية وسيلة فشرع في محاربتهم وكانوا في الصعيد، وعادت حملة خسرو من الصعيد بالفشل، ثم حاربهم مراراً في أماكن مختلفة وفي جملتها واقعة بعث إليها من جنده وكان محمد علي قد ترقى إلى رتبة (سرشمسة) وأصبح قائداً لأربعة آلاف من الألبانيين. فأمره خسرو بمد حملته، ولكن محمد علي وصل بعد أن كانت حملة خسرو قد دارت عليها الدوائر، ونسب قائدها هزيمته إلى تأخر وصول محمد علي فحقد خسرو عليه وأصر على إعدامه سراً.

- [تأمر إبراهيم كيخيا الانكشاري التركي العثماني وإسماعيل كخيا العزب وكلاهما من وفاق الجيش (الأتراك) العثمانيين في مصر، واتفقا مع - كيور أحمد باشا الوالي التركي على إبادة البكوات الشراكسة، فقتلوا علي بك الدمياطي (الشركسي). ثم اتفقوا على دعوة البكوات الشراكسة إلى القلعة، ثم تقفل جميع المنافذ على من فيها ويقتلونهم. فنفذوا هذه المؤامرة، وأول من قتل من البكوات الشراكسة - خليل بك ومحمد بك ثم كثيرون غيرهم. وحاول علي بك وعمر بك البلاط الفرار فتبعهما الباشا بنفسه، ثم لاقاهما إبراهيم ورضوان وقتلاههما عند باب القلعة. ولم يدفن من القتلى إلا خليل بك ومحمد بك⁽¹⁾. وقد اتبع مثل هذه الطريق الغادرة فيما بعد - زمن محمد علي باشا الأرنؤوطي - في التخلص من الشراكسة. (وكان ذلك في ظل الحكم العثماني لمصر قبل عمل محمد علي باشا على استقلاله بمصر وإعلانه قيام الخديوية في مصر..).

(1) تاريخ مصر الحديث للمرحوم جورجي زيدان - الجزء 2 ص - /112/.

ب - مذابح محمد علي باشا الأرنؤوطي الذي كان يحكم مصر باسم الدولة العثمانية ضد الشراكسة: كان محمد علي والياً من قبل الدولة العثمانية عندما ارتكب المذبحة المشهورة في قلعة القاهرة، وقد وصف مذبحة القلعة المؤرخ الكبير الجبرتي المعاصر لتلك الأحداث التاريخية حيث تمت المجزرة في ظل الحكم العثماني الطوراني في تلك الأيام: ففي سنة /1809م/ وصل الأمر إلى محمد علي باشا باحتلال الحجاز.. وقد وصف ((الجبرتي))⁽¹⁾ مذبحة القلعة بشيء من التفصيل في تاريخه. والجبرتي - فوق أنه مؤرخ له مقامه - عاصر المذبحة ودون أنباءها. ولذلك رأينا أن ننقل وصفه هنا كما رواه، مع شيء من التهذيب في بعض الألفاظ. قال⁽²⁾: [وفيه قلد الباشا ابنه طوسون باشا صاري العسكر المتوجه إلى الحجاز. وأخرجوا جيشهم إلى ناحية قبة العزب ونصبوا الخيام. وأظهر الباشا الاجتهاد الزائد والعجلة وعدم التوان، ونوّه بتفسير عساكره لناحية الشام لتمليك يوسف باشا عمله، وأن صاري عسكرهم شاهين بك الألفي ونحو ذلك من الإيهامات. وطلب من المنجمين أن يختاروا وقتاً صالحاً لإلباس ابنه خلعة السفر، فاختروا له الساعة الرابعة من يوم الجمعة. فلما كان يوم الخميس طاف "آلي جاويش" بالأسواق وحوله "قابجية" ينادون بقولهم (يارن آلي) ويكررون ذلك في أخطاط المدينة. وطافوا على كبار العسكر والأمراء المصرية الألفية وغيرهم يطلبونهم للحضور في باكر النهار إلى القلعة ليركب الجميع (بتجملاتهم) وزينتهم أمام الموكب. فلما أصبح يوم الجمعة ركب الجميع وطلعوا إلى القلعة وطلع المصرية (أي أمراء الشراكسة) بمماليكهم وأتباعهم وأجنادهم. فدخل الأمراء⁽³⁾ عند الباشا وصبّحوا عليه وجلسوا معه حصة وشربوا القهوة وتضاحك معهم. ثم سار

(1) من أدق ما كتب في مجال المذبحة التي قام بها الجزار محمد علي باشا الملقب بالكبير، ما كتبه المؤرخ الجبرتي ولن أراد الاستزادة بالتفاصيل يرجى الرجوع إلى تاريخ الجبرتي.

(2) تاريخ الجبرتي - الجزء الرابع - ص 127 وما بعدها.

(3) لاحظ أن الجبرتي لا يسميهم بالمماليك بل بالأمراء ٤.

الموكب على الوضع الذي رتبوه. فسارت طائفة الدلاة (المغاربية) وأميرهم المسمى (أزون علي) ومن خلفهم الوالي والمحتسب والآغا والوجاقلية والألدشات المصرية ومن تزيًا بزيهم، وإبراهيم آغا آغات الباب وسليمان بك البواب يذهب ويجيئ ويرتب الموكب. فلما أنجر الموكب وفرغ طائفة الدلاة ومن خلفهم الوجاقلية والألدشات المصرية وانفصلوا من باب العزب، عند ذلك أمر صالح قوج بغلق الباب، وعرف طائفته بالمراد، فالتفوا ضاربين بالمصرية⁽¹⁾ وقد انحصروا بأجمعهم في المضيق المنحدر، فلما حصل الضرب أراد الأمراء الرجوع القهقري فلم يتمكنوا من ذلك لانتظام الخيول في مضيق النقر. وعلم العساكر الواقفون بالأعالي المراد، فأخذوا هم أيضاً بالضرب، فلما نظروا ما حلّ بهم أسقط في أيديهم، وارتبكوا وتحيروا في أمرهم، ووقع منهم أشخاص كثيرون. فنزلوا عن الخيل واقتحم شاهين بك وسليمان بك البواب وآخرون في عدة من مماليكهم راجعين إلى فوق والرصاص نازل عليهم من كل ناحية، ونزعوا ما كان عليهم من الفراوي والثياب الثقيلة، ولم يزالوا سائرين وشاهرين سيوفهم حتى وصلوا إلى الرحبة الوسطى المواجهة لقاعة الأعمدة وقد سقط أكثرهم. وأصيب شاهين بك ووقع إلى الأرض، فقطعوا رأسه وأسرعوا بها إلى الباشا ليأخذوا عليها البقشيش. وكان الباشا عندما ساروا بالموكب ركب من ديوان السراية وذهب إلى بيت الحریم وهو بيت إسماعيل أفندي الضريخانة. وأما سليمان بك البواب فهرب من حلاوة الروح، وصعد إلى حائط البرج الكبير، فتابعوه بالضرب حتى سقط وقطع رأسه هو أيضاً. وهرب كثيرون إلى بيت طوسون باشا بقصد اللتجاء إليه فقتلوهم وأسرف العسكر في قتل الأمراء المصريين وسلب ما عليهم من الثياب، ولم يرحموا أحداً، وأظهروا كامن حقدهم، فلم يرقوا لصارخ ولا شاك ولا مستغيث، وتتبعوا الهاربين في نواحي القلعة وزواياها وقبضوا على كل من أمسك حياً أو لم يمت من الرصاص أو كان متخلفاً عن الموكب أو جالساً مع

(1) كان المؤرخ الجبرتي يصف الأمراء الشراكسة (بالمصرية).

الكتخدا كأحمد بك الكيلارجي ويحيى بك الألفي وعلي كاشف الكبير، فسلبوا ثيابهم وجمعوهم إلى السجن تحت مجلس كتخدا بك، ثم أحضروا (المشاعلي) لرمي أعناقهم في حوش الديوان واحداً بعد الآخر، من ضحوة النهار إلى أن مضت حصة من الليل، حتى امتلأ الحوش بالقتلى. وكانوا كلما مات أحد المشاهير المعروفين قطعوا رأسه وسحبوا جثته إلى باقي الجثث، حتى أنهم ربطوا شاهين بك من رجليه ويديه وسحبوه على الأرض مثل الحمار الميت إلى حوض الديوان. وهذا ما حصل بالقلعة. وأما أسفل المدينة، فإنه عند ما أغلق باب القلعة وسمع من بالرميلة صوت الرصاص دبّ الخوف في نفوس الناس وهرب من كان واقفاً بالرميلة. وعندما تحقق العسكر حصول الواقعة وقتل الأمراء انبثوا كالجراد إلى بيوت الأمراء ومن جاورهم طالبين النهب والغنيمة، فولجوها بغتة ونهبوها نهباً ذريعاً، هتكوا الحرائر والحريم، وسحبوا النساء والجواري والخوندات الستات وسلبوا ما عليهنّ من الحلي والجواهر والثياب، وأظهروا الكامن في نفوسهم، ولم يجدوا مانعاً ولا رادعاً. وبعضهم قبض على يد امرأة ليأخذ منها السوار فلم يتمكن من نزعها بسرعة فقطع يد المرأة. وحل بالناس في بقية ذلك اليوم من الفرع والخوف وتوقع المكروه مالا يوصف. ونهبت دور كثيرة من دور الأعيان الذين ليسوا من الأمراء المقصودين. وأصبح يوم السبت والنهب والقتل والقبض على المتوارين والمختفين مستمر. وركب الباشا في الضحوة ونزل من القلعة وحوله أمراؤه الكبار مشاة، وأمامه وخلفه عدة الفرع، والسرور بقتل الأمراء المصريين ونهبهم والظفر بهم، طافح من وجوههم. فأوقف الباشا أعمال النهب وقاصص اثنين ممن ضبطوا في نهب أحد بيوت المغاربة. ثم عرج على بيت الشيخ الشرقاوي وكان قد التجأ إليه شخصان من الكشاف، فكلمه بشأنهما وترجى عنده في أعناقهما، فمَنحهما الباشا الأمان، ثم ركب الباشا إلى القلعة وأرسل ورقة إلى الشيخ يطلبهما. فقال لهما الشيخ: إن الباشا أرسل هذه الورقة يؤمّنكما ويطلبكما إليه، فقالا: وما يفعل بنا؟ إنه لاشك يقتلنا! فقال الشيخ: لا يصح ذلك ولا يكون، كيف يأخذكم من بيتي ويقتلكم بعد أن قبل شفاعتي؟ فذهبا مع الرسول، وعندما

وصلا إلى الحوش وجدوه مملوءاً بالقتلى، وضرب الرقاب مازال واقعاً بالمحبوسين. فقبضوا عليهما، وأدرجا في ضمنهم! وقد نزل طوسون باشا وقت نزول أبيه وأوقف النهب. أما القبض على الأجناد والمماليك فمستمر، وكذلك كل من كان يشبههم في الملبس والزي. وأكثر من كان يقبض عليهم كانوا عساكر حسن باشا الأرنؤدي، فكانوا يكبسون عليهم في الدور والأماكن ويقبضون عليهم وينهبون بيوتهم. وأما كتحدا بك فإنه لم يرحم أحداً. وكلما أحضروا له واحداً من الأمراء أو رجالهم ولو هراماً أو فقيراً أمر بضرب عنقه. وأرسل أوراقاً إلى كشاف النواحي بقتل كل من وجدوه بالقرى والبلاد من البكوات والمماليك. فوردت الرؤوس في ثاني يوم، فكانوا يضعونها بالرميلة وعلى مصطبة السبيل المواجهة لباب زويلة. والباشا كان يعلم شدة كراهية كتحده للمماليك ففوض له الأمر فيهم. فقتل في هذا الحادث أكثر من ألف إنسان من أمراء وأجناد وكشاف ومماليك، ثم صاروا يحملون جثثهم على الأخشاب ويلقونهم عند المغسل بالرميلة، ثم يرفعونهم ويلقونهم في حفرة في الأرض بعضهم فوق بعض. وسلخوا عدة رؤوس من رؤوس العظماء. وألقوا جماجمهم المسلوخة على الجثث في تلك الحفرة، فكانت هذه الأمور من أشنع الحوادث التي لم يتفق مثلها. ولم ينج من الألفية إلا أحمد بك زوج عديلة هانم بنت إبراهيم بك الكبير، فإنه كان غائباً بناحية ((بوش)) وأمين بك الذي تمكن من الفرار من القلعة بجواده وهرب إلى الشام، وعمر بك الألفي إذ كان مسافراً في ذلك اليوم إلى الفيوم، ولكنه قتل هناك فيما بعد وبعثوا برأسه مع 15/ رأساً أخرى. وأما من قتل في ذلك اليوم ممن ذكر وبلغني خبره فهم: شاهين بك كبير الألفية، ويحيى بك، ونعمان بك، وحسين بك الصغير، ومصطفى بك الصغير، ومراد بك، وعلي بك وهؤلاء من الألفية. ومن غيرهم: أحمد بك الكيلارجي، ويوسف بك أبو دياب، وحسن بك صالح، ومرزوق بك بن إبراهيم بك الكبير، وسليمان بك البواب، وأحمد بك تابعه، ورشوان بك، وإبراهيم بك تابعه، وقاسم بك تابع مراد بك الكبير، وسليم بك الدمرجي، ورستم بك الشرقاوي، ومصطفى بك أيوب، ومصطفى بك تابع عثمان بك حسن، وعثمان بك إبراهيم، وذو

الفقار تابع جوجر بك، ومن الأمراء الكشاف: كاشف الخازندار، وعثمان كاشف الحبشي، ويحيى كاشف، ومرزوق كاشف، وعبد العزيز كاشف، ورشوان كاشف، وسليم كاشف طرطر، وفايد كاشف، وجعفر كاشف، وعثمان كاشف، ومحمد كاشف أبو قطية، وأحمد كاشف الفلاح، وأحمد كاشف، ومحمد آغا، و خليل كاشف، وعلي كاشف قيطاس، وموسى كاشف، وغيرهم ممن لم تبلغني أسماؤهم وهم كثيرون. ختم الله للجميع بالخير، فإنه بلغني ممن عاينهم بالسجن وأثناء القتل أنهم كانوا يقرؤون القرآن وينطقون بالشهادتين والاستغفار، وبعضهم طلب ماء وتوضأ وصلى ركعتين قبل أن يرمى عنقه، ومن لم يجد ماء تيمم وصلى. وفي ثامنه نودي على نساء القتلى بالأمان، وأن يعدن إلى بيوتهن. فعاد البعض، وأثر البعض الآخر الاختفاء(خصوصاً اللواتي نهبت منازلهن ولم يبق لهن شيء. وأنعم الباشا على خواصه بالبيوت بمن فيها، فسكنوها وألبسوا النساء الخواتم (٤) وجددوا الفرش. وأنعم ببيت شاهين بك على حسين آغا أحد أقربائه. وأما أحمد بك الألفي، فوصله النذير فانتقل من قرية بوش إلى الجنوب^(١). وأبلغ إخوانه هناك ما حدث في القاهرة والأقاليم. وعلم إبراهيم بموت ولده على هذه الصورة، فأقاموا العزاء على إخوانهم ولبسوا السواد^(٢).

ج - المذبحة الكبرى ضد الشراكسة القفقاسيين حكام العراق بأمر السلطان العثماني: اتجه حسن باشا إلى تكوين جيشه من المماليك، الذين كانوا يجلبون غالباً من بلاد القوقاز = القفقاس^(٣)، [ظلت الدولة العثمانية

(١) سنتحدث عن أعمالهم في السودان فيما بعد.

(٢) راسم رشدي - مصر والشراكسة - صفحات من تاريخ مصر الحديث.

(٣) بلاد الشراكسة حيث كانت كلمة القوقاز أو القفقاس تعني مباشرة في تلك الأيام الشراكسة الذين كانوا عددياً أكبر أمة في القفقاس قبل الغزو والإبادة التي قام بها الروس ضد هذه الأمة المنكوبة منذ أجيال متعاقبة، ومن بعدها كان نصر الروس سبباً لطرد هذه الأمة العريقة من بلادهم الأزلية ولم يتبق منهم في القفقاس الشمالي سوى عشرهم.

==

تسمى جبال القفقاس بجبال القبق فقد أحصى جلزر (الصدر العظام الذين تعاقبوا على الحكم في الإمبراطورية العثمانية في أوج مجدها وازدهارها ما بين سنة /1453- 1623م/ فبلغت عدتهم ثمانية وأربعين " صدرًا أعظم " واحد منهم شركسي من القبق (القوقاز))⁽¹⁾ . وفي شأن المجازر "موضوع بحثنا" ضد الشركاسة ، كتب السيد باقر ياسين في كتابه - العنف الدموي في العراق ما يلي: [خضع العراق لحكم المماليك في منتصف القرن الثامن عشر ودام ما يقارب من ثمانين عاماً ، فقد بدأ في عام /1749م/ بولاية سليمان باشا (أبو ليلة) وانتهى في عام /1831م/ بعزل داوود باشا وكان مماليك العراق يشبهون مماليك مصر من حيث أصلهم ونشأتهم... وكانوا يستجلبون أطفالاً كالانكشارية فيودعون في مدارس خاصة بهم ليتعلموا القراءة والكتابة والسباحة والفروسية وفنون القتال فإذا تخرّجوا ، أدخلوا في سلك الجيش أو الوظيفة الحكومية. إن أول من عني باستجلاب المماليك في العراق هو الوالي المشهور حسن باشا.. فقد أراد هذا الوالي ، أن يجعل لنفسه جنداً مختصين به - يستعين بهم ويتعصبون له فأرسل إلى بلاد القفقاس من يأتي إليه منها بالصبيان⁽²⁾... وبشأن المجزرة الدموية التي ارتكبت بحق المماليك في العراق ، " زمن الدولة العثمانية" ومعظمهم من الشركاسة نقول: [.. بعد أن دخل الوالي علي رضا باشا مدينة بغداد تظاهر بالرغبة في المصالحة والرضا عن المماليك وعين بعضهم

وفي تاريخ ابن خلدون ج/2/ ص /282/ :

(وأقامت غسان بعد منصرفها من الشام بأرض القسطنطينية حتى انقرض ملك القياصرة ، وتجهزوا إلى جبل تركس وهو ما بين بحر طبرستان وبحر بنطس الذي يحده خليج القسطنطينية ، وفي هذا الجبل باب الأبواب وفيه من الشعوب الترك المتحصرة الركس واركس والأص وكسا ، ومعهم أخلاط من الفرس ويونان والشركس غالب على جميعهم..

(1) كارل بروكلمان (تاريخ الشعوب الإسلامية) ص /113/ ..

(2) د - علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج1 ، مصدر سابق - ص - /149/ .

في مناصب عالية، غير أنه كان يعدّ كميناً لإبادتهم في وقت لاحق، فقد دعاهم في أحد الأيام إلى اجتماع عام في السراي ومعهم بعض أعيان بغداد والمتنفذين فيها. تحت حجة إبلاغهم بالفرمان السلطاني الذي وصله من اسطنبول، وقد وُزِعَ قبل الحفل أعداداً من الجنود الألبان على أسطح وشرفات وأروقة السراي، وبعد تناول القهوة نهض شخص اسمه (علي آغا) وطلب من الجنود أن يقتل كل منهم من كان بقربه من المماليك وبدأ هو بالتنفيذ فقتل بسيفه المملوك الذي كان يقف بجانبه (ونظراً للسرعة التي تمّ بها تنفيذ تلك المذبحة)، فإن المماليك لم يستطيعوا سحب سيوفهم من أعمادها والدفاع عن أنفسهم فماتوا جميعاً في وقت واحد⁽¹⁾.. ونتيجة الفوضى الدموية التي حصلت خلال تنفيذ المجزرة فقد قتل عدد من مؤيدي الوالي علي رضا ممن انضموا إليه وأيدوه قبل دخوله إلى بغداد وكانوا يأملون من ذلك بالحصول على الأمان والحماية في العهد الجديد، لكن ذلك لم يشفع لهم في شيء وسط تلك المعمة الدموية المجنونة، بعد أن تصاعد صوت العنف الدموي عالياً في أرجاء السراي ببغداد فتوسدوا الأرض جثثاً هامدة. وكان الأمر الأخطر بعد انتهاء المجزرة، هو صدور الأوامر بقتل جميع المماليك أينما وجدوا، وبذلك فتحت الدولة على المستوى الرسمي جميع الأبواب أمام انبعاث موجة مرعبة من العنف الدموي والقتل على الشبهة في كل مكان من العراق، بعد أن ترك للعامة والجنود تنفيذ ذلك الأمر الدموي الصادر من السراي. وكان ذلك في عام 1831م/⁽²⁾. أي بعد نحو عشرين عاماً من مذبحة القلعة في مصر التي جرت أيضاً على يد الألبان في ظل الدولة العثمانية التي لم تحرك ساكناً ضد هذه المجزرة الرهيبة الغادرة لأنها كانت بأمرها وتديرها..

وفيما يخص امتداد هذه المذبحة في العراق يذكر الدكتور علي الوردي رواية منقولة عن شاهد عيان كيف جرى مقتل ابن سليمان الكبير

(1) المرجع نفسه ص - /330/.

(2) باقر ياسين - تاريخ العنف الدموي في العراق - ص - /243 + 244/.

المدعو - صالح بيك - وهو من وجهاء المماليك الذين لم يحضروا تلك المأدبة الدموية فيقول: (أسرع إليه جمع من الجنود بينما كان راكباً حصانه وانهالوا عليه ضرباً وطعناً فنطق بعبارة آمنت بالله وبالشهادتين ثم خرّ إلى الأرض صريعاً فتقدموا منه وحزّوا رأسه ثم تركوا جثته عارياً في أحد الأزقة لا يسترها شيء)⁽¹⁾. ربما كانت تلك هي المكافأة التي نالها والده سليمان باشا الكبير بعد خدماته الطويلة.. وبعد انتهاء المجزرة صدرت الأوامر أيضاً بمصادرة أموال المماليك وثرواتهم وأملاكهم وأرسلت اسطنبول شخصاً خبيراً بالأموال المالية والحسابات اسمه عارف أفندي الدفترى وراح المنافقون من جماعة الوالي يطاردون أقارب المماليك وعائلاتهم ونسائهم ويعذبونهم لكي يقرّوا بالأموال والثروات وأماكن الكنوز المدفونة، وضربوا "بالقلقة" حتى النساء وكونوا أجسادهم بالحديد المحمّى.. وجمعت حصيلة ذلك كله وبيعت بالمزاد وأرسلت المبالغ للسلطان العثماني⁽²⁾ [.. ليصرفها على جواريه⁽³⁾ ...]

(1) د. علي الوردي، - الوردي - لمحات اجتماعية - ج1 - ص - /280/، نقلاً عن

جيمس بيلى فريز وستيفن لونكريك - ص - / 281 /، نقلاً عن سليمان فائق.

(2) باقر ياسين - تاريخ العنف الدموي في العراق - ص - / 244 /.

(3) كانت إحدى جوارى السلطان العثماني تصرف أعشار ولاية سورية كلها منفردة

المبحث الخامس

العثمانيون كانوا من رواد الإبادة والتهجير السكاني والتوطين

كان العثمانيون منذ فترة طويلة يتبعون سياسة التهجير وبناء المستعمرات وتغيير أماكن السكن بشكل مستمر. وقد خططوا لذلك منذ بداية احتلالهم للأناضول، ويعتبرون من الرواد الأوائل في العالم في هذا المجال. واعتبرت هذه العمليات إحدى أسس الإدارة في الدولة وخلال فترة قوتها قامت بالعديد من عمليات التهجير الجماعي بخطط مدروسة وبشكل مستمر، وذلك لحل كثير من الخلافات والقضايا التي تقع في مناطق نفوذها... فعندما دخل الأتراك الأناضول عام /1071م/ لم تكن خالية من السكان، فأين ذهب هؤلاء السكان الأصليين؟ وهم طبعاً ليسوا من الأتراك. وكيف استطاع العثمانيون التي اتسعت إمبراطوريتهم بشكل كبير أن يملؤها بالأتراك؟

إن احتلال الأتراك للأناضول كان بأسلوب (الفتح) بالقوة ثم انتهاج سياسة بناء الحصون وأخيراً توطين أتباعهم فيها⁽¹⁾.. كانوا يهجرّون قسماً من السكان الأصليين إلى مناطق أخرى، ويجبرون غيرهم على الهجرة إلى هذه المناطق المحتلة حتى يقضوا على التفوق العنصري والقومي في تلك المنطقة، ويعادلوا ما بين القادمين والمهجرّين⁽²⁾. كان العثمانيون يحاولون تبريك جميع المناطق التي يحتلونها، ولكنها عملية صعبة جداً. لذا نجد في

(1) البرفسور فؤاد كوبرولو - نشوء الإمبراطورية العثمانية - أنقرة - عام /1959م/.
(2) كان النفي أحد أسس الإسكان - من مقالة البرفسور أ. لطفى باركان - نشرت في مجلة كلية الاقتصاد بجامعة اسطنبول. (من كتاب التهجير لنهاد برزج - ص /39).

كل معاهدة أو صلح يعقدونه كانت أهم نقاط الخلاف والمزايدة هي توطين المهجرين فيها⁽¹⁾ ..

فكلما تقدم الجيش التركي كانت مدن بيزنطة تصبح خالية من السكان، إما بالقضاء عليهم أو بتهجيرهم إلى أماكن أخرى، (وأصبح جيوشها التي كانت تعدّ بمئات الآلاف في كل جيل خلال سبعة قرون، مكونة في غالبيتها من أولاد الشعوب المهورة والمستعمرة، "هؤلاء تم تسميتهم الانكشارية، التي تعني باللغة التركية الجيش الجديد" وهؤلاء الانكشارية المماليك فعلاً هم مهجرون من بلادهم الأصلية الأوربية خاصة، وهي طريقة مبتكرة للتهجير والتوطين لأبناء الشعوب الأخرى..) وسرعان ما يرسلون قسماً من أتباعهم إلى هذه المدن والقرى..

كما أنه بات معروفاً أن حركة نقل الكتل البشرية التي عمدت إليها الحكومة العثمانية من أجل تترك - روم إيلي⁽²⁾ - كان أغلب عناصرها من هؤلاء الأقباط⁽³⁾. لذا أورد هنا وثيقة تبين أن العثمانيين كانوا من رواد التهجير السكاني والتوطين وفق أهوائهم ومصالحهم السياسية والاقتصادية والعسكرية.. وغيرها من المصالح المختلفة، في أوقات مبكرة من قيام دولتهم العثمانية والوثيقة تقول:

[تم نقل كتل من أناس من - الروم إيلي⁽⁴⁾ - إلى أرجاء الأناضول المختلفة الأرجاء، إذ يحوي دفتر لواء أرفانيد المؤرخ عام 1431/ - 1432م / الموافق لعام 835هجرية / قيوداً للبيكوات فرسان التيمار الذين جيء بهم

(1) المرجع نفسه - ص / 39 / .

(2) بلاد الروم أي الدولة البيزنطة سابقاً، والتي فتح عاصمتها القسطنطينية السلطان محمد الفاتح عام 1452م / .

(3) صلاح الدين جاتين ترك، اليورك وأوضاعهم الحقوقية - المجلد الثاني - أنقرة - ص / 109 - 110 - من كتاب جنكيز أورهنولو - إسكان العشائر ترجمة فاروق مصطفى - ص / 36 / .

(4) بلاد الروم أي الدولة البيزنطة سابقاً، والتي فتح عاصمتها القسطنطينية السلطان محمد الفاتح عام 1452م / .

إلى هنا من مختلف أنحاء الأناضول. كما يذكر دفتر تحرير مؤرخ عام 1487م/ تخميناً أنه تم نفي فرسان مسيحيين مع أتباعهم من طرابزون، وأسكن مكانهم أناس جيء بهم من مناطق طوقاط، وصمسون وبافر وجوروم وأماسيا.⁽¹⁾ واستمروا تاريخياً [في اتباع سياسة التهجير والتوطين وبناء المستعمرات وتغيير أماكن السكن بشكل مستمر في تاريخهم الاستيطاني الطويل. وقد خططوا لذلك منذ بداية احتلالهم للأناضول، ويعتبرون من الرواد الأوائل في العالم في هذا المجال كما قلنا سابقاً. واعتبرت هذه العمليات إحدى أسس الإدارة في الدولة العثمانية، وخلال فترة قوتها وسموتها وتوسعها الاستعماري، قامت بالعديد من عمليات التهجير الجماعي بخطط مدروسة وبشكل مستمر، وذلك لحل كثير من الخلافات والقضايا التي كانت تقع في مناطق نفوذها، والتي سندرست نماذج عنها فيما بعد [.. ففي عهد السلطان سليم تم نقل بعض القبائل التركية إلى المناطق الشمالية من البلاد العربية وأسكنوها في المنطقة الجبلية الممتدة من جبال طوروس (السورية) إلى جبال الساحل السوري وجعل مراكزها - اسكندرونة - وبيلان وانطاكية، تلك المناطق المأهولة بسكان عرب يرجع أصلهم إلى - الحمدانيين - فعارض هؤلاء العرب وقاوموا سكنى القبائل التركية الدخيلة فقام السلطان سليم سنة 1521م/ بمجزرة هائلة لا تقل عن مجزرة (جنكيز خان) وهولاكو وتيمورلنك⁽²⁾].

(1) جنكيز أورهنلو - إسكان العشائر في عهد الإمبراطورية العثمانية - ترجمة: فاروق مصطفى - ص / 149.

(2) مفيد عرنوق - تاريخ سهل العمق - دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - ط1 سنة / 2001م دمشق - ص / 120.



نتائج الحملة الصليبية المعروفة بالثالثة

وكما نعلم كانت الدولة العثمانية في نهاية القرن السابع عشر وما بعدها قد تعرضت لخسائر فادحة على جبهات القتال المختلفة، مما جعل وضعهم في غاية الصعوبة ومن أهم التغيرات التي طرأت على الإمبراطورية العثمانية أن الاضطرابات الاجتماعية هدمت القرى، وشتت الفلاحين الذين يشكلون القاعدة الأساسية للبنية التحتية الداخلية للمجتمع. وكان أهم ما يهيم الدولة العثمانية (المعتمدة أساساً في اقتصادها على الزراعة) الرسوم والضرائب التي تجنيها من الفلاحين، لكن هؤلاء الفلاحين الذين

ما عادوا قادرين على الزراعة نتيجة تخريب أراضيهم، وهاجروا إلى المدن أو القرى الأخرى، والذين انضم بعضهم إلى حركات العصيان، خرجوا من دائرة المنتجين دافعي الرسوم والضرائب. وأمام هذا الخطر المحدق، وجدت الحكومة نفسها وجهاً لوجه أمام مسألة إسكان داخلي وأحياناً خارجي.. وكانت إحدى التدابير المتخذة لإعادة إعمار القرى هي المباشرة بتوزيع القرى، وذلك بإعطاء القرية فوراً لمن يطلب تعهدها، شريطة أن يجلب سكاناً من خارج المنطقة لاستيطانها وإعمارها واستصلاحها وإعادة استثمارها زراعياً، وأن يدفع المبلغ المقطوع المذكور في دفتر المالية إلى الشخص المسؤول عن تلك المنطقة.

و سياسة الإسكان العثمانية منذ القرن السابع عشر (وما بعدها) كانت تهدف إلى إعادة تعمير البنية الداخلية المخربة، وإن أهم صفحة في هذه السياسة هي إسكان العشائر المتنقلة.

المبحث السادس

سياسة الإسكان العثماني في الشمال السوري

وخاصة في ولاية حلب، والرقّة، وحماة، وحمص..

إذا أخذنا الفترة ما بين عامي /1691 - 1696م/ كمثال لا الحصر، على الإسكان العثماني في شمال وشرق وغرب سورية خاصة في حلب والرقّة وحماة وحمص وغيرها من المناطق السورية الأخرى.. نجد أن الهدف الظاهري المعلن، هو اعمار الخرائب والمناطق المهجورة واستصلاح الأراضي البور التي لا صاحب لها واستثمارها في الزراعة. والحقيقة أنهم يهدفون لغايات سياسية إحلالية واستيطانية أخرى بعيدة المدى، سنتعرّف عليها فيما يأتي من مجريات الأحداث المختلفة.. وإضافة لتلك الأمور، كان من بعض أسباب الإسكان والتوطين، معاقبة بعض الأقوام والعشائر، إذ صار الإسكان شبه نفي إلى أماكن جرداء قاحلة قليلة الماء والكلأ، ذات مناخ غير ملائم لتربية المواشي. وإذا فرّ المواطنون من مناطق توطينهم الجديدة اجبارياً، تعقبتهم الدولة وعاقبتهم، وأعادتهم إلى مواقع الإسكان المحددة لهم، والتي صارت العشائر تعتبرها سجناً كبيراً مفتوحاً.

عاشت عشائر الفضل والموالي والحكومة مع الأهالي المقيمين في إطار نظام متناغم ومتوازن في بادئ الأمر. لكننا نرى أن هذا التوازن قد اختل في النصف الثاني من القرن السابع عشر لصالح الزحف القادم من الجنوب. إذ تمكّنت قبيلتنا - شمر - و- عنزة - (العريبتان القادمتان من الحجاز ونجد..) من إضعاف قوة عشائر الفضل والموالي وإخضاع شرق سورية بكامله تقريباً لسيطرتها ونفوذها. لكن هذا التغيير الذي حصل كلف سكان تلك المنطقة غالياً. فإن قسماً كبيراً من الأراضي هناك

تركت وأخليت من قبل أصحابها، واستولت على بعضها العشائر الزاحفة من الجنوب مع قطعانهم بشكل ضار ومؤذ ومتلّف للوضع الزراعي في المنطقة. وبتخاذها لشرق سورية قاعدة لها تقدمت تلك العشائر في زحفها إلى الأمام فعمدت الحكومة العثمانية إلى إجراء توطين حدودي⁽¹⁾.. ويجب أن نضيف ونبين أن عرب الموالي وعشيرة بني خالد قد تركوا حياة التنقل واشتغلوا بالزراعة في أفضية معرة النعمان وحماة وحمص. أي أنهم سكنوا واستقروا⁽²⁾. وجذبت بهجرة الحياة المدنية الأقباط المتقلّة إلى المدن فسكنوا واستوطنوا فيها ولو بنسب غير كبيرة. ومع أن قرار الاستيطان في المدن كان عائداً لهم، إلا أن موافقة الجهات الإدارية العثمانية على ذلك كان ضرورياً أيضاً. ولأسباب كثيرة شكّلوا في العديد من المدن تجمعات كبيرة. حيث كان هناك محلة للتركمان في طرف مدينة حلب، استقر فيها التركمان وعملوا بالزراعة، وبقيادة جمال القوافل التجارية، كما كان هناك زقاق للأكراد أيضاً⁽³⁾. كذلك فإن أغلب سكان محلة التركمان الواقعة في طرف مدينة دمشق كانوا من العرب والأكراد ومن التركمان الذين أمر بإسكانهم وثبت في إحصائية عام 1699م/ أنه تم إضافة قيود خانات طارئة على قيود أفخاذ التركمان المتواجدة في قضاء الشام. فأضيفت تسع خانات إلى أفخاذ - زنفر - وست عشرة خانة إلى فخذ - قارق - وخمس خانات إلى فخذ - قراجا قويونلو - ولكن بسبب

(1) بحث نورمان.ن. لويس هذه المسألة على أنها وقعت في الفترة /1800 - 1905م/ ولم يلاحظ أن هذه المسألة التي كتب عنها قد تم تنظيمها من قبل الدولة العثمانية في القرن السابع عشر. من كتاب جنكيز أورهنلو - إسكان العشائر ترجمة فاروق مصطفى - ص / 60 /. (والتوطين الحدودي منذ تلك الأيام هي سياسة إسكانية ثابتة وعادية بالنسبة للمفهوم العثماني سابقاً وبالنسبة للسياسة التركية الحالية وهذا ما نراه جلياً على الحدود السورية التركية في هذه الأيام زمن السلطان العثماني الجديد رجب طيب أردوغان.

(2) دفتر المهمات رقم /130/ ص / 428/.

(3) دفتر المهمات رقم /130/ ص / 428/. من كتاب جنكيز أورهنلو - إسكان العشائر ترجمة فاروق مصطفى - ص / 65 /.

تعاملهم مع بعض عصابات الأشقياء، فقد تم هدم البيوت في محلة التركمان، وصدر أمر في حزيران عام / 1709م / أرسل إلى نصوح باشا أمير الحج وبيك بيكوات الشام بإخراج التركمان من محلتهم ونقلهم إلى أماكن إسكان العشائر القادمة من الخارج⁽¹⁾.

[.. إن بعض العشائر التي كانت قد استقرت، اضطرت إلى ترك مواطنها والرحيل والتشتت في أرجاء البلاد نتيجة لغزوات أشقياء الأقسام المتنقلة. ولأن مجموعات التركمان والأكراد كانوا أكثر ما يجولون في أنحاء الرقة وحلب ومرعش ويوقعون فيها الخسائر، فقد أمر رجال الإدارة في تلك المناطق والمناطق المجاورة، بأن يعملوا تحت إمرة والي الرقة على حل هذه المسألة⁽²⁾. لكن بالرغم من كل التدابير المشددة المتخذة ضدهم، وبالرغم من اعتقال وتأديب بعض رؤسائهم، فإنهم سرعان ما كانوا يقفون على أقدامهم ويعودون إلى إيقاع أفدح الأضرار⁽³⁾.]

[.. ونملك وثائق رسمية عن الأماكن الخربة والمهجورة من قبل أصحابها في كل من تركيا وسورية عام / 1691م / فإتساع رقعة الخراب في سورية كان ناجماً عن غزوات البدو الذين تجمعوا من جديد حول قوات العشائر الجديدة. فعشائر - فضل وموالي - التي عاشت مع الحكومة في إطار نظام متناغم ومتوازن منذ بدايات عهد الحكم العثماني كما قلنا سابقاً، كانت قد أضعفت قدرتها وقضت على قوتها قبيلتا - شمر وعنزة - اللتان خرجتا من الجزيرة العربية بسبب كثافتها العددية هناك⁽⁴⁾. ففي

(1) دفتر المهمات رقم / 116 / صفحة / 129 /.

(2) كان "أشقياء" العشائر العربية والتركمانية قد عملوا قبل ذلك هدماً وتخريباً مروعين في شمال سورية، وكانت مدينة الباب قد صارت في زمن - أوليا جلبي - مركزاً "للأشقياء" التركمان والعرب (أنظر صفحة / 82 - 83 / دفتر المهمات رقم / 100 / صفحة / 32 /).

(3) من كتاب جنكيز أورهنلو - إسكان العشائر ترجمة فاروق مصطفى - ص / 71 /.

(4) آ. حوراني - تغيير وجه الهلال الخصيب في القرن الثامن عشر، دراسات إسلامية جزء / 8 / عام / 1957م / - ص / 94 /.

النصف الثاني من القرن السابع عشر جاءت قبيلة - شمر - من نجد وتحكمت بالصحراء السورية، وبعد عشرين سنة من ذلك قدمت قبيلة - عنزة - وتمكنت بمعونة بعض البدو الآخرين من دحر - شمر - إلى الطرف الآخر من نهر الفرات⁽¹⁾، وبقيت القرى الخرية والمهجورة أثراً من آثار الغزوات والحروب بين الطرفين مثل ناحيتي سروج وحران التابعتين للواء أورفه التابع لإيالة الرقة، والأماكن الواقعة على ضفتي نهر البليخ الذي يرفد نهر الفرات، ووضفاف الأنهار الصغيرة التي ترفد البليخ، والقسم الجنوبي من إيالة الرقة، وناحية بالس وناحية منبج، التابعة لإيالة حلب. والأراضي الواقعة بين لواء حماة وحمص، ..

ولإيجاد حل لهذه المشكلة، أي لإعمار هذه الأماكن وإحيائها مرة أخرى، فكرت الحكومة العثمانية ببعض التدابير لجلب الأهالي وإسكانهم في هذه الأماكن الخرية، لأن بقائها خربة غير مأهولة وغير مستثمرة زراعياً أي غير منتجة، كان يضر بحكام الولايات، وبالتالي يضر بمصالح الحكومة. لذلك بدأت الحكومة تعطي مثل هذه القرى لمن يريدونها، شريطة أن يجلب لها سكاناً من خارج المنطقة يزرعونها، ويعمرونها ويعملون على ازدهارها، وأن يدفع - (لفيوضودا) المنطقة - المبلغ المقطوع المنصوص عليه في السجلات الحكومية مهما كان مقدارها،

وهذا الموضوع كان يخدم توجهات سياسة الدولة العثمانية في الإسكان البعيدة المدى.. وقد اختير (الناس) الذين سيسكنون في تلك الأماكن من الأقوام المتنقلة (وخاصة الطورانية منها..)، أي من قبائل التركمان، ومن الأكراد ومن العرب البدو الرحل.⁽²⁾ وبدأت الأحكام والحجج و(الفرمانات) التي تحوي أنظمة الإسكان التي تمت عام 1691م/ تظهر اعتباراً من شهر كانون ثاني لعام 1691م/.. وسوف نثبت

(1) ركندروف، مادة - عنزة -، الموسوعة الإسلامية.

(2) كتاب جنكيز أورهنولو - إسكان العشائر ترجمة فاروق مصطفى - ص /

فيما يلي إحدى الوثائق المتعلقة بمختلف مناطق الإسكان. وسوف نعتبرها أساساً لنلاحظ ونتبين الفروق فيما بينها من البلاغات التالية: [.. ليكن معلوماً لقضاة الأقضية الواقعة في لواء الرقة.. أن أهالي القرى في الأنحاء الممتدة من - أقجا قلعة - على ضفاف البليخ ومن عين العروس، وصولاً إلى مدينة الرقة، قد ظلموا سابقاً واعتدي عليهم وكثرت التكاليف الديوانية المفروضة عليهم، وتعرضوا لغارات أشقياء الأعراب فتشتتوا وتفرقوا وأتلفت أراضيهم وخت وصارت كلها خراباً، بحيث لم تنفع الجانب الميري ولو بذرة واحدة، إضافة إلى عدم سلامة مرور وعبور أبناء السبيل في تلك النواحي، ولإعمار المواقع المذكورة وازدهارها، ولتأمين سلامة مرور وعبور أبناء السبيل بأمان واطمئنان فيها. فإن جموع قبيلة - بي ديلي - بأكملها التابعة لقصر - أوسكودار - من طائفة التركمان الكبرى، مع سائر جماعاتها، وكذا تركمان - بوزأولوس - يضعون أيديهم على الأراضي في المواقع المذكورة⁽¹⁾، مع عدم منع من يرغب بالسكن والإقامة للعمل في زراعة وحرثة الأرض.

- فيما بعد فإن مسنيهم الذين ينالون ثقتهم فيختارونهم ويعتمدونهم يصبحون رؤساء للجماعات وأمرأء للعشائر⁽²⁾.
- على أن يقبضوا على المتمردين أو الأشقياء الذين يظهرون بينهم ويسلموهم للحكام بأنفسهم.
- ويكون الشبان متكافلين مع المسنين في مسؤوليتهم هذه.

(1) الأتراك العثمانيون يعتبرون، تنقل القبائل العربية في البلاد العربية غزوات ولا يعتبرون تنقل واسكان القبائل والعشائر التركمانية وغيرهم من الأقوام المختلفة، في الأراضي العربية السورية غزوات ويلطفون عملية التوطين والتهجير وإسكان الأعراب في الأرض العربية بوصفهم العملية بجملة رقيقة ناعمة (يضعون أيديهم على الأراضي) وهي بالنتيجة سرقة موصوفة للأرض العربية¹⁹. المؤلف عدنان قبرطاي.

(2) تصنيف دفاتر المالية رقم /534/ ص/43/.

-وتخصص لكل واحد منهم أرض لزراعتها وحرثتها ، ومسكن للإقامة فيه.

-على أن يدفعوا للجانب الميري خمس أو سبع المحصول الذي تنتجه الأرض التي يزرعونها ، وذلك بحسب قدرة الأرض وجودتها ، وأن يدفعوا عن الكروم والحدائق والبساتين (حقوق أرض) بحسب الشرع⁽¹⁾.

[. توضيح: (الأعشار من التكاليف الشرعية القديمة ، وكان ينفق على عهد الإقطاع في تمويل الجنود وزعمائهم. وفي سنة 1272هـ / 1855م /رجعوا إلى التلزيم ، فأخذت تباع أعشار القرى في مجالس الأقضية قرية قرية...]

وفي سنة 1297هـ / 1879م / وضع نظام التخمين وذلك بحسب بدلات من سنة 1289هـ / و1290هـ / و1291هـ / و1292هـ / و1293هـ / وأخذ متوسطها على أن يوزع ما يصيب كل قرية على حساب الدونمات. وفي سنة 1301هـ / 1883م / أعيدت أصول الأمانة أيضاً. وبعد مغادرة الحكومة العثمانية هذه الديار أعيدت أصول التلزيم أيضاً.

وفي سنة 1925م / وضعت أصول الترييع وذلك بأخذ متوسط بدلات كل من سنة 1921م حتى 1924م / واتخاذها أساساً لوضع بدل معين على كل قرية من القرى ، وأصبحت تجبى على نحو ما تجبى الضرائب⁽²⁾. وبموجب القرار رقم 339 / (أحدثت بدلاً من العُشر والضرائب الثابتة التي تستوفي على الأملاك غير المبنية ، ضريبة عقارية توضع بحسب الشروط المبينة...)⁽³⁾. ومن المعروف أن هؤلاء البدو لم

(1) المقصود هنا الأعشار الشرعية التي كانت الدولة العثمانية تجبها من المزارعين..

(2) محمد كرد علي في خطط الشام المجلد 5 / 6- ص / 81.

(3) الجريدة الرسمية العدد / 303 / شهر حزيران / 1927م / ص / 13.

يمارسوا الزراعة ، فلم يستطيعوا إثبات ملكيتهم لهذه الأراضي ، لذا
اعتبرتها الدولة أراضي محلولة ، من حقها التصرف فيها واشتراها السلطان
عبد الحميد لنفسه بثمن بخس (من أموال الدولة طبعاً) ⁽¹⁾ .

-شريطة أن يتصدوا لغارات الأعراب وسائر الأشقياء (من تركمان
وأكراد) ويردوا خطرهم ويحافظوا على أمن واطمئنان الأهالي وأبناء
السييل.

-ترفع عنهم العوارض الديوانية وكافة رسوم الرعية (التكاليف
العرفية ، والتكاليف الشاقة) ويعفون منها ولا يطالبون بها مطلقاً.

-وبالنسبة لعاداتهم في إخراج مواشيهم إلى المراعي ، فإنهم لن
يخرجوا معها ، وسوف يبقون صيفاً شتاءً مستقرين مع أهلهم وعيالهم في
أماكن إسكانهم المذكورة ، ويرسلون مواشيهم مع رعاتهم لترعى
كالسابق دون أن يمنعها أو يتعرض لها أحد.

-تحدد أماكن إسكان جماعات التركمان ، التي يبلغ تعدادها /
3200/ عائلة إضافة إلى أفخاذ - إل بيلى - عموماً في النواحي الواقعة على
ضفاف البليخ.

-ويكونون تابعين لولاية الرقة ، مطيعين لأوامرهم.

-فإذا ما اقتضى الأمر مهاجمة الأشقياء القريبين من ديارهم أو في
الجوار ، فإن عليهم أن يتبعوا الوالي المذكور ، وأن يقوموا معاً بأداء
واجباتهم.

-فإن خالفوا الأوامر وأرادوا الخروج إلى المرعى ، فقد صدر أمر
شريف إلى أهالي بهسني وحصن منصور.. بأن يقفوا مع عشائرتهم حائلاً
دون اجتيازهم إلى صحاري البستان وملاطيا. ⁽²⁾ .

(1) جريدة ولاية سوريا ، العدد /932/ ، /21 رمضان /1300 هجرية - 6 تموز يوليو
1883م/ - ص /1/ عن لواء عكا لزهير غنايم - ص /311/ .

(2) كتاب جنكيز أورهنلو - إسكان العشائر ترجمة فاروق مصطفى - ص /80 - 81/ .

إذا ركّزنا قليلاً إضافة على ما سلف، على الإسكان في ولايتي الرقة وحلب بشكل خاص نجد المعلومات التالية: بعد إقرار قرار الإسكان، وبعد إجراء إحصاء لكل عشيرة على حدة وتثبيت الموجودين أرسل من العاصمة فرمان بتاريخ / 21 كانون الثاني عام 1691م/ إلى بيك بيكوات الرقة - حسين باشا قاضي زاده - وإلى سائر قضاة إيالة الرقة بإسكان العشائر في المواقع التي تم تحديدها سابقاً⁽¹⁾.. وكان الفرمان يقضي بإسكان قبيلة - بي ديلي - إحدى قبائل التركمان الكبرى، ووتركمان - بوزاولوس⁽²⁾ - مع أفخاذ أخرى في الأماكن الواقعة من أقجة قلعه وعين العروس على ضفاف نهر البليخ الذي يرفد نهر الفرات، وحتى مدينة الرقة، وفق الشروط التي يستوجبها نظام الإسكان الذي بيّناه آنفاً⁽³⁾.

أسكنت عشائر من - بي ديلي - فقط في البداية، لكن (غزوات)⁽⁴⁾ العشائر العربية القادمة من الجنوب⁽⁵⁾، وعدم قدرتها على صد هذه الغزوات أدى إلى جلب عشائر أخرى وإسكانهم هنا لدعم ومساعدة قبيلة - بي ديلي - وهم عشائر كثيرة من التركمان التابعين لقصر أوسكودار، وبأمر يحمل تاريخ /28 آذار 1691م/ أسكنت على أطراف نهر الجلاب في منطقة الرقة أفخاذ طاطالوو..

وهناك أفخاذ كثيرة أمرت بالإسكان منهم مجموعة تركمان حلب - ومن قطاع يني - ال الخاص - ومن مقاطعة - لك فانيك - ومن بقايا تركمان - بوز أولوس - ومن التابعين لبوزاولوس منطقة كسكين

-
- (1) تصنيف دفاتر الطابور رقم /835/ ص /6/. من - كتاب جنكيز أورهنولو - إسكان العشائر ترجمة فاروق مصطفى - ص / 90 /.
- (2) التي تعني بالتركية الشعب الأغبر.
- (3) تصنيف دفاتر المالية رقم /534/ ص /10/ دفتر الطابو نفسه ص - /6/. من - كتاب جنكيز أورهنولو - إسكان العشائر ترجمة فاروق مصطفى - ص / 90 /.
- (4) هنا يعتبر الأتراك العثمانيون، تنقل القبائل العربية في البلاد العربية غزوات ولا يعتبرون تنقل وإسكان القبائل والعشائر التركمانية في الأراضي العربية غزوات 19.
- (5) أي من نجد وغيرها.

وأفخاذ من عشيرة باضلي وقبائل شاوي وسيمك⁽¹⁾ وبني قيس الذين كانوا من سكان الرقة سابقاً لكن غزوات القبائل البدوية العربية القادمة من الجنوب والمعارك التي دارت بينهم أضعفتهم وأفقدتهم قوتهم فتشتتوا وتفرقوا في مختلف الأرجاء. وبقبولهم الإسكان في /16 كانون الثاني 1692م/، تم إسكان /24/ جماعة منهم يبلغ تعدادهم /3310/ عائلة في المزارع والبساتين التي ترويه مياه السدود السبعة من الثالث حتى العاشر الواقعة غربي نهر البليخ في الرقة⁽²⁾.

أما الإسكان في ناحية منبج التابعة لولاية حلب فكان كما يلي:

في عام /1693م/ أمر بإسكان أفخاذ - إل بيلى - في الأراضي الخالية في إيالة الرقة، لكن قبل إسكانهم أرسل إلى هناك (معمار)، ونتيجة بحثه واستكشافه قدم تقريره ذاكراً فيه أنه حتى في حال إعمار السواقي الخربة الموجودة، فليس هناك احتمال لوجود الماء فيها، وأنهم سوف يكونون في وضع سيئ جداً إن هم أسكنوا في أرض جرداء بلا ماء فيها. وبناء على هذا التقرير تم صرف النظر عن إسكانهم هناك. وبما أن منطقة منبج التابعة لإيالة حلب كانت في حالة خراب منذ أكثر من مئة سنة بسبب غزو العشائر البدوية العربية لها، فقد رأى والي الرقة - حسين باشا قاضي زادة - أنه من المناسب إسكان مجموعات - إل بيلى - هناك كما رأى أعيان وأشرف حلب وعنتاب وكلس ذلك معقولاً أيضاً. وهكذا دخلت معظم أراضي المنطقة التي كانت من أراضي (التيمار والزعامة)⁽³⁾،

-
- (1) في حوض البليخ وفي أطراف الرقة حيث المناخ ملائم عملوا في تربية دودة القز وفي زراعة الأرز والقنب وغيرها، من الزراعات المروية، وعملت بها غالباً قبائل شاوي وسيمك. (تصنيف دفاتر المالية رقم / 534 / ص /64/).
- (2) تصنيف دفاتر الطابور رقم /835/ ص /34/.. من - كتاب جنكيز أورهنولو - إسكان العشائر ترجمة فاروق مصطفى - ص /92/..
- (3) أ - الإقطاعات الصغيرة التي يقل إيرادها عن /20000/ آقجة عرّفت ب(تيمار).
ب - الإقطاعات المتوسطة التي يتراوح إيرادها بين /20000/ إلى /100000/ آقجة عرّفت بزعامت.

==

في الحصة الخاصة بالسلطان. وصدر في الوقت نفسه أمر بتاريخ /19/ حزيران 1693م/ إلى والي الرقة وإلى قاضيها بإسكانهم وتوطينهم⁽¹⁾. وعلى إثر ذلك تم إسكان /1038/ عائلة في /1481/ فدان تقريباً من أراضي القرى التي ترويه مياه الساجور الذي يمر في هذه الناحية. وتم توزيع /245/ فداناً من أراضي منبج على /197/ عائلة أسكنت فيها، تنتسب إلى أفخاذ - طورون إل بيلى -.. كما أعطيت لهم مزرعتان واقعتان شمال نهر الساجور..⁽²⁾. وللدلالة على أن الدولة العثمانية كانت تسكن إجبارياً قبائل وعشائر رحل في المناطق التي تريدها بدون النظر إلى رغبات تلك القبائل والعشائر أورد هذه الوثيقة من الأوامر السلطانية التي وجدتها في مركز الوثائق التاريخية بدمشق:

الوثيقة رقم /395/ الموجودة في الصفحة / 217 / من المجلد /1/ تاريخ /1162/ هجرية الموافق لعام 1748م/: [من والي الرقة الوزير مصطفى باشا. إلى قضاة حلب وإلى متسلمي ومتولي الأوقاف وضباط قرى - حمص وحماه واللاذقية - بشأن إرجاع نازحين إلى مكانهم الأصلي: إن جماعات (الشاوي) و(السماكه) - التي كان قضى المرسوم السلطاني بإسكانهم إجبارياً في أطراف (الشامى) و(الجزيري) من نهر الفرات بجوار مدينة الرقة. قد فرّ معظمهم من مكان إقامتهم الإجباري، وبوساطات متعددة وخلافاً للمرسوم السلطاني سكنوا في أماكن أخرى وبالنظر لما في ذلك من التأثير السيئ على تحصيل ضرائب عام /1162/ هجرية / من جماعات

ج- الإقطاعات /100000/ آقجة عرّفت ب(خاص). وفي مقابل ذلك كان يطلب من صاحب الإقطاع، أن يكون دوماً على استعداد للحرب، وأن يقوم بإعداد وتجهيز عدد من الخيالة المحاربين يتناسب وإيراد إقطاعه بنسبة فارس واحد لكل خمسة آلاف آقجة. وكان هذا النظام مشابهاً لنظام دولتي سلاطين الشراكسة في مجال الأرض). المؤلف عدنان قبرطاي

(1) تصنيف دفاتر المالية رقم /534/ ص / 69 - 78 / ورقم /8458/ ص /66/.. من - كتاب جنكيز أورهنلو - إسكان العشائر ترجمة فاروق مصطفى - ص /92/.

(2) المرجع نفسه - ص /95/.

الصبيخة والمساعد والمشافعة، فقد اقتضى إرجاع الجماعة النازحين إلى مكان إقامتهم الأول، وصار تعين مأموراً خاصاً لتنفيذ الأوامر بمعرفة المشايخ وأصحاب العلاقة وعليه صار تحرير - في 24/ ت 1162 هجرية - 1748م/ (1).

والخلاصة ظل العثمانيون ينتهجون تلك السياسة الإسكانية الجائرة والخرقاء في مختلف أرجاء الدولة العثمانية المترامية الأطراف وإن لم يظل المواطنون المهجّرون في تلك الأراضي في كثير من الأحوال بل هربوا منها وعادوا إلى طريقة حياتهم السابقة في التنقل، وظلت السلطات العثمانية تلاحقهم لإعادتهم قسراً إلى تلك المناطق أو إلى مناطق إسكان أخرى وفق مصالح السلطة العثمانية الحاكمة بعيدة المدى ١٥..

(1) الوثيقة رقم /395/ الموجودة في الصفحة / 217 / من المجلد /1/ تاريخ 1162 هجرية الموافق لعام 1748م / الموجودة في مركز الوثائق التاريخية بدمشق.

الفصل الثاني

توسّع العثمانيين في سياستهم الإسكانية وأخذوا بتفريغ الأوطان الأخرى

المبحث الأول

[الشركس - التعريف والتسمية]

- يطلق الشركاسة على أنفسهم اسم الأديغة المشتق من الاسم القديم لهم الآن⁽¹⁾. كما تشير إلى ذلك دائرة المعارف الفرنسية التي تقول: إن اليونان كانوا يطلقون قديماً على الشركاسة اسم أنت⁽²⁾. وفيما بعد سموا من قبل الشعوب الأخرى ميووت وزيخ وكاسوغ غير أن العالم المعاصر يعرفهم تحت اسم الشركاسة. وجان دوبلان دوكاربان مبعوث البابا أنيوسان الرابع إلى خان المغول عام 1245م كان أول من استخدم في المدونات لفظة سيركاسي للدلالة على الشركاسة⁽³⁾. وعموماً كان الأتراك والتتار يستخدمون ذات الكلمة سيركاسي⁽⁴⁾ للدلالة عليهم. وللموافقة بين التسميتين أقر المؤتمر الثالث لاتحاد الجمعيات الشركسية

(1) موسوعة تاريخ القفقاس والجركس، محمد جمال صادق أبازاو.

(2) تاريخ القوقاز، مت جوناتفه يوسف عزت، ص 133.

(3) أصل الشركس، أيتك ناميتوق، ص 74.

(4) بالإضافة إلى كلمة جركس، (ذكر البستاني في دائرة المعارف ج 1 - ص 440:

أن مؤرخي القرون الوسطى يذكرون الجراكسة باسم (سيركس)).

العالمي المنعقد في كراسنودار عام /1996م/ إدراج تسمية شركس إلى جانب التسمية القومية أديغة وأبخاز. ينتسب الشركاسة إلى الشعب الكيميري القديم وتدل المعطيات التاريخية واللغوية على روابط قرابة قوية بينهم وبين الحاثين والحثيين والكاسيين، وكان العرب قديماً، يطلقون على (شعوب شمال القفقاس) تسميات أربع هي كما يلي (شركس - أركس - كسا - أس) وفق ما كتبه البدر العيني في عقد الجمان وكذلك المؤرخ الكبير ابن خلدون في كتابه العبر وكذلك ابن سعيد المغربي الأندلسي في الجغرافيا وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة وغيرهم كثير. كانوا يؤلفون جزءاً من الإمبراطورية الحثية القديمة⁽¹⁾. ولقد تناول هيروودوت، وبطليموس وسترابون وغيرهم من الكتاب الإغريق في موضوعاتهم التاريخ الشركسي القديم وذكروا أجداد الشركاسة الذين أطلقوا عليهم أسماء (الميؤوت، السند، الكيركيت⁽²⁾، الزبخ، الكاسوغ)⁽³⁾.

(السائح - جورج انتريانوا من أهالي جنوة، كتب مؤلفاته سنة /1502م/ وهو خير مرجع تاريخي لمعرفة أحوال الجركس في تلك الأزمنة الغابرة، كتب السائح المذكور عن الشركاسة الأديغة الآتي: (إن الأمة التي تدعى باللغة اللاتينية والإغريقية / زيخ / وفي التترية والتركية / جركس / وفي لغتها القومية / أديكه = أديغه / التي تقطن اعتباراً من

-
- (1) تاريخ القوقاز، مت جوناتوقه، ص 84 - 88. (تاريخ - الكيميرين - ونسلم وتاريخ - الهاتيين - وأعقابهم واحد خصوصاً إذا علمنا مما كتبه - استريون - أن - الكيميرين - كانوا عند فتوحاتهم في آسيا الصغرى يعملون تحت النفوذ - الحثي - وإمرتهم. - من كتاب تاريخ القوقاز، مت جوناتوقه يوسف عزت - ص / 121 / .
- (2) عشر في الكرنك بمصر (على منظومة - بن طؤر) - على أسماء القبائل الحثية التي اتحدت في تلك الحرب ضد مصر ومنها قبيلة - كيركاش = كيركاس - ص / 106 / من كتاب تاريخ القوقاز، مت جوناتوقه يوسف عزت -
- (3) شركيسيا يا ألمي، تأليف تامارا بولوفينيكينا. ترجمها للعربية باسم - ضياع بلاد الشركاسة العميد المتقاعد المهندس الدكتور عمر شابسيغ.

التنائيس أو نهر الدون كل البلاد الواقعة على ساحل البحر باتجاه
اليوسفور الكيميري. (1) ..،

الموطن:

تقع شيركيسيا في المنطقة الجغرافية الواقعة بين سواحل البحر
الأسود وأزوف الشرقية من الغرب ومجرى نهر السونج رافد نهر التيريك من
الشرق. ويحدها جنوباً سلسلة جبال القفقاس التي تمتد كحاجز عظيم من
الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي ممتداً مسافة (1200 كم) وبارتفاعات
شاهقة تصل في قمة الالبروز (الأوشحة مافه) (2) إلى / 5652م / وهي أعلى
قمة في أوروبا. وتحتضن سهول الكوبان نهر الكوبان وروافده الممتدة
(860 كم) قبل أن يصب في البحر الأسود، كذلك نهر التيريك وروافده
التي تخترق مسافة (623 كم) ليصب في بحر قزوين. (3). (كتب السائح -
جورج انتريانوا عن الشراكسة الأديغة الآتي: (تقطن اعتباراً من التنائيس
أو نهر الدون كل البلاد الواقعة على ساحل البحر باتجاه اليوسفور
الكيميري. ومن هنا تمتد بلادهم إلى جهة الجنوب الشرقي حتى أفوغازيا
- وإلى قسم من كولخيدا على سواحل البحر الأسود وبمسافة لا تقل عن
/ خمسمائة ميل /، وأما في الجهة الشرقية فتتمد بلادهم من الساحل إلى
داخل القارة اليابسة بمسافة سفر / ثمانية أيام / وتكون هناك أعرض ما
يكون. والزيك يسكنون في بلدان وقرى، ولا توجد فيها مدن كبيرة
محصنة ومحاطة بأسوار عالية، وعاصمتهم المسماة / كرموق / واقعة في
داخل البلاد في موقع حسن، وهي أعظم بلدانهم وذات نفوس كبيرة. وأما

(1) الدكتور شوكت المفتي - أباطرة وأبطال في تاريخ القوقاس - الطبعة الأولى -
الناشر فوزي اليوسف - صاحب مكتبة الأندلس في القدس. عام / 1962م / - مطبعة
المعارف - ص / 12- 13 /.

(2) الأبخاز الشراكسة أزل وأبد، لعدنان قبرطاي.

(3) شركيسيا يا ألمي، تأليف تامارا بولوفينيكينا. ترجمها للعربية باسم - ضياع
بلاد الشراكسة العميد المتقاعد المهندس الدكتور عمر شابسيغ.

في الجهة الشمالية فيجاورهم الاسكيت أو التتر⁽¹⁾،). ونحن كما نعلم أنه قبل انتشار كلمة جركس أو شركس كان المؤرخون العرب يطلقون عليهم التسميات التالية: (ثركس ، أركس ، أس ، كسا) ويعتبرونهم من الترك ، و قبيلة (كسا) هم سكان ومواطنو ما وراء مضيق (داريال) من جهة الغرب وفي حوض نهر قوبان (كوبان) وفي حوض نهر تيرك ، إلى السواحل الشرقية للبحر الأسود وهم المذكورون باسم كشك عند المسعودي في مروج الذهب. وعند الروس كاسوغ وكذلك هم المذكورون باسم (كساق) = (كاساك) في تقويم البلدان لأبي الفداء نقلاً عن العزيزي للمهلي.

وتعتبر هذه المنطقة الجغرافية منطقة استراتيجية مهمة إذ ألفت معبراً لحركة الشعوب قديماً وممراً مهماً يصل الجنوب بالشمال والشرق بالغرب، وتمر بها طرق التجارة الدولية بما فيها طريق الحرير⁽²⁾. مناخ المنطقة معتدل وتصل درجات الحرارة وسطياً في الشتاء (-5، 2 درجة) وصيفاً (+23، +30 درجة) وتعد المنطقة قبلة للسياحة. تقع شيركيسيا في المنطقة الجغرافية الواقعة بين سواحل البحر الأسود وآزوف الشرقية من الغرب ومجرى نهر السونج رافد نهر التيريك من الشرق. ويحدها جنوباً سلسلة جبال القفقاس التي تمتد كحاجز عظيم من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي ممتداً مسافة (1200 كم) وبارتفاعات شاهقة تصل في قمة الالبروز (الأوشحة مافه)⁽³⁾ إلى / 5652 م / وهي أعلى قمة في أوروبا. وتحتضن سهول الكوبان نهر الكوبان وروافده الممتدة (860 كم) قبل أن يصب في البحر الأسود ، كذلك نهر التيريك وروافده التي تخترق مسافة (623 كم) ليصب في بحر قزوين.

(1) الدكتور شوكت المفتي - أباطرة وأبطال في تاريخ القوقاس - الطبعة الأولى - الناشر فوزي اليوسف - صاحب مكتبة الأندلس في القدس. عام /1962م/ - مطبعة المعارف - ص/12-13/.

(2) تهجير الشركاسة ، نهاد برزج.

(3) الأبخاز الشركاسة أزل وأبد ، عدنان قبرطاي..

السكان:

قسمت المنطقة في العهد السوفيتي إلى عدة كيانات صغيرة مبعثرة تطورت فيما بعد إلى جمهوريات اتحادية في روسيا الاتحادية، وكذلك جمهورية أبخازيا التي أعلنت استقلالها عن جورجيا بعد حرب ضروس. كما يتواجد الشركسية في عدة مناطق ضمن جمهورية روسيا الاتحادية. حسب الجدول التالي:

الجمهورية	العاصمة	المساحة	السكان	توزع السكان		
				الشركس	الروس	قوميات أخرى
قبردينا - بلقاريا	نالتشك	12500	900.000	%52	%28	%9 بلقر %11
الأديغيه	مايكوب	7600	450.000	%25	%65	%10
قرشاي - شركيسيا	تشركيسك	14100	450.000	%20	%40	%33 قرشاي %7
أبخازيا	سوخومي	8600	360,000	%38	%16	%11 أرمن %35

يعيش في منطقة مزدوك /13000/ نسمة وفي منطقة الشابسغ على البحر الأسود (13000) نسمة وفي أرمافير جنوب روسيا (4000) نسمة ويتوزع داخل المدن الروسية حوالي (30.000) نسمة. ويعيش في دول الشتات حوالي سبعة ملايين شركسي يتوزعون بشكل رئيسي في تركيا، سورية، الأردن، فلسطين ومصر.

الحياة الاقتصادية:

يتنوع الغطاء النباتي في شمال القفقاس لتصل أنواع النباتات المعروفة فيه إلى أكثر من ستة آلاف نوع. تزرع الجمهوريات الشركسية القمح والذرة ودوار الشمس وتنتج الأشجار المثمرة مثل التفاح والأجاص والكرام بكثرة بالإضافة إلى الغابات الحراجية الكثيفة كما تزرع أنواع الخضراوات والحمضيات والشاي على ساحل البحر الأسود. يعمل

الشراكسة على معالجة الأخشاب واستخراج الغاز الطبيعي، وإنتاج الطاقة الكهربائية. بالإضافة إلى صناعة الآلات الزراعية والصناعية والطبية والاستهلاكية⁽¹⁾.

إن اكتشاف النفط في جنوب غرب مدينة مايكوب عام 1911م جعل المنطقة تحظى بأهمية استراتيجية بالغة. وتتوفر في المنطقة المعادن النادرة مثل التنغستين والمنغنيز والزنابق والمليدون والماس بالإضافة إلى الفحم الحجري. تعتبر السياحة مصدر دخل أساسي في البلاد فالطبيعة الساحرة وجغرافية البلاد المتنوعة بين السهل والجبل والوادي والبحر حيث الغابات والقمم الجبلية العالية التي تعتبر مصدر تحد لهواة تسلق الجبال والثلوج الأبدية تستقطب مئات الآلاف من هواة التزلج على الجليد والمياه المعدنية التي يسعى إليها الآلاف ممن يرغبون في الاستفادة من خواصها الاستشفائية. كل هذا جعل المنطقة قبلة للسياحة الدولية.

تاريخ: الشركس ما قبل التاريخ – تاريخ قديم – عصور وسطى – عصر حديث:

الشراكسة من أقدم سكان شمال غرب ووسط القفقاس ويتغلغل التاريخ الشركسي قديماً حتى العصور الحجرية⁽²⁾. ولقد ظهرت علاقة قوية وروابط مع الحثيين الذين سكنوا آسيا الصغرى⁽³⁾. وموقع القفقاس كعمر بين بحري قزوين والأسود بين الشمال والجنوب جعل الكثير من الشعوب تجتاز المنطقة وأحياناً كانت تستوطن فيها مما جعل الاحتكاك بين الشراكسة والقبائل المرتحلة كبيراً ومن أكثر الشعوب تأثيراً على الشراكسة السكيت⁽⁴⁾ والسارمات المنتمون إلى العرق الهندو أوروبي.

لعب الشراكسة في العصور الوسطى دوراً حيوياً في العلاقات الدولية فكانت لهم علاقات مع خانية القرم والقيصرية الروسية والسلطنة

(1) مجلة البروز، العدد 11.

(2) شركيسيا يا ألمي، تأليف تامارا بولوفينيكينا.

(3) تاريخ القوقاز، مت جوناتوقه، ص 86 - 87.

(4) تاريخ القوقاز، مت جوناتوقه، ص 91.

العثمانية وإمارة لتوانيا ومملكة بولندا⁽¹⁾. ظل الشركاسة تحت الحكم القيصري الروسي حتى قيام جمهورية شمال القفقاس عام 1918م، وفي عام 1921 دخلوا في قوام الاتحاد السوفييتي. ويعيش الشركاسة اليوم، بعد انهيار الاتحاد السوفييتي ضمن ثلاث جمهوريات اتحادية في روسيا الاتحادية. وكذلك في جمهورية أبخازيا.

الحرب الروسية - الشركسية:

إن موقع القفقاس الجغرافي جعلها حلبة صراع بين القوى الاستعمارية العالمية. فالساحل الشرقي للبحر الأسود كان يشكل إغراءً لا يقاوم للقيصرية الروسية التي كانت تسعى للوصول إلى المياه الدافئة في البحر المتوسط. والقفقاس كان يشكل التهديد الأكبر للمصالح البريطانية. فالهيمنة على منطقة القفقاس يقوض سيطرتها على تجارتها مع مستعمراتها في الهند⁽²⁾. والأتراك كانوا يعتبرون القفقاس امتداداً طبيعياً لنفوذهم والبولونيون كانوا يعانون من ضغط الروس على جبهتهم فحاولوا نقل جزء من الثقل إلى الجبهة القفقاسية، كل هذا جعل المنطقة مركز تقاطع لأطماع واهتمام دول العالم الاستعماري الذي زج المنطقة في حرب طويلة بين القوى الاستعمارية نفسها وبين الدولة المستعمرة والسكان المحليين من جهة أخرى.. إن المقاومة الشركسية الطويلة كان مقدرًا لها أن تنهار في نهاية المطاف، فالتفوق الروسي العسكري والبشري كان يلعب دوره الحاسم وما كانت الوعود الإنكليزية والتركية بمد الشركاسة بالسلاح الذي لم يصلهم أبداً ليساعدهم كثيراً لتنتهي في 1864/5/21م⁽³⁾ أكثر الحروب ضراوة.. ولتجد الأمة الشركسية نفسها منفيةً خارج أرضها الأزلية.. يقول المؤرخ بيانكوني أنه في عام 1866م/ وصل عدد المهجرين

(1) شركيسيا يا ألمي، تأليف تامارا بولوفينيكينا.

(2) تهجير الشركاسة، نهاد برزج، ص 48.

(3) تهجير الشركاسة، نهاد برزج، ص 79.

الشراكسة إلى شواطئ الامبراطورية العثمانية عن طريق البحر إلى أكثر من مليون شخص وذكر في الموسوعتين التركية والإسلامية أن عدد الشراكسة المهجرين وصل إلى مليون ونصف⁽¹⁾، ولم يذكر المؤرخون الأعداد التي هاجرت عن طريق البر..

الشراكسة في الشتات:

لا توجد إحصائيات رسمية لعدد الشراكسة المنتشرين في العالم ولكن يقدر عددهم بحوالي سبعة ملايين نسمة يعيش معظمهم في تركيا. لقد عانى الشراكسة من ظروف التهجير.. طويلاً إلى أن استطاعوا بناء أساساً لحياتهم والتكيف مع الواقع الجديد الذي فرض عليهم. وتمكنوا من إيجاد لغة مشتركة مع الشعوب المضيفة وشاركوا في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية في دول الشتات. وظهر بينهم الكتاب والأدباء والعلماء والقادة العسكريون والسياسيون.. وفي سورية يعيش الشراكسة مواطنين وجدوا عند إخوتهم العرب الصدر الرحب واليد الممدودة مما ساعدهم على تسريع اندماجهم وتأقلمهم في المجتمع وتحولوا إلى عناصر منتجة فعالة. ولكن نكسة حزيران عام 1967م شكلت ضربة قاصمة لهم حيث اضطروا إلى النزوح من هضبة الجولان العربي السوري (بعد الاحتلال الاسرائيلي لها) إلى المدن السورية وخاصة مدينة دمشق ولكن سرعة الحكومة السورية في حل المشاكل المتعلقة بالنزوح ساهمت إلى حد كبير في إعادة البنية التحتية للشراكسة وغيرهم بحيث عادوا إلى المشاركة في الحياة العامة.

الشراكسة والإسلام:

كتب السائح - جورج انترينوا من أهالي جنوة في عام /1502م/ ما يلي: (كانوا يتدينون بالديانة المسيحية ولديهم الكثير من الرهبانة

(1) جريدة "غوازة"، تركيا 1911.

والروحانيين الاغريق، ولا يعمدون أطفالهم إلا بعد بلوغهم سن الثامنة من عمرهم. والعماد عندهم عبارة عن رش القليل من الماء المبارك، وتلاوة صلاة قصيرة من قبل الراهب الذي يقوم بهذه المهمة، وأما النبلاء منهم فلا يدخلون الكنيسة للصلاة إلا بعد بلوغهم الستين من أعمارهم.. ويعتقدون أن دخولها قبل سن الستين انتهاك لحرمتها. والشبان منهم يحضرون الصلاة مكتفين بسماعها وهم واقفون أمام باب الكنيسة، أو راكبون على ظهور الخيل، ولكن بعد بلوغهم الستين من العمر.. ويقتضرون أعمالهم على الصلاة والعبادة وسماع الصلاة داخل الكنيسة⁽¹⁾. وقد وصلت الفتوحات الإسلامية إلى القفقاس الجنوبي أيام هشام بن عبد الملك عام 114هـ فدانت مناطق أذربيجان وباب الأبواب⁽²⁾ للحكم الإسلامي إلا أن المد الإسلامي وقف أمام سلسلة الجبال القفقاسية التي ألقت حاجزاً لم يسمح بالتقدم إلى المنطقة الشركسية⁽³⁾. وصل الإسلام إلى القفقاس الشمالي في القرن السابع عشر⁽⁴⁾ عن طريق الدعاة الأتراك وعبر القرم⁽⁵⁾ إذ بذل الأتراك كل جهد ممكن من أجل التأثير على الشركاسة المسيحيين والوثنيين بتقبل الإسلام، واستخدم سلاحاً ضد الروس فكان الشيخ شامل الأواري، قائد الحركة الوطنية التحريرية في القفقاس، أحد الدعائم الرئيسية التي ساهمت في نشر الحركة المريدية الإسلامية في

-
- (1) (السائح - جورج انترينانوا من أهالي جنوة، كتب مؤلفاته سنة 1502م/ وهو خير مرجع تاريخي لمعرفة أحوال الجركس في تلك الأزمنة الغابرة، من كتاب (الدكتور شوكت المفتي - أباطرة وأبطال في تاريخ القوقاس - الطبعة الأولى - الناشر فوزي اليوسف - صاحب مكتبة الأندلس في القدس. عام 1962م/ - مطبعة المعارف - ص/ 12- 13).
- (2) مناطق دربند في الداغستان.
- (3) الشركس، محمد خير حفندوقه، ص 25.
- (4) موسوعة تاريخ القفقاس والشركس، محمد جمال صادق أبازاو، ص 336. وهناك أدلة تثبت دخول الإسلام في وقت أبكر بكثير.
- (5) وهناك أدلة على وصول الإسلام إلى الشركاسة قبل هذا التاريخ بقرون.

كل من الداغستان والشيشان، وقد أرسل دعائه إلى القسم الغربي (الشركسي) في محاولة للم صفوف تحت رايته للنضال ضد القيصرية الروسية، إلا أنه فشل في هذا الأمر.. ويعتق الشركسة اليوم الدين الإسلامي مع أقلية مسيحية تعيش في منطقة مزدك وجمهورية أبخازيا.

اللغة والأدب والمسرح:

اللغات القفقاسية الشمالية مجموعة مستقلة منها الفرع الشركسي الذي ينقسم إلى ثلاث لغات (يمكن اعتبارها لهجات في مراحلها الأولى من التطور) وهي قريبة من بعضها بشكل لافت للنظر وهي: الأديغية، الأبخازية والويغية. كتبت اللغة الشركسية في القرن التاسع عشر بالأحرف العربية ثم بالأحرف اللاتينية وأخيراً بالأحرف الروسية. وقد جمع الموروث الثقافي والأدبي الشركسي بالكتابة الجديدة في زمن الاتحاد السوفييتي وما بعدها. حتى أواخر القرن التاسع عشر كان الأدب الشركسي يكاد ينحصر في الرواية الشفهية لانعدام الكتابة، ولكن مع ظهور عصر الكتابة الشركسية المتأخر نسبياً، انطلقت المسيرة الثقافية بخطى متسارعة، وتم تشكيل معاهد الأبحاث اللغوية والتراثية والتاريخية وتم جمع التراث والفلكلور الشركسي. وتعتبر ملاحم النار من أروع النصوص التراثية التي قام معهد الأبحاث الأديغية "الشركسية" بجمعها وأشرف عليها الأديب حدغائنه عسكر كما قامت المعاهد المختلفة في الققاس الشمالي بشكل عام، بجمع وتدوين الأغاني القديمة وغيرها وبذلك تم حفظ التراث الشركسي. واليوم تنهض أسماء لامعة في سماء الأدب أمثال علي شوجينتسوك وعليم كوشوقه وباغرات شينكوبه واسحق مشباش وكراشه تمبوت وغيرهم كثير من الذين حازوا على جوائز عالمية في المسرح والقصة والشعر.. ولقد نقلت كتاباتهم من اللغة الأم إلى لغات أخرى منها العربية.

الفنون (الموسيقى - الرقص - الفلكلور والتصوير):

تنتشر المعاهد الموسيقية في المناطق الشركسية وجمهور المسارح العالمية يصفق طويلاً للمايسترو يوري تيمورقان "الشركسي" قائد اوركسترا ليننغراد العالمي والفرقة السيمفونية الملكية البريطانية⁽¹⁾. ويحتل الرقص الشعبي في الحياة الشركسية مكاناً مميزاً، فهو الذي ابتداءً في الزمن الغابر رقصاً دينياً يحاكي فيه الآلهة والأرباب تقرباً لهم، وانتقل إلى رقص استعراضى. وتجاوزت اليوم سمعة الفرق الفنية حدودها الجغرافية لتصبح فرقاً عالمية، مثل فرقة الكبردينكا "القبرطاي" ونالمس وإسلاميه وقفقاس وبجامييه وفرقة نارت الأبخازية (شيرتين) وفرقة المعمرين الأبخاز.. ولقد شاهد الجمهور العربي السوري بعضها أكثر من مرة، ضمن فعاليات معرض دمشق الدولي، كما أن فرقة الجمعية الخيرية الشركسية في دمشق وفروعها في المحافظات، تساهم إلى حد كبير في تعريف المواطن السوري بالفن والموسيقا والرقص الشركسي.⁽²⁾]

أثناء انعقاد المؤتمر الرابع للجمعية العالمية الشركسية في مدينة كراسنودار بروسيا الاتحادية عام/ 1998م/ تلقى المؤتمر برقية من الرئيس الروسي السابق بوريس يلتسين، أورد نص ترجمته عن الروسية: [نداء حول مُضي /130/ سنة على انتهاء الحرب القفقاسية (الروسية) إلى شعوب شمال القفقاس. أيها المواطنون المحترمون: "تعيدنا الأحداث القديمة التي تعود إلى أكثر من قرن، إلى سنوات النضال من أجل القفقاس والصراع بين مصالح الإمبراطورية الروسية، وبريطانيا، وفرنسا، وإيران،

(1) مجلة البروز، العدد 11، ص 28، 1999 م.

(2) هيئة الموسوعة العربية قسم: الحضارة العربية - رقم كتاب التكليف: 2751/ وح شعبة: عدد ورقات البحث: 8 الأستاذ الباحث: عدنان محمد مصطفى قبرطاي: عنوان البحث: الشركس. قدمت عن طريق رئيس مجلس ادارة الجمعية الخيرية الشركسية بدمشق.

وتركيا⁽¹⁾، والتي تتحمل كل منها نصيبها من المسؤولية المادية والمعنوية لمعاناة الشعوب الجبلية "الشركسية".

أيها المواطنون إن نتائج الحرب القفقاسية الروسية التي سببت ضحايا بشرية كثيرة وخسائر مادية لا تزال إلى الآن تسبب الألم في قلوب الكثيرين من الروس. لتكن الأرض فداء لمن سقط على أرض المعركة، وفقد حياته من قسوة الحرب، ولمن غادر وطنه ومات في الغربة وهو يعاني مرارة فقدان الوطن. لتحفظ الذكرى عن الأحداث الحزينة القديمة في قلوب الأحفاد لتخدمنا جميعاً وتبعدنا عن مآسي جديدة. لقد قيمت الحرب القفقاسية الروسية بأشكال مختلفة حسب التوجهات السياسية للفرات التاريخية المختلفة، واليوم وروسيا تبني دولة حقوقية، تعترف بكل ما هو ثمين للإنسانية جمعاء وتظهر إمكانية لنظرة موضوعية جديدة لأحداث الحرب القفقاسية، كنضال بطولي قامت به شعوب شمال القفقاس، ليس فقط من أجل الحفاظ على أرضها، إنما أيضاً من أجل الحفاظ على الثقافة الوطنية أفضل مزايا الطابع القومي. إن المشاكل التي وصلتنا كنتيجة للحرب القفقاسية، وعلى الأخص مشكلة عودة أحفاد القفقاسيين المهاجرين إلى الوطن التاريخي، يجب أن تُحل على المستوى الدولي بطريق المحادثات باشتراك كل الجهات المهتمة. أيها المواطنون الأعزاء: في وعينا أنّ القفقاس وروسيا أصبحا مفهومين مترابطين بشدة ولا يمكن تصور أحدهما دون الآخر وأنا متأكد بأن انتشار بناء الدول الديمقراطية والاتفاق بين الشعوب كفيل بأن يحقق أفضل الأحلام من رفاهية وازدهار الشعوب التي تسكن بلادنا⁽²⁾].

(1) يقصد الدولة العثمانية.

(2) الرسالة التاريخية المرسلة من قبل الرئيس الروسي يلتسن إلى اجتماع الجمعية العالمية الشركسية بمناسبة ذكرى مرور /130 سنة /على تهجير الشركسية من بلادهم الأزلية في شمال القفقاس - ترجمه عن الروسية الدكتور زهدي سطاس.

وانطلاقاً من هذه البرقية التاريخية للرئيس الروسي السابق بورييس يلتسين وتوزيعه المسؤولية التاريخية لمأساة الأمة الشركسية ونكبتها، على دول وشعوب أخرى / إضافة لإقراره بمسؤولية روسيا القيصرية. أود في هذا الكتاب تسليط بعض الأضواء على المسؤولية المباشرة للدولة العثمانية وورثتها، عن نكبة الأمة الأديغية الشركسية، في بعض المباحث في هذا الكتاب، على أمل تسليط الأضواء فيما بعد على مسؤولية الدول التي ذكرها الرئيس السابق يلتسين..

المبحث الثاني

العثمانيون يعملون على تهجير شعوب لا يحكمونها

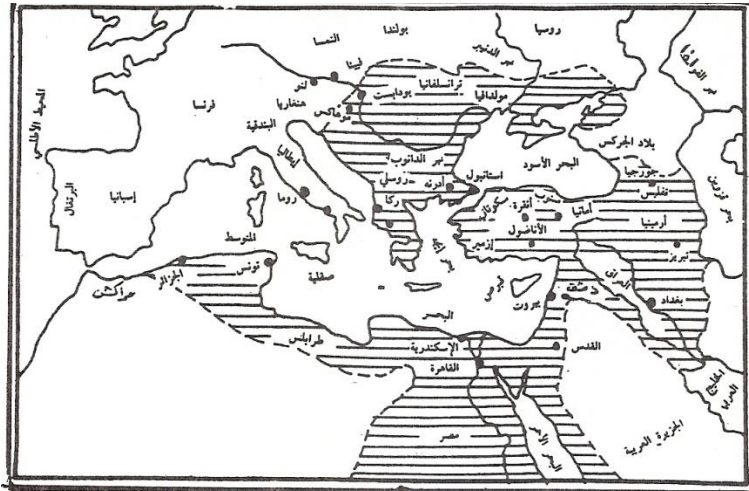
وفي هذا المجال أضرب مثلاً واضحاً لا لبس فيه، تثبت أن الأتراك يوطّنون جزءاً من شعبهم في أراضي غيرهم من الشعوب على المدى البعيد، ليصبح جزء من أرضهم فيما بعد. ولإثبات هذا الأمر لا بد من العودة إلى التاريخ قليلاً فقد كان في عصر السلطان الشركسي بارسباي الذي أرسل حملة بحرية ثالثة لقبصر التي كانت تعتدي على الموانئ العربية، قد اتجهت مباشرة إلى قبرص ونزلت في ليماسول ودخلتها⁽¹⁾، وتوغلت نحو الساحل والعاصمة نيقوسيا، ودارت عند سهل "خيروكيتا" معركة حاسمة هُزم فيها القبارصة وأسرى ملكهم جانوس، وأحرقت السفن القبرصية في معركة بحرية أخرى وأسرى بعض قادتها، وزحف القائد المحمودي نحو نيقوسيا، ودخلها منتصراً وأعلن من قصر الملك القبرصي أن قبرص أصبحت خاضعة للسلطان بارسباي في القاهرة، وعادت الحملة إلى مصر بنصر كبير ومعها آلاف الأسرى ومنهم الملك القبرصي جانوس نفسه واستقبلت في القاهرة باحتفال عظيم، وقبّل جانوس الأرض أمام السلطان بارسباي راعياً أمامه يطلب عطفه ورحمته، فوافق السلطان على إطلاق سراحه مقابل أن يدفع مئتي ألف دينار فدية، وأن يتم تعيينه نائباً للسلطان في جزيرة قبرص، وظلت بذلك قبرص تابعة لسلاطين الشركسية تعطي الجزية السنوية حتى عام 1517م⁽²⁾، ولم يوطّنوا في قبرص أحد منهم

(1) النشاوي: أوروبا في مطلع العصور الحديثة ص 211.

(2) عدنان قبرطاي - البحرية الشركسية.

إطلاقاً.. وفي عام /1570م/ احتلت الدولة العثمانية جزيرة قبرص، فعملت على إسكان وتوطين الأتراك فيها بكثافة، لدرجة أنهم استوطنوا ثلث الجزيرة اليونانية مع الزمن، وفيما بعد تخلت الدولة العثمانية مجبراً عن الجزيرة لبريطانيا، وبعد استقلال الجزيرة زمن المطران القبرصي مكاريوس في بداية سبعينات القرن الماضي، وبعد أكثر من عقد احتلت تركيا القسم الشمالي التي أسمتها تركيا (جمهورية قبرص الشمالية "التركية") عام /1974م/ ولم تعترف أي دولة بالجمهورية القبرصية الشمالية "التركية" الوليدة التي أقامها الأتراك سوى تركيا نفسها، وتستخدم حقها المزعوم في جمهورية قبرص الشمالية (التركية) حجة في هذه الأيام للبحث عن البترول والغاز في شرق البحر الأبيض المتوسط بعد أن أبرمت اتفاقاً بحرياً مع حكومة الوفاق الليبية برئاسة فايز السراج؟!.. كما سنرى في هذا الكتاب أن الدولة العثمانية قد وطلت كثيراً من الشعوب المسلمة في البلقان، ليغدو توطينهم على المدى البعيد أمراً واقعاً، ولتضفي على مطالب الأتراك العثمانيين، في تلك المناطق نوعاً من الشرعية الدولية.. ولو لم تعد دول البلقان المنتصرة بمساعدة الإمبراطورية الروسية تهجير الشعوب المسلمة التي وطلتهم الدولة العثمانية، وتخلي دولها منهم لرأينا في هذه الأيام كثير من الجمهوريات "التركية" في تلك الدول البلقانية، كما فعلت عام /1974م/ في جمهورية قبرص.. وأنا أذكر هذا كمثال على التخطيط المسبق البعيد المدى للأتراك في توطين جزء من شعبها أو من شعوب أخرى أضحت تحت سيطرتها، في الأراضي التي تحتلها لتضمها فيما بعد.. كما نجد أن العثمانيين قد توسعوا في سياستهم الإسكانية الداخلية الجائرة، وأخذوا يعملون جاهدين على تفريغ الأوطان الأخرى، التي أجبروا على أن يتخلوا عنها (التي لم يملكوها في يوم من الأيام) بعد حروبهم الخاسرة في معظم الأحيان وخاصة حروبهم التي لم تكن تنقطع مع الإمبراطورية الروسية، فعلى سبيل المثال لا الحصر عملت الدولة العثمانية بعد خسارتها لجزيرة القرم (إذ كانت ولاية القرم محمية العثمانيين فعلياً وتحمي بدورها الشركس دينياً وبشكل اسمي فقط باعتبار السلطان العثماني خليفة المسلمين؟!)

فقد أجبر العثمانيون على التخلي عن هذه الحماية (الاسمية الشكلية وغير القانونية)، بالنسبة لشركيسيا، بموجب المعاهدة التركية الروسية عام /1774م/ وضم الروس ولاية القرم عام / 1783م/..⁽¹⁾ وأقدموا على تهجير أغلب سكانها التتار الطورانيين إلى مناطق اسكان جديدة في الدولة العثمانية، وعملت الدولة العثمانية بدورها ووفق سياساتها التهجيرية إلى نقلهم إلى ما تبقى من مناطق بأيديهم في البلقان وغيرها من الأماكن واستخدمتهم لأغراضها العسكرية والاقتصادية..ومثال تهجير الشركس أوضح بكثير يدل على ما وصل إليه من خسة حكام الدولة العثمانية، إذ كانت الدولة العثمانية تتسبب الشراكسة إليها بسبب السلطة الدينية لخليفة المسلمين العثماني (ولم تحتل بلادهم في يوم من الأيام كما سبق أن قلنا سوى بعض القلاع على الشواطئ - الشركسية - الشرقية للبحر الأسود.)، كما توضح الخريطة التالية ذلك الأمر:



خريطة للدولة العثمانية بعد وفاة السلطان سليم الأول.(من كتاب - تاريخ المشرق العربي الإسلامي - د - عصام شبارو - ص /331/). لاحظ ان الدولة العثمانية لم تكن تحتل بلاد الشراكسة فقط كان لهم بعض القلاع على الساحل الشركسي.

(1) أسطفان براسيموس - كتاب المسألة الشرقية - ترجمة كمال نعيم الخوري - مركز الدراسات العسكرية - دمشق عام /1996م/ ص /189/.

وكانت تسمى بلادهم جركستان في كل خرائطها ووثائقها ، كما
في الخريطة التالية:



خريطة الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر التي يذكر فيها بلاد الأدغخ والأبخاز بجركستان والتي تقع على الساحل الشرقي للبحر الأسود وبحر آزوف وكان نهر الكوبان العظيم ونهر التيرك نهرين داخليين في بلاد الأديغخ الشركسية.

وكمثال (نجد في معاهدة الصداقة بين الدولة العثمانية ودول (فرنسا وانكلترا - فلمنك - السويد) أن السلطان العثماني عبد الحميد خان من جملة أوصافه الكثيرة... أنه السلطان الأعظم للجراكسة والقبرطايان)⁽¹⁾ (والمقصود هنا قبرطا الكبرى وقبرطا الصغرى وهما من بلاد الجراكسة

(1) الوثيقة رقم /26/ - المجلد رقم /50/ الصفحات /7+8+9/ من مجلدات الوثائق العثمانية في مركز الوثائق التاريخية بدمشق. وتعني (القبرطايان) قبرطا الكبرى وقبرطا الصغرى وهما من أكبر الشعوب الشركسية.

أيضاً وقد استقلتا بموجب معاهدة بلغراد بين العثمانيين والروس عام 1739م/ ، واعترف الطرفان باستقلال منطقة القبرطايان (الشركسية) ولكن لم تطبق أحكام هذا الاعتراف إلا لسنين قليلة..

وكذلك نرى: في مراسلات القيصر الروسي، إيفان الثالث إلى السلطان محمود الأول في أعوام 1740- 1741- 1742م/ أنه كان يستعمل لقب (الحاكم الوارث للشراكسة والقبرطايي)⁽¹⁾...

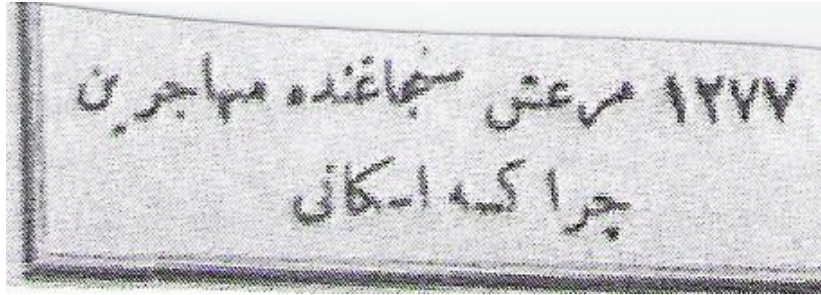
وفي النهاية وكما رأينا، نجد أن العثمانيين يتخلون عن الشراكسة للإمبراطورية الروسية، في معاهدة (أدرنة) إذ أعلنت الإمبراطورية العثمانية أنها قد تنازلت عن قفقاسيا الشمالية⁽²⁾، " التي لم تكن في يوم من الأيام تمتلكها أو تسيطر عليها فعلياً " إلى روسيا القيصرية. وبهذا وأمام الرأي العام العالمي على الأقل تكون روسيا قد كسبت (حق) التدخل في شؤون القفقاس الشمالي الداخلية. وبعد أن تمكنت روسيا من الانتصار على نابليون حولت قواتها العسكرية إلى مناطق القفقاس الشمالي، وكان قوامها آنذاك مائتي ألف جندي⁽³⁾. بعد ذلك عمل العثمانيون على تهجير سكانها المسلمين الشراكسة بالتعاون مع القيصرية (مستغلين أوضاعهم المأساوية في تلك الأيام) إلى الدولة العثمانية ليستخدموهم كملاط إحكام في بنائهم المتداعي، لأغراضهم الدنيئة، وبذلك يقضون على وجود وبقاء واستمرارية الأمة الشركسية في وطنها الأزلية شركيسيا التاريخية، التي كان لهم على سواحل البحر الأسود الشرقية /750/ كيلومتر عام /1552م/.. وعمل العثمانيون على استحداث (قومسيون) أي لجنة لإسكان الشراكسة قبل إعلان انهيار مقاومتهم في حروبهم مع

(1) من أرشيف رئاسة الوزراء التركية ، وثائق نامي هومايون وثيقة رقم /8/ صفحات من 35- 37- 94./ (لاحظ هنا أن القيصر الروسي يفرق بين القبرطاي وشراكسة الغرب أيضاً).

(2) بدلاً من التنازل عن أرض تحتلها أو تملكها، وكان قبول القيصرية الروسية لهذا التنازل الشكلي والاسمي مفهوماً، لأن ذلك سيخدم أهدافها المستقبلية..

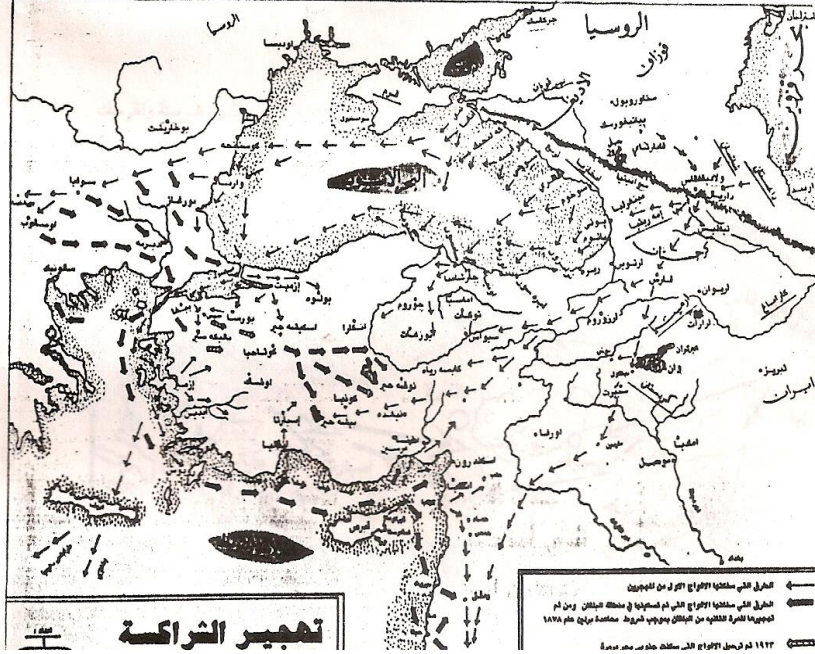
(3) نهاد برزج - التهجير - ص/87/.

القيصرية بسنين عديدة ففي عام /1277هـ/ 1860م/ بُدئ بإسكان المهجرين الشراكسة في مرعش التابعة لولاية حلب. وهذا يذكرنا بأعمال نصب آلاف الخيام على الحدود السورية التركية للاجئين السوريين، قبل اطلاق رصاصة واحدة في تلك الأيام أي بداية العدوان التي ضلع النظام الأردوغاني وانغمس فيها حتى الأذقان..



صورة من سلنامه ولاية حلب رقم /22/ لعام /1326هـ/ /1908م/ الموجودة في مركز الوثائق التاريخية بدمشق

نجد في الصفحة /42/ تحت عنوان وقائع مشهورة أنه في عام /1277هـ/ 1860م/ بُدئ بإسكان المهجرين الشراكسة في مرعش التابعة لولاية حلب. (قبل انهيار المقاومة الشركسية في /21/5/1864م/). وهذا الموضوع لاحظناه في الحرب الكونية التي شنت على الجمهورية العربية السورية في هذه الايام حيث نصبت تركيا عشرات المخيمات على الحدود السورية التركية قبل لجوء أي سوري بشهور عديدة!، من أجل استقبال المهجرين السوريين بسبب الإرهاب الأسود المدعومة من عشرات الدول المعادية، أولاها تركيا التي انغمست في معاداة الدولة السورية حتى الأذقان من أجل استقبال المهجرين السوريين واستخدامهم لأغراضها الدنيئة فيما بعد، كما فعلت الدولة العثمانية بالأمة الشركسية من قبل..



خريطة تبين المواقع التي هجر الشركاسة إليها منذ عام 1864م / وما بعدها

مع المحاولات السياسية للإمبراطورية العثمانية لوضع قفقاسيا الشمالية، تحت سيطرتها منذ القرن السابع عشر بدأت تزداد هجرة الشركاسة الفردية إلى اسطنبول ومن كتاب (الشراكسة في الجيش العثماني) لمحمد فتكري شئونه، أن هناك ثلاثمائة شركسي في الجيش العثماني قد وصلوا إلى رتبة باشا (أي فريق في عصرنا الحالي). وهذا يعني أنه قبل التهجير الكبير كان هناك المئات من الشركاسة قد شجعتهم الدولة العثمانية على أن يهاجروا إلى اسطنبول لاستخدامهم في سياستهم التهجيرية والتوطينية، طويلة المدى. فبعض من هؤلاء الشركاسة أصبحوا آلات لتطبيق سياسة الدولة العثمانية واستغلال الشركاسة لمصلحة العثمانيين.. فيما بعد تلك الفترات المبكرة، كان قسم كبير من الشركاسة قد فهم سياسة الدولة العثمانية ذات الوجهين في قفقاسيا الشمالية، وبعض هؤلاء الباشوات الشركاسة قد وقفوا في وجه الهجرة

وقاوموا تنفيذها. وفي هذا الموضوع يمكن الاستدلال على ذلك من مذكرات - موسى باشا قوندوقوف التي جاء فيها ما يلي: ((بعد أن انتهت مقابلي مع الصدر الأعظم (يعادل منصب رئيس الوزراء حالياً) ذهبت لمقابلة حسين باشا برزج / من قبيلة الوبيخ الشركسية / وكان هناك علي باشا شقيق حافظ باشا الذي هو من قبيلة الوبيخ الشركسية أيضاً. وكان هذان الشخصان على اهتمام بالغ يوضع المهجرين الشركسة. ولقد قال حسين باشا أن الدولة العثمانية لم تجهز أي شيء للمهجرين الشركسة وأن المجموعة الأولى من هؤلاء المهجرين كانوا في حالة يرثى لها، فرجائي رجاءً خاصاً بعدم الاستعجال في قضية التهجير⁽¹⁾.

ولكن حسين برزج قد أعدم عام /1866م/⁽²⁾ وبدأت عمليات تصفية الشركسة المثقفين الذين رفضوا وقاوموا عملية التهجير، وبدأت الدولة العثمانية بإعدامهم، ونفيهم إلى مناطق أخرى بعيدة عن اسطنبول بوظائف إسمية لا فعالية لها. وبالمقابل نجد في بلاد الشيشان أن كونتا حاجي ورفاقه قد قاوموا الدعايات العثمانية التي كان يقوم بها موسى باشا من أجل تهجير الشيشان أيضاً. ولولا تحرك كونتا حاجي⁽³⁾ ورفاقه لكان بإمكان موسى قوندوقوف أن يقنع غالبية الشعب الشيشاني بالهجرة، وذلك لأنه أخذ الموافقة المسبقة، من الحكومة الروسية واتفق مع الدولة العثمانية أيضاً⁽⁴⁾.⁽⁵⁾

(1) لقد حضر موسى باشا إلى اسطنبول لبحث موضوع تهجير الشيشان والأوستيين، وكان في تلك الفترة لا يزال جنرالاً في الجيش الروسي.

(2) القفقاس في التاريخ للجنرال - إسماعيل برقوق - ص / 517.

(3) من المعروف أن - كونتا حاجي - هو من القادة الشيشان وبنفس الوقت كان من رجال الدين الإسلامي المتتورين وهو الذي منع ووقف أمام تهجير الشيشان، وهذا مخالف لما روجه الكاتب نهاد برزج في معظم فصول كتابه التهجير!.

(4) من مذكرات موسى قوندوقوف - ص / 60 - 63.

(5) نهاد برزج - التهجير - ص / 132÷134.

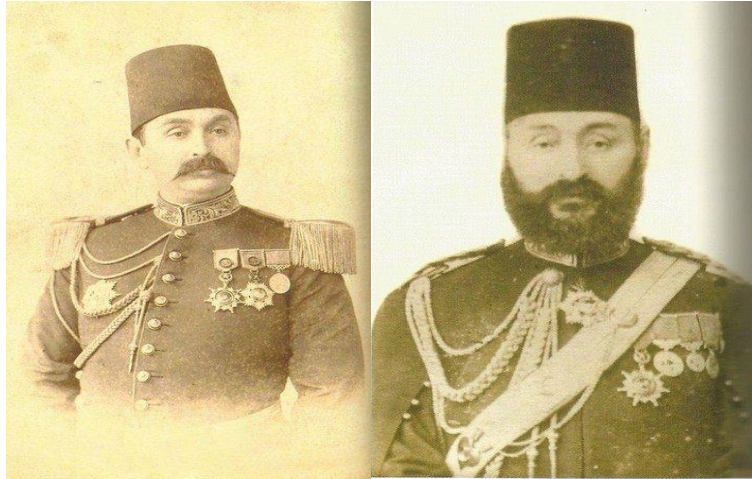


لوحة تعبّر عن ضراوة الحرب الشركسية القيصرية في القرن التاسع عشر الميلادي.

قال (إيه بيرج⁽¹⁾): [لن أنسى أبداً ذلك الإنطباع الطاغي، الذي تركه الجبليون في... بحلول تشرين الثاني من عام /1864م/ تجمّع حوالي /24790/ من الأبرزاخ والشابسوغ والبجدوغ " الشراكسة " في نوفوروسيسك. غادر منهم إلى تركيا /14900/ فقط، بينما مات الآخرون. من هو الذي لا يرتعد قلبه من منظر (على سبيل المثال) سيدة شركسية شابة، ترقد في أسماها على الأرض الرطبة في الشتاء، تحت السماء المكشوفة، مع طفلين أحدهما يصارع السكرات الأخيرة للموت، بينما يسعى الآخر ليطفئ غائلة الجوع من ثدي الجثة المتيبسة للأم. لقد شاهد المرء بضعة مناظر مشابهة..].

(1) محرر السلسلة الثمينة من الأوراق الرسمية (الروسية). من - ص - / 249 - جون.ف. بادلي - احتلال الروس للقفقاس - تعريب صادق إبراهيم عودة.

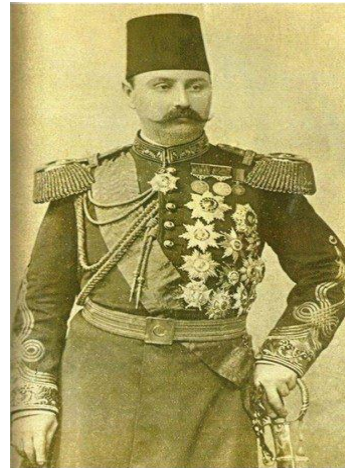
صور لأربعة جنرالات شراكسة أخوة، من قبيلة الوبيخ في الجيش
العثماني بعد تهجير الشراكسة من وطنهم شركيسيا:



Ottoman General Ismail Pasha Shkhapli [Shapli Ismail Paşa; Ubykh nobleman originally from the lower reaches of the Shakha River in Ubykhia, to the southwest of Circassia] Ottoman General Ahmet Pasha Shkhapli [Shapli Ismail Paşa; Ubykh nobleman originally from the lower reaches of the Shakha River in Ubykhia, to the southwest of Circassia]

Uasman,Ahmed,Mohamed,Ismail -sind vier Adiga-Ubykhische Brüder ,die Generäle
in der Armee des Osmanischen Reiches waren

أربعة جنرالات إخوة من الأوبيخ في الجيش العثماني، الإخوة شحابلي من نبلاء الأوبيخ
عثمان فريد باشا شحابلي - أحمد شحابلي
محمد شحابلي - إسماعيل شحابلي



Ottoman General Mehmet Pasha Shkhapli [Shapli Ismail Paşa; Ubykh nobleman originally from the lower reaches of the Shakha River in Ubykhia, to the southwest of Circassia]

13

*Уэсмэн империем и дээм мы зэкьуэшилл Адыгэ-Убыхыр генералу хэташ:

.Уэсмэн, Ахьмэд, Мухьэмэд, Исэмэхьил

*Four brothers who were Generals in the Ottoman Army

:Shahablii brothers from the wbiKh nobles

المبحث الثالث

العثمانيون يوطنون قبائل وشعوباً في أراضي غيرهم

[كان العثمانيون منذ فترة طويلة يتبعون سياسة التهجير وبناء المستعمرات وتغيير أماكن السكن بشكل مستمر كما قلنا سابقاً. وجدت الحكومة نفسها وجهاً لوجه أمام مسألة إسكان داخلي. وكانت إحدى التدابير المتخذة لإعادة إعمار القرى هي المباشرة بتوزيع القرى. وذلك بإعطاء القرية فوراً لمن يطلب تعهدها، شريطة أن يجلب سكاناً من خارج المنطقة لاستيطانها وإعمارها واستصلاحها وإعادة استثمارها زراعياً، وأن يدفع المبلغ المقطوع المذكور في دفتر المالية إلى الشخص المسؤول عن تلك المنطقة. كما قلنا سابقاً.

وكان إسكان بعض العشائر بقصد معاقبتها أيضاً، إذ صار الإسكان شبه نفي إلى أماكن جرداء قاحلة قليلة الماء والكلأ ذات مناخ غير ملائم لتربية الحيوانات في تلك الأيام. وهناك عوامل نفسية وطبيعية أدت إلى فرار المسكنين من أماكن إسكانهم هذه، وتعقب الدولة لهم ومعاقبتهم وإعادةهم إلى مواقع الإسكان المحددة لهم، التي صارت العشائر تعتبرها سجناً كبيراً مفتوحاً، ومنها على سبيل المثال منطقة الرقة في ولاية سورية التي اعتبرتها الدولة منفى وسجناً كبيراً للعشائر التي تقوم بحركات مناوئة للدولة، إذ كانت تهدد الخارجين على القانون والنظام بإسكانهم في الرقة. وللدلالة على أن الدولة العثمانية كانت تسكن إجبارياً قبائل وعشائر عربية في المناطق التي تريدها دون النظر إلى رغبات تلك القبائل والعشائر أورد هذه الوثيقة من الأوامر السلطانية التي وجدتها في مركز الوثائق التاريخية بدمشق: الوثيقة رقم /395/ الموجودة في الصفحة / 217 / من المجلد /1/ تاريخ /1162 هجرية الموافق لعام 1748م/:

[من والي الرقة الوزير مصطفى باشا. إلى قضاة حلب وإلى متسلمي ومتولي الأوقاف وضباط قرى - حمص وحماه واللاذقية - بشأن إرجاع نازحين إلى مكانهم الأصلي: إن جماعات (الشاوي) و(السماكه) - التي كان قضى المرسوم السلطاني بإسكانهم إجبارياً في أطراف (الشامى) و(الجزيري) من نهر الفرات بجوار مدينة الرقة. قد فرّ معظمهم من مكان إقامتهم الإجباري، وبوساطات متعددة وخلافاً للمرسوم السلطاني سكنوا في أماكن أخرى وبالنظر لما في ذلك من التأثير السيئ على تحصيل ضرائب عام /162هـ/ من جماعات الصبحة والمساعد والمشافعه، فقد اقتضى إرجاع الجماعة النازحين إلى مكان إقامتهم الأول، وصار تعين مأموراً خاصاً لتنفيذ الأوامر بمعرفة المشايخ وأصحاب العلاقة وعليه صار تحرير - في /24 ت 1162 هجرية - 1748م/ ⁽¹⁾].

ملاحظة: [(- سيمك) مجموعة عشائر عربية كانت تسكن في أنحاء الرقة، لكنها هربت وتفرقت نتيجة زحف قبيلة عنزة القادمة من الجنوب. أعيد إسكانها على أطراف نهر البليخ في الرقة ⁽²⁾].

- شاوي (مجموعة عشائر عربية كانت تسكن في أنحاء الرقة، هربت وتفرقت أمام زحف قبيلة عنزة القادمة من الجنوب، أعيد إسكانها على أطراف البليخ في الرقة فعملت في زراعة الأرز والقنب، وتربية دودة القز في البساتين والدغلات ⁽³⁾). ⁽⁴⁾]. من غرائب الصدف أن تسكن الدولة العثمانية مئات العائلات الشركسية المهاجرة إلى سورية عام /1905م/ في المناطق نفسها التي كانت تلك القبائل والعشائر تهرب منها

-
- (1) الوثيقة رقم /395/ الموجودة في الصفحة /217/ من المجلد /1/ تاريخ /1162هـ/ الموافق لعام 1748م/ الموجودة في مركز الوثائق التاريخية بدمشق.
 - (2) جنكيز أورهنلو - إسكان العشائر في عهد الإمبراطورية العثمانية - ترجمة: فاروق مصطفى - ص /219/.
 - (3) المرجع نفسه - ص /220/.
 - (4) جنكيز أورهنلو - إسكان العشائر في عهد الإمبراطورية العثمانية - ترجمة: فاروق مصطفى - ص /219 + 220/.

قبل أكثر من قرن. وكان هذا الإسكان الجديد الذي ثبت فيها الشراكسة، سبباً في إعادة إعمار رقة الرشيد، حتى أضحت الآن مدينة جميلة كبيرة وما يزال الشراكسة مقيمين فيها في حي الشراكسة. وكذلك الأمر بالنسبة لمنبج والقنيطرة ومختلف المدن الرئيسية الأردنية. وتقول مصادر أخرى أنه في عام /1904م/ هاجرت /300/ عائلة تحت قيادة تاولستان أنزور يقوه - وأسكنت في منطقة الرقة في سورية، وفي الأيام الأولى من استقرارهم في تلك المنطقة مات /150/ شخصاً منهم نتيجة الملاريا، كما بدأت المعارك مع السكان الأصليين ومع انتشار المرض اضطروا إلى العودة إلى وطنهم الأم⁽¹⁾.

ويعمد بعض المؤرخين نتيجة جهلهم بالحقائق التاريخية إلى الادعاء بأن العثمانيين لم يؤثروا في النسيج البشري ولا في البنية السياسية لسورية خلال فترة حكمهم لها..

إذا وضعنا جانباً مسألة التأثير السياسي والإداري، فإن ما قدمته لنا الوثائق الرسمية من المعلومات عن إسكان العشائر التركمانية والتركية، والكردية والعربية في إيالتي حلب والرقة (على سبيل المثال) عن وقائع إسكان العشائر التركمانية في لواءي حمص وحماة يظهر عدم صحة هذا الادعاء المتعلق بموضوعنا. ففي /25 كانون الثاني عام 1691 / تم إقرار إسكان قسم من الأقوام المتنقلة في الأماكن الخالية والخربة الموجودة في لواءي حمص وحماة التابعين لإيالة طرابلس الشام، ثم صدر الأمر بذلك⁽²⁾.

أما الأفخاذ التركمانية من تركمان حلب التي دعت وأمرت بالسكن والاستقرار في تلك المناطق فقد: كان عددهم /26 فخذاً / في البداية أضيفت إليهم فيما بعد أربعة أفخاذ وصار مجموعهم ثلاثين فخذاً.

(1) مجلة يممس - أنقرة عام /1977م/. (لم يتمكن أحد من الشراكسة المهجّرين من العودة إلى وطنه في تلك الأيام، المؤلف).

(2) تصنيف دفاتر المالية رقم /8458 / ص - /42 /.

ومن تركمان - يني إل - بلغ عددهم عشرة أفخاذ وبلغ عدد أفخاذ المجموعتين أربعين فخذاً. والأفخاذ التي أسكنت في أراضي لواء حمص هي: /1066/ عائلة أسكنت في أراضي لواء حمص، ووزع عليهم /570/ فداناً من الأراضي. وإذا اعتبرنا متوسط عدد أفراد العائلة / 5 / أشخاص يكون عددهم التقريبي / 5000 - 5500 / فرداً أسكنوا في /36/ قرية / و17/ مزرعة /.⁽¹⁾..

[في عام / 1842م / كان الحل الوحيد الممكن لمسألة المصايف والمشاتي هو بقاء العشائر حيث هي، ترعى صيفاً وشتاءً في الأراضي الواسعة المتوفرة في الألوية والأقضية التي تتواجد فيها، وبهذا سوف يشكل هؤلاء المسكنون في مشاتهم مصدر قوة جديدة وفتية للجيش⁽²⁾. وسوف تكون العشائر تحت إدارة مشيري وقائمقامي ومديري الألوية والأقضية التي تقع فيها الأراضي الخاوية التي سوف يسكنون فيها. لهذا خصصت لهم الأراضي والمزارع الخاوية والمهجورة، وتم ترغيبهم وتشجيعهم على زراعتها مثل المقيمين.⁽³⁾..]

وفيما بعد تم إحداث المديرية العامة للعشائر والمهاجرين، حيث وجدت الدولة العثمانية نفسها اعتباراً من أواسط القرن التاسع عشر مضطرة للاهتمام بمسألة إسكان جديد كما لم تهتم به قبلاً. فأمام موجات هجرة (تهجير) المسلمين سكان الأراضي التي خسرتها وفقدتها الدولة (العثمانية) / أمام القيصرية الروسية وغيرها /، ولجوئهم إلى داخل حدود الدولة العثمانية لم تكن هناك مؤسسة تعني باحتياجات (المهاجرين)

-
- (1) جنكيز أورهنلو - إسكان العشائر في عهد الإمبراطورية العثمانية - ترجمة: فاروق مصطفى - ص / 100+99 /.
- (2) دفتر مهمات الديوان الهمايوني رقم / 255 / - ص / 44 / وسوف تكون العشائر تحت إدارة مشيري وقائمقامي ومديري الألوية والأقضية التي تقع فيها الأراضي الخاوية التي سوف يسكنون فيها.
- (3) جنكيز أورهنلو - إسكان العشائر في عهد الإمبراطورية العثمانية - ترجمة: فاروق مصطفى - ص / 163 /.

وتشتغل بإسكانهم في أماكن مناسبة. وكان وضع أتراك القرم⁽¹⁾ الذين هاجروا على شكل كتل كبيرة إلى داخل أراضي الدولة العثمانية، قد أجبر الدولة على اتخاذ بعض القرارات بهذا الخصوص. فصدرت لأول مرة عام / 1856م/ تعليمات⁽²⁾، حول كيفية إعاشة المهاجرين وكيفية إسكانهم. وحول أمور أخرى متعلقة بهم. وكان هؤلاء المهاجرين قد وصلوا بشكل عام إلى استنبول وجوارها بالبواخر. كما وصلها قسم منهم عن طريق البر، وانشغلت بهم أمانة مدينة استنبول، كما كانت في الوقت نفسه مسؤولة عن تأمين إسكانهم في أماكن مناسبة من - (بلغاريا) = روملي⁽³⁾ - . ثم تقرر فيما بعد تأسيس مؤسسة تشرف على هذه الأمور، ورفع هذه المسؤولية عن كاهل أمانة مدينة استنبول. وهكذا تأسست مؤسسة المهاجرين عام / 1860م/. ويبدو أن هذه المؤسسة لم تظهر فاعلية ملموسة⁽⁴⁾ فجاءت الهجرة الكبرى (الثانية) التي أعقبت الحرب العثمانية الروسية عام / 1876م - 1878م/ وشكلت مستنداً لإحداث دائرة تشرف

(1) كتبت الدكتور - أمل دوغراماشي من جامعة حاجي تبه - أنقرة - في البحث التي قدمته للمؤتمر الثاني لتاريخ بلاد الشام في جامعة دمشق كلية الآداب - الجزء الثاني من عام / 1516 - 1939م/ أن مليوناً وأربعمئة ألف نسمة قد غادروا القرم إلى المناطق العثمانية ما بين عامي / 1854 - 1876م/.

(2) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء (العثماني) - تصنيف قسم الداخلية رقم / 22622/.

(3) المرجع نفسه - / 23899/..

(4) هنا إشارة إلى العجز الكبير التي كانت عليه مؤسسة المهاجرين التي أشرفت على إسكان الشراكسة المهجرين اعتباراً من عام / 1860م/ وما قبلها أيضاً وما بعد عام / 1864م/ وكانت هذه المؤسسة الحديثة التشكيل في غاية الإهمال وقلة الإمكانيات المادية التي أدت إلى كوارث لا توصف ويعجز القلم عن وصفها حيث مات جوعاً وعطشاً وبسبب الأمراض أكثر من مئات الآلاف من الشراكسة الذين وصلوا إلى الدولة العثمانية أشباحاً وهاكل عظمية بسبب المدة التي قضوها على السواحل الشركسية ينتظرون السفن التي لم تصل خلال شهور كثيرة دون مؤن ودون الحاجات الأساسية للإنسان... (م)

على هذه المسألة لهذا أسست (مؤسسة إسكان المهاجرين)⁽¹⁾ لتتهدم أكثر بأمور المهاجرين الموجودين في استنبول، ثم فيما بعد أسست في كل ولاية مديرية لإسكان المهاجرين، وارتبطت جميعها بالمديرية العامة في استنبول. وقد تمت إعادة تشكيل هذه المديرية العامة من جديد⁽²⁾، استناداً إلى قانون التشكيلات الصادر عام 1914م/ وصار اسمها (المديرية العامة للعشائر والمهاجرين) هذه المديرية التي أسست في الأصل للاهتمام بأمور المهاجرين أدخلت العشائر رسمياً في نطاق فعاليتها. أما الشعب الرئيسية لها فكانت:

1 - شعبة الإسكان

2 - الهيئة الفنية

3 - شعبة السوقيات والعشائر⁽³⁾. وقد استفادت هذه المديرية في أعمال الإسكان من الأفكار الغربية، وتظهر مجموعة النشرات التي أصدرتها أنها بدأت تنظر إلى مسألة الإسكان والتوطين نظرة مغايرة تماماً لما كانت عليه حتى ذلك الحين⁽⁴⁾.

من بكائيات التهجير (استنبولكوه) أي التهجير إلى استنبول، التي نظمت باللغة الشركسية. مصحوبة بموسيقى حزينة جداً تدمي القلوب. والتي نظمت أثناء تهجير الأمة الشركسية عام 1864م/.

تقول البكائية (خبزة) ما يلي:

(1) ولم تكن هذه المؤسسة بأحسن حالاً من سابقتها ولا يقل ماعاناه الشراكسة من هذا التهجير ال(الثاني) عن سابقتها ولا يتسع المجال هنا عن الخوض في تفاصيلها.(م).

(2) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء (العثماني) - وزارة داخلية الباب العالي - كرتونة / مصنف / رقم / 99.

(3) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء (العثماني) - وزارة داخلية الباب العالي - كرتونة / مصنف / 2 / رقم / 8200.

(4) جنكيز أورهنلو - إسكان العشائر في عهد الإمبراطورية العثمانية - ترجمة: فاروق مصطفى - ص / 170.

[" اللآزمة " أوو اوو.. يا ويلنا يأخذوننا إلى استتببول.
يا لبيت الجدود الذي يجهز فيه عربية الخيل.
يحرموننا من وطننا قسراً.
وبقلوب ممزقة يأخذوننا إلى استتببول.
يا لطريق استتببول المعوج.
تركت خطيبي الجميلة بين القوم.
" اللآزمة " أوو اوو.. يا ويلنا يأخذوننا إلى استتببول.
يا لأختي الصغيرة ذات الشعر المجعد.
تعلق بي مصير كل أفراد العائلة.
" اللآزمة " أوو اوو.. يا ويلنا يأخذوننا إلى استتببول.
العلم الشركسي تتقاذفه الرياح.
من سيأتينا بأخباركم بعد ذلك.
" اللآزمة " أوو اوو.. يا ويلنا يأخذوننا إلى استتببول.
" اللآزمة " أوو اوو.. يا ويلنا يأخذوننا إلى استتببول.⁽¹⁾]

وهناك بكائية أخرى عن التهجير تقول كلماتها " مع الموسيقى
الحزينة:

أعد النجوم في السماء طوال الليل.
أعد النجوم في السماء طوال الليل.
يا لمصيبتنا العظيمة لقد خسرنا أناساً بعدد شعر رأسي. أه يا بلادي.
لقد أصبحنا شعباً ضائعاً
لقد أصبحنا شعباً ضائعاً

(1) ترجمة المؤلف عدنان قبرطاي.

يا لمصيبتنا العظيمة لقد خسرنا أناساً بعدد شعر رأسي. آه يا بلادي.
أرواح المهجّرين فوق راحتهم ولا يهابون الموت.
أرواح المهجّرين فوق راحتهم ولا يهابون الموت.
يا لمصيبتنا العظيمة أبناؤنا الشباب يؤتى بهم أموات، يا ويلنا من هذه
الدنيا.

هدير المدافع ترعد طوال الليل.
هدير المدافع ترعد طوال الليل.
ونحن نللمم بعضنا بعضاً يا لمصائبنا العظيمة.
إنهم يطردوننا من وطننا. آه على هذه الدنيا.
تنادى الناس قائلين إن الروس يطردوننا.
تنادى الناس قائلين إن الروس يطردوننا.
يا لمصيبتنا ها نحن قد بدأنا طريقنا ولكن لا ندري إلى أين آه يا دنيا.
الرياح العاتية تتقاذف البواخر السوداء.
الرياح العاتية تتقاذف البواخر السوداء.
يا لمصيبتنا العظيمة لقد أصبحنا مشتتين.
وبقينا وحدنا في الميدان.. آه يا دنيا.⁽¹⁾

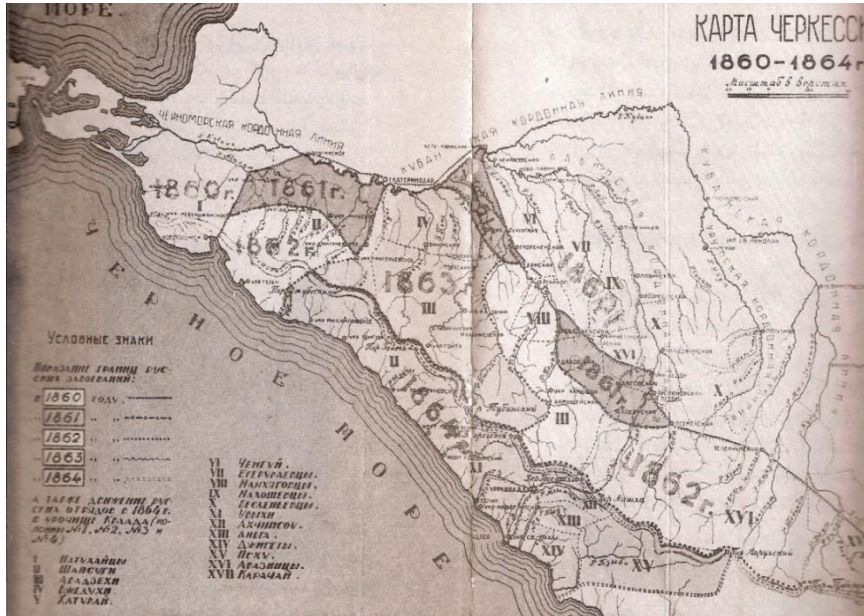
(1) - ترجمة الأستاذ أنس سامي تسي.

المبحث الرابع

العثمانيون يتآمرون على تهجير تسعة أعشار الأمة الشركسية

[كان الموضوع الرئيسي للمكاتبات الدبلوماسية بين الروس والأتراك (العثمانيين) هو مسألة تهجير واستقرار الشركاسة القفقاسيين ضمن حدود الدولة العثمانية، وفي خلال المحادثات حاول كل طرف إظهار عدم مسؤوليته عن هجرة (تهجير) الشركاسة بغية إبعاد نتائج هذا التهجير عن مسؤوليته في مستقبل المهجرين. في تموز عام 1859م/ أفاد السفير الروسي في - استنبول - (لوبانوف روستوفسكي) أن الصدر الأعظم - رئيس الوزراء - فؤاد باشا - ووزير الخارجية - علي باشا - أعلنوا له عن وضع قيود على حرية هجرة مسلمي القفقاس إلى تركيا والتي زادت في الفترة الأخيرة، وأصبحت حملاً ثقيلاً على الباب العالي، وأنهما يريدان أن لا تتم دون علم مسبق من قبل الحكومة واتفاقاً بين الحكومتين. بغية الإسراع في حل مسألة التهجير وللتغلب على المصاعب التي أقامتها الحكومة التركية أرسل إلى - استنبول - في عام 1860م/ اللواء - لوريس ميليكوف -، وتم الاتفاق على السماح بهجرة الشركاسة إلى تركيا بشكل إفرادي، كما حصلت الحكومة الروسية على وعد بإعادة إسكان الشركاسة بعيداً عن الحدود القفقاسية في المناطق الداخلية من الإمبراطورية العثمانية إذ كانت الحكومة الروسية تخاف من عودة المهجرين من تركيا...، وهكذا أخذت حركة التهجير طابعاً رسمياً واستمرت خلال أعوام 1860/ - 1862م/ و[علينا أن ندرك أن هناك تهجيرات سابقة للتهجير الجماعي الكبير عام 1864م/ منها ما ظهر في: تقرير هيئة الهجرة العثمانية في عام 1860م/ التي أوردت ما يلي:

حتى عام /1859م/ كان عدد المهاجرين (المهجرّين) هو /450 ألفاً/..
ومنها تذكر الهيئة نفسها عام /1878م/ أنه في عام /1877م/ هاجر
(هجّر) من الأباظه فقط /100 ألف /. وفي عام /1878م/ هاجر (هجّر) من
البيزادوغ فقط /150 ألفاً / أي أن المجموع في هذه الدفعة الجديدة كان
/250 ألفاً /⁽¹⁾. ومنه نعلم أن ما مجموعه /700000/ مهجرّ شركسي لم
يذكروا في التهجير الكبير الذي جرى ما بعد /5/21/ عام /1864م/.



خريطة شركيسيا التي تظهر مراحل الاحتلال الروسي التدريجي لأراضي القبائل الشركسية في
الغرب الشركسي ما بين أعوام /1860 – 1864م/. وهذه الخريطة تفسّر التهجير التي حصلت للقبائل
الشركسية التي سبقت التهجير الجماعي الكبير فيما بعد /1864/5/21م/.

(1) مجلة الإخاء – العدد /38/ تشرين الأول /1992م/ - ص - /14/.

عندما أصبح التهجير إلى تركيا جماعياً احتجت تركيا وعادت المحادثات الدبلوماسية. في تشرين الأول من عام 1863م/ أعلم رئيس الأركان العامة لجيش القفقاس الجنرال - كاراتسوف - السفير الروسي في - استنبول - نوفيكوف - أن الكتلة الكبرى الرئيسية من الشركاسة احتشدت⁽¹⁾ في نطاق ضيق جداً على الساحل بغية الهجرة إلى تركيا وأعلمه أنه يخاف من صعوبات قد تضعها الحكومة التركية أمام طرد شعب بأكمله جماعياً، وخصوصاً أن أكثر الشركاسة يريدون الذهاب إلى أحد نقطتين - استانبول - و - طرابزون - ولا يعرفون غيرهما ولا يريدون أن يعرفوا. وتعقد الموقف الدولي في عام 1863م/ بسبب الانتفاضة البولونية وبسبب زيادة النشاط الأجنبي في شركيسيا، مما سبب اضطراباً لدى الحكومة الروسية، وشكاً أن الحكومة التركية لن تستقبل المهجرين، استخدم القنصل الإنكليزي والقنصل الفرنسي في - طرابزون - كل الوسائل لشل وإعاقة عملية التهجير للشركاسة⁽²⁾. أظهرت المحادثات الروسية التركية في بداية عام 1863م/ في - استنبول - أن الباب العالي كان يحاول تأجيل حل مسألة التهجير، وأعلم - نوفيكوف - الجنرال - كاتسوف - أن الحكومة التركية لا تمتنع عن استقبال المهجرين القفقاسيين الراغبين بالهجرة الجماعية إلا أنها لا تضمن إسكانهم فقط في - استنبول - و - طرابزون - بل أيضاً في نقاط أخرى، بالإضافة لذلك طلبت الحكومة التركية إبطاء الهجرة بسبب عدم

-
- (1) لاحظ هنا أنه يقول احتشدت مع انهم حشدوا والأدلة على ذلك كثيرة.
(2) إن موقف القنصلين الفرنسي والإنكليز كان أفضل من الموقف العثماني في هذا المجال وفي تلك الأيام وكان متقدماً على الموقف العثماني ؟
(2) لاحظ معي أن الدولة العثمانية كانت تحسب ألف حساب لرضى وغضب الإمبراطورية الروسية ولنا هنا أن نتساءل هل على الدولة العثمانية أخذ رأي الروس في مناطق إسكان الشركاسة التي تقع ضمن الأراضي العثمانية وسيادتها القانونية ؟.

الجاهزية لمثل هذا الإجراء الكبير والخطير⁽¹⁾ وبسبب صعوبات مالية إلى ما بعد 1864/4/20م، وكان أحد شروط تركيا أن يسمح للمهجرين بجلب مواشيهم وأدواتهم الزراعية وغير ذلك من الأغراض الشخصية والضرورية⁽²⁾.

في نيسان /1864م/ انتهت المحادثات التركية الروسية حول التهجير الجماعي للشراكسة، سمحت الحكومة الروسية بتأمين سفن نقل لنقل المهجرين إلى - فارنا - و - كيوستنيجي - وكتب - نوفيكوف - يقول: (إن الحكومة العثمانية ستوزع المهجرين في مجموعات صغيرة على المناطق الأكثر حرجاً للحكومة لكي يكونوا حراساً للإمبراطورية العثمانية في المستقبل). بنصيحة من الحكومة الإنكليزية تم إسكان قسم كبير من المهجرين القفقاسيين (حوالي /50000/ أسرة في البلقان وبشكل خاص في بلغاريا)، وكتب القنصل الروسي - نياغين - في فارنا يقول: إن الغرض

-
- (1) وبما أن الشراكسة كانوا قد حشدوا على الساحل الشركسي قبل ذلك بكثير كما أفاد بذلك رئيس الأركان العامة لجيش القفقاس الجنرال - كاراتسوف - وأعلم السفير الروسي في - استنبول - نوفيكوف - حيث كتب له أن الكتلة الكبرى الرئيسية من الشراكسة احتشدت (ولم يقل حشدت) في نطاق ضيق جداً على الساحل بغية الهجرة إلى تركيا وبهذا التأجيل غير المدروس ترك الشراكسة ينتظرون السفن التي ستقلهم شهوراً عديدة دون أي مساعدة من أحد ودون وسائل الحياة المختلفة التي يحتاجونها، وتركوا تحت العراء دون أي سقف تأويهم ودون وسائل تغطية أو تدفئة في طقس قاتل من البرودة الشديدة المعروفة عن تلك المناطق التي كانت جرداء في تلك الأيام، لذا تعرضوا لظروف لا تطاق من البشر وكثرت فيهم الأمراض والأوبئة ومات مئات الآلاف بالأوبئة والجوائح والعدوى من الأمراض التي انتشرت انتشار النار في الهشيم، وبسبب الجوع وبسبب أكلهم مواد بريبة مسممة للجسم البشري كما أفاد بذلك شهود عيان في تلك الفترات...
- (2) لاحظ هنا العقلية المتخلفة للسياسيين الأتراك العثمانيين، إنهم يفكرون بالأمر المادية ولا يفكرون بنتائج تهجير أمة كانت في القفقاس الشمالي منذ الأزل، فهم الذين حاربوا القيصرية لأكثر من قرن ونصف وكانوا سداً لأطماع القيصرية في الجنوب، فبعد أقل من عقدين لانهايار مقاومتهم وصل الجيش الروسي إلى عمق الأراضي العثمانية في تركيا نفسها ١٥.

من إسكان الشراكسة في بلغاريا هو إيقاف كل حركة سلافية تسعى للاستقلال، وكذلك إيجاد أغلبية مسلمة في القسم الأوربي من الإمبراطورية العثمانية، وذلك لمواجهة أي طلب مستقبلي من القوى الأوربية دفاعاً عن مسيحيي تلك المنطقة⁽¹⁾. تم توزيع الشراكسة المهجّرين بمجموعات صغيرة في كل بلغاريا بين القرى البلغارية، وكانت القرى الشركسية على مسافات محددة من بعضها البعض مشكّلةً خطأً يقطع بلغاريا في عدة اتجاهات.

وحسب أقوال القنصل الروسي في - فارنا - أن الحكومة التركية كانت تخصص أراضي للشراكسة على خط مستقيم بين نهر - الدانوب - والجبال، وكانت هذه السلسلة الحربية تمتد من - دوبروجي - حيث كانت توجد قرى تثار القرم⁽²⁾، حتى حدود - صربيا - و- الجبل الأسود -، فمثلاً على سهل - كوسوفو - كانت هناك ثلاث وعشرون قرية شركسية⁽³⁾. بالإضافة لذلك تم إسكان الشراكسة في اليونان وفي جزيرة - قبرص -، وتم إسكان قسم كبير في منطقة - بانديرميه - على ضفاف بحر مرمرة - . وهكذا فإن سلسلة القرى الشركسية امتدت على كامل القطاع الأوربي من تركيا = (الدولة العثمانية) وخصوصاً -

(1) هذه هي المهمة الجديدة للشراكسة في الدولة العثمانية التي خطط لها العثمانيون عندما تأمروا مع القيصر على تهجير الشراكسة. وإن توزيع الشراكسة في أنحاء الدولة العثمانية المترامية الأطراف في مجموعات صغيرة (وفي أنحاء وأرجاء ثلاثة قارات، هي آسيا وأوروبا وإفريقيا 199) قد ساهم إلى حد بعيد في ضياع هذه الأمة المجيدة وضياع عاداتهم وتقاليدهم العريقة وضياع لغتهم القديمة قدم التاريخ والأهم من كل ذلك ضياع الأمل في عودتهم إلى الوطن 199. وأخيراً وليس آخراً هل من الصداقة والأخوة الدينية أن تعامل الدولة العثمانية الشراكسة بهذه الطريقة 199.

(2) الذين هجّروهم الروس في بداية القرن التاسع عشر بعد احتلال بلادهم. فتم استغلالهم من قبل الحكومة العثمانية، ووزعتهم وفق مصالحها الأنية كما فعلت بالشراكسة.

(3) بقي منهم حتى نهاية القرن العشرين قريتين تم قبول عودتهم إلى جمهورية الأديغيه الشركسية أثناء الحرب الصربية وألبان كوسوفو..

بلغاريا - كانت قرى الشراكسة على امتداد الطرق الرئيسية وعلى
مداخل الممرات الجبلية.. واتبع نفس النظام في الإسكان في - الأناضول -
بين السكان الأرمن واليونانيين، وكتب دبلوماسي روسي في - استانبول
- يقول: (إن الحكومة التركية تريد إسكان الشراكسة في مناطق
متفرقة كي لا يتجمعوا في كتلة واحدة كبيرة في منطقة واحدة خوفاً
على النظام العام وسلطة الدولة⁽¹⁾)، يتم تسفير الشراكسة من - طرابزون
- مباشرة إلى - قارس - و- أرزينجان - وكانت السلطات المحلية تخاف
منهم، وحسب تقارير القنصل الروسي في - أرضروم - فإنه من المقرر
إسكان /4000/ عائلة هناك).

كتب السفير الروسي في - استنبول - منتقداً سياسة الإسكان
التركية للشراكسة (حيثما يتم إرسال الشراكسة فإن ذلك يشكل عبئاً
على البلد وعلى السكان، ومن ناحية أخرى من المهم لنا أن المهجرين
المسلحين لا يتم إسكانهم بين مسلحين آخرين حتى لا يشكلوا كتلة قوية
متماسكة معادية لنا، ولا بين المسيحيين في تركيا في المناطق القريبة من
حدودنا).

نصحت إنكلترا الباب العالي بإقامة إمارة ذات استقلال ذاتي
للشراكسة على حدود روسيا بحيث تصبح دولة حربية، كما كان
مقترحاً استخدام الشراكسة كعمال بأجور منخفضة لإنشاء الطرق بين
- طرابزون - و- أرضروم - لصالح التجارة الإنكليزية في المنطقة..
وكان على روسيا القيام بجهود صعبة جداً مع الحكومة التركية لتطبيق
شروط إسكان المهجرين القفقاسيين ضمن الإمبراطورية العثمانية، وقد
تعقد هذا الموضوع بسبب تهجير /5000/ عائلة شركسية من منطقة نهر -

(1) هذا الأمر صحيح ومن قبل رفضت الدولة العثمانية نصيحة بريطانيا بإقامة إمارة
شركسية في الدولة العثمانية فقد كان للدولة العثمانية أهداف أخرى في استغلال
الشراكسة لأمر كثيرة كما كانت تخاف فعلاً من إقامة أي كيان شركسي
فقد رأوا بأم أعينهم مقدار بسالة الشراكسة في القتال بالقفقاس والبلقان..

تيرك - (قبرطاي وشيشان) إلى تركيا عبر البر عن طريق مناطق ما وراء القفقاس، حسب الاتفاق بين الحكومتين كان من المفروض إسكان هؤلاء لا قرب الحدود الروسية بل في الداخل في منطقتي - ديار بكر - و- أرزينجان -، قامت الحكومة الروسية بإرسال الضابط - زيليني - إلى مدينة قارس كمراقب لتجهيز وإعادة إسكان الشراكسة، وكتب في آب /1865م/ إلى السفير الروسي في - استنبول - بأن مدير عمليات الإسكان التركي (نصرت باشا) يعارض في إسكان المهجرين في الأماكن المحددة وبالعكس يريد إسكانهم قرب الحدود الروسية عند موش - و- فان -⁽¹⁾، قام السفير الروسي بإعلام وزير الخارجية التركي بهذا الأمر لاتخاذ الإجراءات المناسبة، وأجاب - علي باشا - بأن - نصرت باشا - كان يتصرف بشكل شخصي وأنه سيتم إعلامه بإسكان الشيشان قرب - ديار بكر - و- أرزينجان - وأنه لن يبقى شيشاني واحد في منطقة - فان - إلا أنه إذا زاد عدد المهجرين فإنه سيضطر إلى إسكانهم في منطقة - موش - الأبعد قليلاً عن الحدود الروسية. وهكذا استطاعت الدبلوماسية الروسية أن تحصل من الحكومة التركية على ما تريد في إسكان القسم الأكبر من الشراكسة المهجرين بين سنوات 1859/ - 1865م/ وتم إسكانهم في ولاية - سيوا - في منطقة سهلية واسعة خالية من الأشجار بين - طوقات - و- سيوا - . في هذه الفترة شجعت روسيا السلاف الجنوبيين على طلب الهجرة إلى روسيا والقبول بالتبعية الروسية واستطاعت أن تقنع حوالي مئة ألف عائلة من الجبل الأسود بالمجيء للسكن على ساحل القفقاس على البحر الأسود (في الأرض الشركسية).. سمحت لمئة عائلة سلافية بالقدوم وكذلك سمحت روسيا لعائلات يونانية وأرمنية بالاستقرار في المناطق الشركسية التي هجرت سكانها إلى الدولة العثمانية..

(1) حصلت معارك كبيرة في هذه المنطقة فيما بعد ضد القوات العثمانية في الحرب العالمية الأولى.

[..بخصوص تهجير الأمة الشركسية، سمح الروس للسفن التركية بالرسو على الشاطئ لنقل المهجرين كإجراء مؤقت لعدم كفاية الوسائط الأخرى، وخصصت الحكومة الروسية جزءاً من أسطولها الحربي وسفنها التجارية الأخرى لنقل المهجرين (الشراكسة) للإسراع في عملية التهجير بغية الانتهاء من هذا الموضوع بأسرع ما يمكن، وظهر ذلك في رسالة من حاكم القفقاس - م. رومانوف - إلى وزير الحربية بتاريخ /1864/3/26م/ حيث يقول: (إن مسألة الوقت اللازم لإنهاء الحرب في الظروف الراهنة يعتمد على الوقت اللازم لنا لطرد السكان المعادين⁽¹⁾ إلى تركيا). بغية التسريع في تهجير الشراكسة إلى الإمبراطورية العثمانية تم تشكيل لجنة خاصة في - أنابا - و- تامان - وفي قلعة - كونستانطينوفسكي - وفي موقع - فيليامينوفسكي - عند نهر - تواسبه - ، وعند موقع - كوبانفسكي - عند نهر - داغوميسه - ثم في - خوسته - و- ادلر - ، أرسلت الحكومة العثمانية مبعوثاً خاصاً لتقديم المساعدة في تأمين السفن التركية وساعد في ذلك القنصل الروسي في مدينة طرابزون - التركية، وقد حصل هذا القنصل على ثناء من حاكم القفقاس لما قام به من جهود في تسريع التهجير للشراكسة، حتى نهاية عام /1864م/ انتهت عمليات تهجير وطرد القسم الأكبر من الأديغة " الشراكسة " من شمال غرب القفقاس إلى تركيا، وفي تلك الأيام كتب القائد العام الروسي يقول: ((في هذا العام /1864م/ تم إحقاق حقيقة لم تحصل في التاريخ قبل الآن وهي أن العدد الكبير من السكان الشراكسة الأغنياء والمسلحين والقادرين على القتال والذين كانوا يسكنون منطقة ما وراء الكوبان الواسعة ابتداء من منابع الكوبان إلى - أنابا - والسفوح السفلى لجبال

(1) وطبعاً كانت الأمة الشركسية بكاملها هي المقصودة من هذه العبارة، ولا حاجة لنا لتكرار القول بأن الشراكسة قد طردوا من وطنهم ولم يهاجروا كما يذكر في بعض الكتب دون التمييز بين التهجير والهجرة.. وظهر ذلك جلياً في رسالة من حاكم القفقاس - م. رومانوف - (وهو من الأسرة الملكية الحاكمة في تلك الأيام) إلى وزير الحربية بتاريخ /1864/3/26م/، أي قبل الموجة الكبرى للتهجير بشهرين تقريباً.

القفقاس من خليج - سوجوق - إلى نهر - بزيبه - والتي كانت تملك أكثر المناطق وعورة، هذه المجموعة من السكان اختفت من هذه الأرض، وقد حصل لهم انقلاب جذري في حياتهم فلن يبقى أي شركسي في مكان معيشتهم السابق وكل يحاول جهده (تتظيف⁽¹⁾) المنطقة لتحضيرها للسكان الروس الجدد، من الواضح أن ما قمنا به لم يكن نتيجة عمل سنة واحدة، إذ لم يكن من الممكن طرد وتهجير هؤلاء السكان غير المتعاونين مرة واحدة إذ كان يجب تحضيرهم نفسياً لذلك)).. والسلطات القيصرية تعترف أن تحديد العدد الحقيقي للمهجرين غير ممكن نظراً لتعرضهم للموت بسبب الأوبئة والمجاعة. أثناء ترحيل الشركاسة من سواحل البحر الأسود الشركسية، إلى سواحل الدولة العثمانية قال أحد قباطنة تلك السفن الإنكليزية: ((كنا لا نستخدم البوصلة بل نتبع الجثث الشركسية العائمة على طريقنا) وبعد وصولهم السواحل التركية كان الوضع أشد وأدهى، فما هو الشاعر الأبخازي الشركسي الكبير جوليا يقول واصفاً تلك المأساة الرهيبة في تلك الأيام:

ألقوا بهم على شاطئ البحر وتركوا لمصيرهم
لقد هلكوا من الجوع والبرد
وكانوا على الشاطئ أحياءً وأمواتاً
ملقى بهم عراة
الغريان الغريان تزعق فوق رؤوسهم.

كان الأتراك يحملون سفنهم أضعاف حمولتها لأنهم كانوا يتقاضون أجور نقل الشركاسة⁽²⁾، فكانوا يحملون السفينة التي تحمل خمسين

(1) لاحظ هذه الكلمة المقيمة إنهم ينظفون بلاد الشركاسة الأبدي والأزلي من الشركاسة أنفسهم!.

(2) هناك مصادر مؤكدة أن تلك الأجور كان يدفعها الشركاسة وليس أي جهة أخرى كما أن هناك حالات كثيرة كان ربان السفن وقباطنتها يساومون الشركاسة على الأجر المطلوب منهم لركوب تلك السفن المهترئة..وعلى سبيل المثال لا الحصر أورد هنا ما كتبه المراسل الفرنسي فوفنيل: (لقد نهب الروس

==

بمائتين، لذا غرقت أعداد كثيرة من السفن، ومات نصف الشراكسة الذين أجبروا على الهجرة على الطريق أو بعد وصولهم الأراضي العثمانية مباشرة وطبقاً للتقارير العثمانية مات أكثر من /180000/ بعد الوصول للأراضي العثمانية مباشرة. ولأخذ فكرة سريعة عن الظروف المحيطة بالشراكسة المرحّلين نضرب المثال التالي: يقول أحد ضباط تلك السفن التي هجرت الشراكسة: [.. ما أن وطئت قدما / الكابتن/ أرض الساحل - الشركسي -، حتى سارع الشراكسة بالتجمع حوله، والسؤال عن الأجر الذي سيأخذه مقابل نقلهم مع أسرهم إلى تركيا. وكان هذا المركب سيقطع إلى عرض البحر مساءً إذا كانت الرياح مواتية. صعد إلى ظهر المركب كل من اتفق مع الكابتن، وقد حاولوا أن يدخلوا عرض البحر ليلاً لكي يجتازوا الخط الذي تحرسه البوارج الروسية. كان الشراكسة على عجلة من أمرهم، وكان الأتراك من ناحيتهم في منتهى الطمع إلى الحد الذي قاموا فيه بحشر أكثر من ثلاثمائة أو أربعمائة شخص، على سطح المركب الذي يستوعب في الأحوال العادية خمسين إلى ستين شخصاً، وكل ما قام الشراكسة بحمله من الزاد لم يكن يتعدى حفنات من القمح، وبراميل صغيرة من الماء. وكانت الرحلة تستغرق من خمسة إلى ستة أيام، وبهذا الوضع وهذا الزاد كان هؤلاء التعساء يقطعون رحلتهم الخطيرة بل المميتة. كانوا يسقطون في البحر، ويغرقون كلما ارتفعت الأمواج فوق حافة المراكب المثقلة بالناس. وحتى الذين كانوا بعيدين عن الحافة كانت تسحقهم هزات المراكب الشديدة، وعندما كان الطقس يتحسن كانت تنتظر الشراكسة مصائب جديدة، إذ أن سكون الرياح كان يمنع الإبحار، وعندها كانوا يستسلمون لموت بطيء ومريع من الجوع والعطش. عند عودة البحارة الأتراك من رحلاتهم كانوا يروون لنا بشكل مفصل أحداثاً مرعبة كانوا شاهدين عليها. فقد غرق

معظم الابحاز من كل شيء قبل ركوبهم السفن. ولم يسمح لهم باصطحاب إلا الضرورات الحياتية الاساسية لفترة قصيرة).

عدد من السفن مع ركابها ، ومات نصف المهاجرين على متن عدد آخر من السفن فرموهم في البحر قبل الدخول إلى ميناء - طرابزون - التركي. وخلال ذلك كله كان الشراكسة عاجزين عن عمل أي شيء ، وكان الذعر عاماً ، وبينما كان الجبليون بئسين مضطرين أصبح رحيلهم في هذه الظروف دون احتياطات ، إذ يتسابقون في الركوب ويقولون أن مصيرهم قد تحدد ، فإذا كتب عليهم الموت في البحر فهذا قدرهم. كان وضع البلاد سيئاً جداً ، فالشراكسة يقيمون على الشاطئ منتظرين بفارغ الصبر دورهم في الرحيل ، وكانوا في حالة صعبة ، ويأسسون إلى درجة أنهم لم يفكروا ببناء أكواخ تحميهم من الطقس السيئ ، فقد كانت تسيطر عليهم فكرة واحدة وهي الرحيل بسرعة إلى تركيا. وكل ما كانوا يفعلونه ، هو أنهم كانوا يصعدون على قمة صخرية ويدعون السفن العابرة في البحر. كان الثلج قد بدأ بالذوبان مما زادهم من نفاذ صبرهم ، وكانوا يعرفون أن الروس سيصلون إلى هنا بعد ذوبان الثلوج وهذه الفكرة أضعفت كثيراً من نشاطهم وقوتهم.. وبعد أن امتلأت السفينة بشكل كامل ، بحيث كان من المستحيل حشر أي راكب جديد فيها ، اقترب مني يعقوب وأمر برفع الشراع ثم أقلعنا. لم يكن الهواء منعشاً ، ومع ذلك أبحرنا جيداً ، وفي الصباح كنا في عرض البحر ، عندها فقط استطعت أن أعرف أن عدد المسافرين كان /347/ شخصاً.. في اليومين الأولين كان كل شيء موفقاً ولكن في مساء اليوم الثاني رمينا في البحر جث امرأتين وطفل اختنقا بسبب الازدحام في عنبر السفينة ، وبعد يوم ماتت امرأة ورجلان وفي اليوم الرابع خمسة عشر شخصاً. وفي صباح اليوم الخامس رأينا الشاطئ بعد أن أنهكنا السفر وقلة الطعام فقد استهلكنا آخر الزاد قبل يومين ، ولو اضطررنا للبقاء في البحر يومين آخرين لمات نصف المسافرين قبل الوصول إلى طرابزون. كنت أعرف أن الأوائل سيهاجرون رغم نصائحنا لهم ، ولذلك فإن الذين وصلوا إلى هنا في أوائل الشتاء وكان عددهم يقارب /12 ألفاً / ماتوا جميعاً تقريباً. فهؤلاء الجائعون المتعبون من السفر ومن الأمراض حملوا معهم إلى طرابزون مرض الحمى التيفية والحصبة وغيرها من الأمراض المعدية. وانتشرت هذه الأوبئة

في المدينة بسبب الفقر والأوضاع السيئة، فقضت على عدد كبير من السكان الأتراك الذين خافوا من الأوبئة ومن تزايد أعداد المهاجرين فقرروا اسكانهم في عدة أماكن على شاطئ البحر، وأحاطوا تلك الأماكن بقوات من الجيش كانت مهمتها محاصرة هؤلاء المهاجرين الجائعين المرضى، وكان محرماً عليهم الخروج من هذه المناطق إلا - بفرمان - من باشا - طرابزون - .

عند وصولي إلى شاطئ آسيا الصغرى كانت موجة الهجرة على أشدها، فكان هناك أكثر من 60 ألف / من الشراكسة، وفي - آجي - قاله - وحدها كان هناك 15 ألفاً / من المهاجرين وبغض النظر عن سوء الطقس في ذلك الموسم، فإنهم كانوا يحتمون بأوراق أشجار الزيتون ويقتاتون بقليل من الزاد كانت ترسله لهم القيادة التركية. وقدر لي أن أشاهد توزيع المؤونة، حيث اقتربت ثلاث قوارب تحمل على متنها أرغفة الخبز، وعلى الشاطئ كان الجنود الأتراك المسلحون من رؤوسهم إلى أقدامهم، قد شكلوا صفاً عند المكان الذي سيتم فيه توزيع الخبز. كان الضابط مسؤولاً عن استلام كل شخص لحصته، وهي رغيف واحد، ولكن هذا كان مستحيلاً لأن الخبز كان قليلاً بحيث أن نصف الموجودين لم يحصلوا على شيء، وكان عليهم انتظار وصول دفعة أخرى من الخبز، وهذا طبعاً في يوم آخر. لقد زرت كل الأماكن التي نزل بها الشراكسة، وأيقنت بأن هؤلاء كانوا يحاولون أن يخلقوا نوعاً من النظام رغم الظروف والفوضى التي تحيط بهم. فقد توزعوا حسب قبائلهم، وحسب المناطق التي أتوا منها، حتى أن كل عائلة اختارت لنفسها شجرة معينة ووضعت قربها أمتعتها القليلة، وهي عدد من الصناديق الخشبية تحتوي على قليل من الثياب، وأكياس من الجلد فيها حفنات من القمح، وكان هذا كل ما لديهم، كان بعض الرجال منشغلين بتكسير الحطب لإيقاد النار، وآخرون ببناء أكواخ صغيرة من الأغصان، وجلبت النساء الشابات الماء وقمن بتجهيز أمكنة للنوم من قشور الأشجار وأوراقها، وأرضعن الأطفال من صدورهن، وعيونهن الواسعة الجميلة كانت ممتلئة بالدموع، وضافنهن الطويلة تظهر شحوب وجوهن المائلة للطول والتي

تركت المصاعب عليها آثارها، أما العجائز فقد جلسن حول النار، وكان عدد منهنّ يسلقنّ الذرة التي احتفظنّ بها معهنّ بأعجوبة، وأخيراً رقص الأطفال وغنوا مكملين تلك اللوحة الحزينة الميكية. عند غروب الشمس دعا صوت المؤذن المؤمنين إلى الصلاة، فقام الرجال المتوضئون بالتجمع حول أئمتهم، كل مع قبيلته ثم خلعوا أحذيتهم ومدوا معاطفهم على الأرض، واصطفوا ووجههم إلى مكة. وجوههم ولحاهم الطويلة ولباسهم كل ذلك كان منسجماً مع الوضع القاسي الذي كانوا فيه. وأستطيع القول بأن منظر هؤلاء الرجال بأيديهم النحيلة المرفوعة إلى السماء قد أدهشني، وأشعة الغروب الحمراء صبغت المنظر بشكل أضفى عليه مظهراً شديداً القساوة والتأثير. تلا الإمام آيات من القرآن بصوت رخيم، فردد الجميع خلفه ثم سجدوا ووجههم إلى الأسفل وكانت سيوفهم وقاماتهم) ومسدساتهم تصدر صوتاً خاصاً يذكرّ بالحرب، كان ظاهراً أن هذا الشعب القوي دافع عن بلده أمام الروس بكل إمكانياته. فلم تنقصه الحيوية والشجاعة. وبعد الصلاة قاموا بدفن موتاهم، فحمل كل جثة أربعة أشخاص على أيديهم وتبعهم أقارب الميت من الرجال، وبقية النساء وهنّ يبكين بكاءً مرّاً، وهذا يسمى عندهم البكاء على الميت، وكنت قد رأيت كل ذلك سابقاً في القفقاس. ولكن في - آجي قاله - كان هناك عدد كبير من الموتى بحيث بلغت الجنازات عدداً غير محتمل، وصوت النواح كان يرتد صداه المرعب بعد أن يرتطم بالجبال. وببطء اقتربت الجنازات من مكان الدفن ثم انزال الموتى إلى قبورهم، ورؤوسهم باتجاه قبر الرسول، ثم ردموا القبور ووضعوا عليها أحجاراً كبيرة، ثم عاد الرجال من حيث أتوا، وكانت النساء المتجمعات حول النار يبكين ويشددن شعورهنّ ويضربنّ على صدورهنّ، ولكن الرجال عادوا وجلسوا بدون حركة وبصمت تام).⁽¹⁾ في عام 1990م قال رئيس الوفد الشركسي

(1) فون فيل - السنة الأخيرة لحروب الشركس من أجل الاستقلال - ترجمة - فاخر ديجن - ص 75/ ÷ 78.

القادم من تركيا ، للمؤتمر العالمي الشركسي في نالتشيك عاصمة جمهورية القبرطاي الشركسية ، ((في تركيا طريق طويل ترى في كل عدة كيلومترات المقابر الجماعية الشركسية ، الذين ماتوا أثناء التهجير على السواحل التركية ، وهم ينتظرون المعونة التي لم يصل إلا القليل منها إليهم)). وعلى سبيل المثال وللدلالة على هول الكارثة التي ألمت بالشراكسة في الدولة العثمانية أي في بعض المدن التركية ولإيضاح سبب تباين ارقام الوفيات بسبب الموت الوبائي السريع⁽¹⁾.أورد هنا ما ذكره القنصل الفرنسي في طرابزون في تلك الأيام: ((منذ بدء الهجرة إلى طرابزون أو ضواحيها وصل حوالي / 274 ألف / (شركسي) مات منهم / 190 ألف /⁽²⁾)). أمّا في سمسون فمات / 40 ألف / شركسي بعد \4 أشهر من وصولهم. وذكر الدكتور شرف الدين مغموي في كتابه أن عدد المهجّرين الشراكسة الى منطقة مرسين التركية كان \74 ألفا" لم ينج منهم إلا أربعة آلاف شخص⁽³⁾. [4].

وكتب جستن مكارثي في كتاب - الطرد والإبادة - ترجمة فريد الغزي ما يلي:

قدّر كمال قربات أن عدد المسلمين القفقاسيين الذين طردوا مليونان ، بقي على قيد الحياة منهم مليون ونصف المليون - لم يجر إدراج الذين ماتوا من الجنود المسلمين والمدنيين⁽⁵⁾ - ...

(1) سوق المهاجرين د شرف الدين مغموي.

(2) أ - بيرجيه - تهجير جبلي القفقاس / مجلة روسيا القديمة 1882م العدد 33. (من كتاب شركيسيا يا ألمي)

(3) ص 15 مجلة الإخاء العدد 38.

(4) بعد جمع عدد الذين توفوا بسبب التهجير والاهمال العثماني المريع للمهجّرين الشراكسة في ثلاثة مدن عثمانية فقط نجد أنه قد بلغ (300000) ثلاثمائة ألف شركسي؟!ومن الواضح تماماً أن الذين قدروا عدد المهجّرين الشراكسة لم يأخذوا بعين الاعتبار إلا الذين نجوا من الموت ويقوا على قيد الحياة أثناء تقديراتهم اللاحقة لحجم المأساة الانسانية تلك!م.

(5) جستن مكارثي - الطرد والإبادة - ترجمة فريد الغزي - ص / 444 /.

هناك كثير من الجدل بخصوص أعداد الجركس..الذين طردوا من أراضيهم في القفقاس. لم تجر إحصاءات دقيقة للمسلمين الجركس، لذلك لا يستطيع المرء معرفة عدد الذين رحلوا. بتحليل تقديرات مختلفة. [- وجاء في جريدة غوازه الشركسية التي كانت تصدر في تركيا أن عدد المهجرين عام /1864م/ بلغ / مليون و750 ألفاً /.

- يقول البروفسور كمال كريات عضو اللجنة المركزية للأبحاث العالمية بجامعة وسكونس - الولايات المتحدة الأمريكية في تدقيق الأرشيف العثماني وجد أن عدد المهجرين ما بين /1959 - 1879م/ عن طريق البحر أو بوسائطهم الخاصة كان مليون وأربعمائة ألف وصل منهم إلى أراضي الدولة العثمانية مليون شخص فقط. ويقول أيضاً أن 20٪ من الذين وصلوا (إلى الدولة العثمانية) ماتوا فوراً نتيجة الجوع والأمراض المعدية مثال على ذلك في أيار عام / 1864م/ مات /40000/ شخص في منطقة صمصون بعد مضي أربعة أشهر من وصول البواخر كما مات /53/ ألف شخص في نهاية عام /1865م/ في منطقة طرابزون.⁽¹⁾ أما بيانكوني - فقد ذكر أن عدد المهجرين إلى منطقة - الروملي (دول البلقان) من الشراكسة وصل إلى / ستمائة ألف / عام / 1876م/⁽²⁾.

وذكر الكاتب البلغاري - س. قوبشفيش - استناداً إلى الأرشيف البلغاري، أن عدد الشراكسة الذين استوطنوا في منطقة البلقان أو ساحل البحر الأسود الغربي (من بلغاريا ورومانيا " فقط ") بلغ /175000/ مهاجر⁽³⁾.

وخلاصة القول مات مئات الآلاف من المهجرين الشراكسة قبل مغادرة الشواطئ الشركسية على الساحل الشرقي للبحر الأسود من

(1) مجلة الإخاء العدد 38 ص15.

(2) مجلة صوت الناريتين، أنقرة - العدد في شهر شباط عام /1980م/.

(3) من كتاب (Bulgarin und Ostrumelien) لمؤلفه س. قوبشفيش لايبزيغ /1886م/

ص /19/.

الأوبئة والجوع والبرد القارس التي أصابتهم في ظل الظروف التي وضعوا فيها على تلك الشواطئ الخالية من كل مظاهر الحياة وخالية من وسائل المعيشة لشهور عديدة وصلت إلى أكثر من سنة

في حالات كثيرة لعدم توفر وسائل النقل اللازمة لترحيلهم.. لقد أجبر أكثر من مليونين في المتوسط من الشراكسة على مغادرة وطن آبائهم وأجدادهم إلى الإمبراطورية العثمانية إلا أنه وحسب رواية الكثيرين من المؤرخين والباحثين وشهود العيان لم يصل إلا مليون ونصف من المهجّرين إلى الأماكن التي كانوا يقصدونها بسبب المجاعة والأمراض وغرق السفن التجارية التركية وغيرها من الجنسيات الأجنبية الأخرى، وبسبب الإهمال القاتل من الجانب العثماني لعدم التحضير لمثل هذه الموجة الكبيرة من المطرودين والمهجّرين.. وخاصّة أن كل عملية التهجير كان باتفاقهم المسبق مع القيصرية الروسية كما رأينا.



صورة عائلة شركسية مهجرة

المبحث الخامس

بعد وصول الشراكسة إلى تركيا صدمهم الواقع فيها

كان إعلان نائب القيصر الروسي ميشيل كراندوك انتهاء الحروب الروسية الشركسية في 1864/5/21 م. وفي حزيران من نفس العام عاد واعلن في بيانه ما يلي: ((على سكان بلاد الشركس ان يغادروا أماكنهم خلال شهر واحد من تاريخ هذا البيان، وفي حال عدم تركهم البلاد يعتبرون أسرى حرب وسيتمّون الى سيبيريا⁽¹⁾). لذا كان عدد المهجّرين كبيراً وغير متوقّع من كل الأطراف..

في البداية استقبل الأتراك الشراكسة باهتمام، فقد كان أكثر المهاجرين الشراكسة من الأسر الغنية⁽²⁾، وعند وصولهم إلى تركيا لم يكونوا بحاجة إلى مساعدة من السلطات التركية، وبالإضافة إلى ذلك، فإن الشراكسة بطبعهم كانوا من المحاربين، ولهذا فقد استخدموا جنوداً لمحاربة شعوب شبه جزيرة البلقان الشائرة. إلا أنه عندما ارتفع عدد المهاجرين إلى مئات الآلاف فإن الحكومة التركية لم تكن لديها إمكانيات استقبالهم وإسكانهم ومساعدتهم وإطعامهم فوضعهم على الشاطئ التركي ولم تقدّم لهم أية مساعدة مادية، ولم تكن هناك أوامر تتعلق بأماكن استقرارهم وسكنهم ولهذا فقد ظلوا في معسكر كبير على الشاطئ نفسه ولمدة طويلة بدون أية موارد، وفي مثل هذه الظروف

(1) يا - أبراموف. الجبليون القفقاسيون. كراسنودار 1927م. (من شركيسيا يا ألمي = ضياع بلاد الشراكسة ترجمة الدكتور المهندس عمر شابسيغ).
(2) وهذه الأسر الغنية وصلت أولاً لأنها دفعت أموالاً أكثر أجوراً للسفن التي نقلتهم إلى الدولة العثمانية.

الفضيلة ظلّ الشراكسة على الشاطئ التركي⁽¹⁾ ويمكن ملاحظة ذلك في المعطيات التالية المسجلة في رسالة بتاريخ /10/ تموز /1864م/ كتبها القنصل الروسي في طرابزون إلى الجنرال - كارتسيف - : لقد وصل إلى باطومي حوالي /6/ آلاف شركسي ويموت منهم يومياً سبعة أشخاص، وفي طرابزون نزل /247/ ألف مهاجر توفي /190/ ألف شخص منهم، كل يوم يموت بين /180 - 250/ شخصاً. وفي صامصون والمناطق المحيطة كان قد نزل /110/ آلاف شخص، وكان يتوفى منهم يومياً حوالي /200/ شخصاً. ومن أصل /4650/ شخص متوجهين من طرابزون إلى القسطنطينية وفارنا كان يتوفى يومياً /40 - 60/ شخصاً، ومنذ بداية الهجرة وحتى أيار /1864م/ توفي /30/ ألف شخص من الذين وصلوا إلى طرابزون وقد وجد الشراكسة أنفسهم في مثل هذه الأوضاع الفظيعة في بلاد الدولة العثمانية التي ظنّوها سابقاً جنة الله في أرضه لوجود الخليفة فيها. وبالتدريج نقل هؤلاء المهاجرين إلى أماكن مختلفة في تركيا، وخاصة إلى شبه جزيرة البلقان، ووضعهم دوماً في شروط غير طبيعية، فلم يحصلوا على أرض للبناء ولا مساعدات لمتابعة الحياة⁽²⁾. وعلى اعتبار أن معظم المهجّرين الشراكسة كان عن طريق البحر الأسود من المفيد أن نذكر بعض المآسي التي عانوا منها في مرحلة الطرد: وفي هذا الموضوع، نفسح مجالاً للخطاب التالي بعد أن رفضت (جريدة التايمز) نشره كإحدى الوثائق المرتبطة بأعمال اللجنة الشركسية: استقبال الشراكسة في تركيا ((القسطنطينية، /7/ تموز /1864م/. سيدي العزيز، إنني آمل بثقة أن تكون رسائلتي إليك، وإلى (الفيكونت ستراتفورد دي ريد كليف)

(1) هذه الحالة مماثلة تماماً لما فعله الروس بالشراكسة المهجّرون عندما حشدوا على الشواطئ الشركسية تمهيداً لطردهم ولكنّ هذا الطرد استغرق شهوراً كثيرة على الأقل، ظل فيه الشراكسة دون تقديم أية مساعدة تذكر من قبل الغزاة الروس كما مرّ معنا.

(2) يا. أبراموف - القوقازيون الشراكسة - ترجمة د. راتب سطاس ود. زهدي سطاس - ص /23÷25/.

قد وصلت بأمان وفي الوقت المحدد، إضافة إلى نسخة من الوثائق المرفقة معها. لقد كنت قلقاً لمعرفةتي بقوة الانطباع الذي أحدثته التقرير الرسمي للدكتور / باروتزي / من سامسون عبر انجلترا كلها، على إرسال التقرير الذي قدمه، لدى عودته من مهمته التفتيشية الصحية، إلى مجلس الصحة. وقد كنت مقتنعاً بأن الحقائق التي أخرجها إلى النور ليست فقط جديدة بالمتابعة، بل بزيادتها عشرة أضعاف لزيادة الاهتمام وإظهاره لصالح المنفيين الشراكسة. ولكنني آسف بعمق على كل حال.. بأن مؤلف هذا التقرير الكفو كان يجب أن يجعل نفسه مداناً ويستحق أكثر اللوم جدية: وذلك لأنه عندما قام بتعداد الأسباب المختلفة التي سببت الأمراض التي حصلت وتستمر في الحصول وتسبب الأعداد المريعة من الوفيات بين الشراكسة، لم يقل كلمة واحدة تشير إلى السبب الرئيس بين هذه الأسباب، أي المعاملة المهجية التي تلقاها هؤلاء المنفيون من قبل السلطات العسكرية الروسية قبل صعودهم إلى السفن متجهين إلى تركيا.

إن حدود الرسالة لا تسمح لي بنشر حكاية الأهوال التي اقترفت تحت رعاية الدوق الأكبر ميخائيل⁽¹⁾ في بلاد الشراكسة من قبل الجنرال / بالبييتش ويفدوكيموف /. إن رواية العذابات التي عانى منها السكان بعد اكتساح البلاد من قبل روسيا، قد تملأ عدة مجلدات.

السؤال الذي يجب التعامل معه في الحاضر هو، ما إذا كانت الإجراءات التي تبناها الجنرالان الروسيان لإتمام " تهدئة⁽²⁾ المقاطعات المكتسحة، محسوبة لكي تسبب الأمراض التي قد دمرت حتى الآن مائتي ألف من سكانها، وتستمر أيضاً في الانتقاص من صفوف الناجين بعد أن وجدوا ملاذاً في تركيا ؟

(1) هو شقيق الإمبراطور الروسي في تلك الأيام وهو الذي أعلن عن انتهاء الحرب القفقاسية الروسية في 1864/5/21م./

(2) لاحظ هذه الكلمة / التهدئة / أمثل هذه الحالة يقال تهدئة ؟.

لقد كانت إجراءات التهدة كما يلي: حيثما جعل الروس أنفسهم أسياداً على مقاطعة ما ، كان السكان الأصليون يتم استدعاؤهم لتقديم أنفسهم أمام قائد الجنود ، ثم يقال لهم أن الامبراطور بدلاً من الموافقة على الإبادة العامة التي يستحقونها ، فقد أمر بكرم منه تفرغ بلادهم ويترك لهم الخيار: إما الهجرة مع عائلاتهم إلى الهضاب الواقعة خلف الكوبان⁽¹⁾ ، حيث ستخصص لهم قطع من الأراضي ، وإما أن يغادروا إلى تركيا. كان يقال لهم أنهم منحوا ثلاثة أيام ليصلوا إلى قرار ، وأن يكملوا استعداداتهم للرحلة. في اليوم الرابع كانت تضرم النار في مساكنهم ، والسكان الذين أبدو النية على البحث عن ملاذ في تركيا ، كانوا يساقون فوراً إلى أقرب نقطة على الساحل. وعند وصولهم إلى تلك النقطة ، كان شريط عسكري يحيط بالمعسكر لمنع أي اتصال مع الداخل⁽²⁾.

وضعت السفن الحربية والسفن الأخرى - وهي المذكورة رسمياً في تقرير اللورد نابيير، تلبية لطلب الدوق الأكبر ميخائيل، تحت سيطرته الكاملة ، لتسهيل عملية (الهجرة) الشركسية. أصبح قدر آلاف الأشخاص الذين لم يكن لهم وجود سوى على الورق، أن يجتمعوا على الشاطئ ويبقوا هناك تحت رحمة عناصر الطبيعة لأسابيع وشهور ، ينتظرون وصول سفينة ما عن طريق العناية الإلهية من تركيا. بعد نفاذ المؤن القليلة التي أحضروها معهم ، كان الجوع يدفع الناس إلى البحث عن أوراق وجذور الأشجار التي يستطيعون الوصول إليها.

مات المئات من النساء والأطفال إما من المجاعة أو من تأثير طعام مسمم لأجسامهم ، لأن السلطات الروسية لم تقدم أية مساعدة في أية مناسبة⁽³⁾ ، من المنطقي إذاً أن معدل الوفيات ازداد من يوم إلى الآخر بتواتر

(1) هذا العرض يشبه تماماً عرض صهر الرئيس الأمريكي كوشنر للفلسطينيين العرب بإسكانهم في قسم من صحراء سيناء في صفقة القرن 19.

(2) هل يمكن لأي كاتب نزيه أن يصف هذه الحالة بالهجرة 19.

(3) إذا كانت هذه الأحوال التي وضع فيها الشركسة بل فرض على الشركسة لا يوصف بالإبادة ماذا يمكن أن نسميها إذاً 19.

مرعب، وأن الناجين كانوا يبدون لحظة الصعود إلى السفن. مثل الأشباح وليس البشر طبعاً، عندما تصل مجموعة من الأشخاص إلى تلك الحالة المحزنة، وتتجمع على ظهر سفينة لا تكاد تقدر على حمل عشر عددها، وماء البحر هو السائل الوحيد الذي يمكنهم الوصول إليه، فإن النتيجة المحتومة ستكون مؤلمة في معدل الوفيات / وسوف تنتشر العدوى مثل النار الخارجة عن السيطرة. إن عدم وفاتهم جميعاً قبل وصولهم إلى المعسكر المعد لاستقبالهم، مسألة باعثة للدهشة ". - ت. ميلينجين -

المرفات:

- ملخص للمعلومات المتلقاة خلال الأسبوع المنصرم في مجلس المكتب الصحي
- الأول من تموز - وصلت سفينة تركية إلى الميناء قادمة من هيراكليا، وعلى متنها /80/ مجنداً شركسياً.
- الثاني من تموز - وصلت (الطائف) من سامسون وعليها / 2200 / شركسي، /30/ منهم مرضى، /11/ حالة وفاة. كانت هذه الفرقاطة البخارية تسحب سفينتين، الأولى تحمل /700/، والثانية /533/ راكباً، منهم /150/ مريضاً - /44/ حالة وفاة. أرسلت إلى جاليبولي، حيث سيتم توطينهم.
- سفينة (التوناه) من طربزون وعلى متنها /1600/ راكب، توفى منهم /60/ في البحر، و /62/ مريضاً.
- سفينة (شاهبر) من طربزون، عليها /750/ راكباً.
- الخامس من تموز - سفينة (مالاكوف) على متنها /1468/ راكب، /34/ حالة وفاة و /38/ مريضاً.
- السادس من تموز - وصلت برقية من طرابزون تعلن عن نزول / 3340 / شركسياً إلى البر. مجموع المهاجرين الذين نزلوا إلى البر حتى تاريخه على النقاط المختلفة لساحل بحر مرمرة هو /21703/ أشخاص.

- خطاب مؤرخ من سامسون يوم /30/ الشهر الماضي، يتحدث عن وصول /100000/ مهاجر، و/300/ حالة وفاة يومياً.

- الواصلون الجدد من بلاد الشراكسة يعادلون المغادرين⁽¹⁾.

- تقارير من باطوم، مؤرخة في /26/ الشهر الماضي تعلن عن وصول /8500/ شركسي من أريديلار. /30/ حزيران، فارنا /350/ راكب شركسي من ثيودوسيا.

- تقرير من ويدين يقول أن /35000/ مهاجر قد تم توزيعهم بين زومبالانكا، صوفيا ونيش، /664/ حالة وفاة بعد مغادرتهم ويدين. أنهم ينشرون عدوى التيفوس والجدي حيثما استقروا، لقد أصيب بحمى التيفوس قرابة /200/ من بحارة السفن التركية التي تنقل المهاجرين، وقد تم إرسالهم إلى مستشفى البحرية. هذا الظرف لا يمنع الحكومة من إرسال السفن لنقل المهاجرين، كما كان مقرراً من قبل...)).

= ومن الوثائق البريطانية التي أفرجت عنها وزارة الخارجية البريطانية بمناسبة مرور /100/ عام عليها أورد منها ما يلي:

[من السير - هـ. بولوار⁽²⁾ إلى الإيرل روسل⁽³⁾: - جرى استلام هذا التقرير من قبل الخارجية البريطانية في /20/ 5/ 1864م - القسطنطينية في /3/ 5/ 1964م... تعلمون الهجرة الكبيرة المفاجئة للشراكسة إلى الأراضي العثمانية. استولت الحكومة الروسية على أراضي هذا العرق

(1) طبعاً إلى الأماكن المختارة من قبل السلطات العثمانية وفق مصالحهم وضد رغبات الشراكسة م.

(2) السير هنري بولوار هو السفير البريطاني في باريس عام /1864م/ (من الوثائق البريطانية ترجمة يحيى قازان - مجلة الإخاء الأردنية - العدد / الثالث عشر / تاريخ حزيران /1987م/. - ص /22/.

(3) إيرل جون روسل هو رجل دولة بريطاني، كان رئيساً للوزراء البريطاني مرتين، الأولى من عام /1846م - 1852م/ والثانية من /1865 - 1866م/ ووزيراً للخارجية من عام /1865 - 1860م/.

المخلص الشجاع الذي ناضل فقط من أجل شيء واحد أكثر من حرية الوطن، وهو حياة حرة خالية من سيطرة عدو أجنبي على الأقل. انهم يفرون من شواطئهم وهم مغلدون بدفاعهم بحثاً عن ملجأ في الإمبراطورية المجاورة. باختصار، إن بلاد الشركس قد ضاعت، وما بقي هو إنقاذ الشركاسة. الحكومة العثمانية راغبة في منحهم المأوى الذي يريدونه، ولكن مواردها المالية لتنفيذ ذلك غير كافية. كما تعلمون يا سيادة اللورد، إن ما جرى تنفيذه حتى الآن قليل، وهذا القليل قد كلف /200000/ جنيه. إحدى الوسائل لمنح الضيافة لهؤلاء المنفيين التعمير، هي عن طريق توزيعهم على القرى والمناطق التركية المختلفة، وجعل حصّة كل أربع عائلات تركية، عائلة شركسية. هذه لا شك أقل الطرق كلفة، ولكن أسوأ ما فيها، هي أنها تضيف تعاسات إلى الحالة التعيسة للفلاحين الأتراك، ونتيجتها هي أن حظ أولئك الشركاسة المساكين في البقاء ضئيل، كما أن طاقة هؤلاء المقاتلين الذي يستحيل تقريباً قهرهم، تكون بهذه الحالة قد تمّت تجزئتها والتبذير بها وضاعت. ستكون سياسة حكيمة لصالح تركيا وأوروبا، توطين أولئك اللاجئين الشجعان، في الجزء الممتد من شواطئ البحر الأسود باتجاه أراضى من الأراضى العثمانية، هذه المنطقة المحاذية للبلاد التي نزحوا منها وتشابهها إلى حد ما، وفيها ربما يرتاحون من محنتهم. بالإضافة إلى ما تقدّم، فإن تحويل المنطقة إلى مستوطنة عسكرية، ربما أنهم (اللاجئون الشركاسة) يمدون الجيوش التركية بمصدر جديد، هذه الجيوش التي تشكّل عبئاً كبيراً على القطاع الزراعي لسكان الأتراك. علاوة على ذلك، فإن من الممكن الاستفادة من الشركاسة، في هذا الوقت وبالتحديد في تلك المنطقة لتحقيق هدف عظيم. تعلمون جيداً يا سيادة اللورد، مدى الحاجة إلى طريق من طرابزون إلى أراضى أهدات الأسابيع الأخيرة تجعل هذا (مشروع الطريق) أمراً ملحاً للتجارة التركية. يمكن استخدام قسم من الشركاسة المهاجرين في إنشاء هذا الطريق، وإن وجود مساكنهم في المنطقة يجعل استخدامهم أسهل بكثير. هذه الاقتراحات مجتمعة تشكّل ثروة عظيمة مباشرة للجيوش التركية - تخفيفاً كبيراً مباشراً للقطاع

الزراعي العثماني - وسيؤدي إلى إتمام عمل ذو أهمية كبيرة، ليس فقط بالنسبة للمصالح العثمانية، وإنما للمصلحة العامة العالمية. إن دخل الحكومة التركية، المخصص سلفاً لموازنة الدولة، لا يتحمل تنفيذ مخطط من هذا النوع بطريقة مناسبة، ولن يستطيع القيام به. رغم الرصيد التركي قد أخذ يتحرك قليلاً بشيء من الحرية عن طريق تحميل نفسه فوق طاقته باقتطاع مبلغ من الدخل العادي لهذه البلاد، هذا الدخل الذي لا يستطيع تقديم المبلغ المقتطع بدون ارتباك عظيم. - ملاحظة: (المقصود هنا، أن الحكومة التركية، في تلك الفترة، مثقلة بالديون للبنوك والدول الأوربية، وإن دخلها لم يكن يساعدها على الاقتطاع من نفقاتها الضرورية لتسديد تلك الديون، حتى تتمكن من الاستدانة من جديد - المترجم). وفي نفس الوقت، أن المبلغ المطلوب (لتنفيذ مشروع الطريق) ليس كبيراً إذا جرى تقسيمه على الدخل السنوي. تقديري للمبلغ هو مليون ونصف جنيه استرليني. استخدام قسم من الشراكسة في إنشاء طريق أرضروم، واحتمال استخدام الجيش التركي، ربما يجعل المبلغ المطلوب أقل، فتكون الفائدة السنوية على المبلغ أقل من مئة ألف جنيه استرليني. مهما كانت الحاجة كبيرة لهذا المبلغ، ومهما كانت الغاية التي سيستخدم من أجلها مفيدة ونبيلة فإن تركيا تبدو بوضعها المالي، غير مؤهلة لاستجداء المبلغ المطلوب. لذا فإنه يجب أن تقوم حركة أو نشاط في أوروبا لمساعدتها. لا ريب بأنها حكمة عملية، بأن تتقدم الإنسانية، والإعجاب العالمي بالشجاعة التي لا مثيل لها (شجاعة الشراكسة في دفاعهم عن حريتهم - المترجم) وشفقة الجمهور للمصيبة التي لا مثيل لها (المصيبة التي تعرض لها الشراكسة - المترجم) أن تتقدم كل هذه العوامل للمساعدة في قضية لا يمكن لكل من يحمل قلباً آمناً بالماثر الوطنية أن يتجاهلها. إذا ما تم تشكيل لجنة في لندن وباريس لتأمين قرض للغاية التي ذكرتها، ربما أن تركيا ستضمن الفائدة، كما أن فكرة زيادة الرسوم في ميناء طرابزون، ستجعل ضمان تركيا للقرض سهلاً. في هذه الحالة، يجب تشكيل لجنة هنا تضم شخصيات معروفة من الرعايا العثمانيين كما يمكن انضمام مندوبين أوربيين إليها. وجدت عدة ميّزات مشتركة في

برنامجي هذا، دون أية صعوبة كبيرة واضحة. وقد تزايد شعوري هذا نتيجة ردود الفعل. فقد تحدثت قبل يومين إلى - علي⁽¹⁾ وفؤاد باشا⁽²⁾، اللذين أبديا بعض شئ من التفكير، استعدادهما القلبي للدخول في البرنامج. وبعد ذلك بحثت الموضوع مع - م. موستيه (السفير الفرنسي) الذي قال بأنه كان قد فكر بشيء من هذا القبيل، واتفقنا معاً بعد محادثة حول الموضوع، أن نعلم حكومتينا بذلك. أظن يا سيادة اللورد، بأنني أعلم رأيكم وعاطفتكم إلى درجة بحيث لن يكون هناك فارق بين رأيكم ورأيي في الموضوع. إذا ما تجسّدت اقتراحاتي في المستقبل، بأي شكل والى حد ما حسب المخطط الذي وضعته لها على عجل، سيكون ذلك مصدر سرور بالغ لي، لأنني أكون قد ساهمت في تقديم أدنى درجات مشاعر التقدير والإجلال الفياض نحو شعب، جرى سحقه، بسبب ظروف مشؤومة مختلفة وسط أسف العالم وعطف أوروبا. - من السير - ه. بولوار إلى الإيرل روسل - جرى استلام هذا التقرير من قبل الخارجية البريطانية في / 1864/5/20م.

القسطنطينية في / 11 / 1864/5م.

سيدي اللورد: لاحقاً لرسالتي العاجلة المؤرخة في الثالث من الشهر الجاري، لاحظت بأنه لا يمكن لأي نشاط مؤيد لصالح الشراكسة، أن يؤدي إلى الحصول على النقد التركي (المساعدة المالية) بدون تأمين (ضمانات ولكن إذا ما تمّ شرح الهدف المطلوب من أجله هذا المال، مع ابداء مشاعر التأييد، فإن تركيا ستقف موقفاً إيجابياً أكثر من عملية التقدم في طلب المال. - التوقيع - هنري بولوار.

(1) علي محمد أمين باشا: كان وزيراً للخارجية العثمانية عام / 1864م /، شغل منصب الصدر الأعظم (رئاسة الوزراء العثمانية) خمس مرات خلال حياته السياسية.

(2) فؤاد باشا محمد: شغل منصب الصدر الأعظم في الإمبراطورية العثمانية من عام / 1863 - 1867م / كما شغل منصب وزير الخارجية أكثر من مرة في حياته السياسية.

من الإبرل كاولي⁽¹⁾ إلى الإبرل روسل. - جرى استلام هذا التقرير من قبل الخارجية البريطانية في 1864/5/20م./ باريس في 1864/5/19م./ سيدي اللورد: بالإشارة إلى رسالة السير - هنري بولوار - المستعجلة المؤرخة في الثالث من الشهر الجاري، المرسله إلى سيادتكم مع الرسول الحالي (مع حامله) التي عرض فيها سعاداته على الحكومة صاحبة الجلالة، مخططاً لتوطين المهاجرين الشراكسة، في جزء من الأراضي التركية، هذا التخطيط الذي يذكر على أنه حصل على موافقة زميله الفرنسي (السفير الفرنسي في استانبول)، يشرفني أن أبلغ سيادتكم، بأن السيد يوافق على وجهة نظر السير هنري بولوار. - التوقيع كاولي.

من اللورد نابيير إلى الإبرل روسل: - جرى استلام التقرير من قبل الخارجية البريطانية في 1864/5/23م./ سانت بيترسبورغ في 1864/5/17م./

سيدي اللورد: قمت البارحة بلفت نظر الأمير - كورتشكوف⁽²⁾ - إلى البيانات المؤلمة التي نشرت في الصحف البريطانية المتعلقة بالشدائد التي تعرض لها المهاجرون الشراكسة في طريقهم إلى تركيا، والعبء الذي يفرضه على الموازنة التركية استقبال وإعالة مجموعة تقدر ب 200000/ انسان.

أجاب نائب رئيس الوزراء، أن القبائل أصرت على ترك البلاد، وأن حكومة الإمبراطورية (الروسية) أسفة على ذلك، وأن ترحيل هؤلاء الناس من معاقلهم في الجبال كان ضرورياً قطعاً، حيث أن عاداتهم في اللصوصية وحب القتال لا يمكن شفاؤهم منها!، ومع ذلك فقد جرى تقديم عرض هائل لهم في أن يستقروا جميعاً في الأراضي الواقعة في

(1) هو السفير البريطاني في باريس عام 1864م./

(2) هو الأمير اليكسندر ميكالوفيتش كورتشكوف - وزير خارجية روسيا من 1856 - 1882م./

السهول وقد رفضوا هذا العرض⁽¹⁾. وأضاف سعادته بأن الرقم (عدد المهجرين) التقديري الذي ذكرته له. مبالغ فيه جداً، وأنه إذا كانت الحكومة التركية قد تعرضت إلى نفقات كبيرة من جهة، فإنها من جهة أخرى قد كسبت مجموعة إضافية إلى المحمديين (المسلمين) إلى سكان إمبراطوريتها، والتي ستكون ذات أهمية كبيرة للجيش التركي. قلت للأمير - كراتشكوف - أن أحد الضباط اللامعين في جيش القفقاس (الجيش الروسي الذي كان يحارب القفقاسيين) قال لي منذ عامين، بأن القبائل التي ما زالت مسجلة على شواطئ البحر الأسود في ذلك الوقت، تضم (30000) رجل مقاتل، مما يعطي تقديراً سكانياً حوالي /250000/ مهما يكن هذا التقدير مبالغاً فيه وفي حال أن الجميع لم يهاجروا⁽²⁾.

من الإيرل روسل إلى السير هنري بولوار. وزارة الخارجية في
./1864/5/25/م.

-
- (1) هذا العرض يشبه عرض صهر الرئيس الأمريكي في هذه الأيام " كوشنير " بتوطين الفلسطينيين في أماكن أخرى غير أرضهم التاريخية ١٩.
- (2) يجب أن نعلم أنه لم يكن هناك إحصاء للقبائل الشركسية في تلك الأيام والتي بقيت حتى تلك الفترة على شواطئ البحر الأسود " التي كانت البحرية الروسية تطبق حصاراً بحرياً على الشراكسة تشبه كثيراً حصار إسرائيل للسواحل العربية في غزة هاشم ". التي يتحدث عنها السياسيون الأوروبيون والمقصود من الفقرة الأخيرة في تقرير السفير البريطاني في سانت بيترسبورغ، إن الرقم /200/ ألف مهاجر الذين وصلوا إلى الأراضي التركية حتى تلك الأيام والذي نشرته الصحف البريطانية ووصفه نائب رئيس الوزراء الروسية ووزير خارجيتها، بأنه مبالغ فيه جداً، يجب أن يكون هذا الرقم /200/ ألف، معقولاً إذا أخذنا بعين الاعتبار ما أفاد به أحد الضباط اللامعين في الجبهة القفقاسية قبل عامين بوجود /30/ ألف مقاتل مع عائلاتهم على شواطئ البحر الأسود، حتى ولو لم يهاجروا جميعاً. وفي النهاية كانت الأعداد الحقيقية للمهجرين الشراكسة، أكبر بعشرة أضعاف ما يتداوله السياسيون للتقليل من هول الكارثة التي ألمت بالأمة الشركسية ليتهربوا من المسؤولية الأدبية ومن نتائج تلك الكارثة الحقيقية التي فاقت كل التقديرات والتصورات، والتي يمكن أن نسميها كارثة العصر في تلك الأيام القائمة السواد. المؤلف عدنان قبرطاي.

سيدي: حكومة صاحبة الجلالة، أخذت بعين الاعتبار، رسالة سعادتكم المستعجلة المؤرخة في الثالث من الشهر الجاري، فيما يتعلّق بموضوع هجرة الشراكسة إلى الأراضي التركية. وأعلمكم بأنها تتفق في الرأي مع اقتراحاتكم لتأمين مكان للاستيطان بصورة دائمة لهؤلاء الناس التمساء، وتوافق على متابعة الطريقة المقترحة من قبلكم في الأمر⁽¹⁾..

وفيما بعد هذه المراسلات الدبلوماسية من قبل السفراء والقناصلة الأجانب الذين تناولوا موضوع الأعداد المتواضعة من المهجّرين الشراكسة، نراهم وقد كتبوا في رسائلهم وتقاريرهم اللاحقة أن عدد الأموات من المهجّرين الشراكسة في البر العثماني وفي الموانئ ومعسكرات المهجّرين يفوق بضعفين عن العدد الاجمالي من المهجّرين الأحياء، الذي كانوا يذكرونها سابقاً؟. وبعملية جمع بسيطة نجد (أن الموتى هم ضعف الأحياء المهجّرين وفق التقارير الأولية التي ذكرناها سابقاً)؟. ومنذ بداية حركة التهجير كان وضع الشراكسة المهجّرين مأساوياً، فقد بقي المهجّرون لمدة طويلة على الشواطئ الشركسية القفقاسية أولاً ثم التركية (العثمانية) في مدن - طرابزون - و- صامصون - و- سينوب - وفي ضواحيها وغيرها من الأماكن، وهناك ماتوا جماعات جماعات من الأمراض والحرمان والجوع ونقص في الاجراءات الصحية المفترضة، قبل أن ينقل الأحياء إلى الأماكن التي خصصت لهم. وعن أعداد الأموات الشراكسة من المهجّرين يشهد قناصلة إنكلترا وفرنسا وروسيا وغيرهم في المدن التركية على ساحل البحر الأسود، بالشهادات التالية التي تتسلف كل التقارير السابقة عن عدد المهجّرين المتواضع التي كان القناصلة والسفراء الأوربيين يتداولونها منذ بداية الطرد. وفيما بعد كتب القنصل الروسي - موشنين - من مدينة - طرابزون - بتاريخ 10/6/1864م/ إلى حكومته يقول: (منذ بدأ التهجير وصل إلى - طرابزون - وضواحيها حوالي /247/ ألف شخص، كان عدد

(1) مجلة الإخاء الأردنية العدد / الثامن عشر - حزيران /1987م/ - ص 22÷24. (الوثائق البريطانية - ترجمة: يحيى قازان).

الذين يموتون يومياً بين /180 – 250 / شخصاً، ينتشر بينهم وباء
التيفوس، وقد وصلت نسبة الوفيات إلى أرقام مخيفة بحيث أنه بنهاية عام
/1864م/ كان هناك /50000/ قبر للشراكسة إلى جانب /60000/ من
الأحياء (أي حوالي النصف في أقل من سنة)، وحسب الشهود لم تنقطع في
مخيمات المهجّرين أصوات أغاني ومرثي الوفاة والتهجير التي تسمى
بالشركسية (غبزة = لغة البكاء). ومن تلك البكائيات هذه البكائية
التي تسمى مبكاة التهجير:

[عندما تسمع هذه المبكاة

فلتتوقف جميع الأحاديث

ولنصغ جميعاً إلى مبكاة تشردنا

ولنحفظ معانيه العميقة في قلوبنا

مع أننا خسرنا المعركة

فنحن لن نحاول أبداً أن نخسر إنسانيتنا

فمن ساعد الأعداء على الانتصار علينا

هم منا، ممن يعيشون بين ظهرانينا⁽¹⁾

فمن أمثالنا:

(جزع الشجرة القوية لا يفلقها إلا خشبة مثلها)

فالذين ضيعونا، هم اخوتنا، منا

فلو هجرنا وطننا، فلن نستطيع نسيانه أبداً

ولو بقينا فيه

فلن نستطيع تحمّل ما يفعله جيش الأعداء بنا أمام أعيننا

فنحن الآن نهجر الوطن دون أن تفارقنا أحلامنا بالعودة إليه

(1) هنا يشير إلى العملاء العثمانيين الذين كانوا يعيشون بين ظهرانيتهم.

نهجر الوطن مرغمين، متلفتين إليه
عسانا يوماً نعود إليه
أما شبابنا الذين أبحروا مهاجرين
فدموعهم تتساقط على فراق الوطن بكثافة مياه المحيط
وكثير منهم قذفوا بأنفسهم في مياه البحر الأسود
معرضين حياتهم لخطر الأمواج والأعاصير
بعد أن عدلوا عن فكرة هجرة الوطن
وقد تسابقوا في الدخول إلى غابة تحجاغ
وعادوا إلى القفقاس معلنين حرب الهجرة هناك⁽¹⁾.

(1) قصيدة الرثاء (المبكاة) هذه، ألّفها الحاج برزج جراندوقه، ونقلها حتقوه قوال - إلى الأديب الشركسي الكبير - كوبا شعبان - الذي دونها بالشركسية..



القائد الشركسي الحاج برزج جرنيدوقه.

المبحث السادس

تهجير وتوطين الأمة الشركسية في البلقان والأناضول

كانت جموع الأمة الشركسية المحتشدة على شواطئ البحر الأسود الشرقية قد انتشر فيه وباء الجدري بين جموع النازحين فحصد ضحاياه على امتداد البلاد الساحلية القريبة من البحر الأسود، كما فتكت المجاعة الناجمة عن القحط الذي أصاب المزروعات سنة /1863م/ بقبائل الوبخ الشركسية⁽¹⁾. وهكذا تهيأت كل الظروف الضاغطة التي جعلت الشركس يقبلون تحت هذه الظروف الهجرة من بلادهم إلى أراضي الدولة العثمانية. ومما سهّل رحيلهم اشتراك السفن الإنجليزية والفرنسية والعثمانية والروسية (والنمساوية) في حملهم إلى الأراضي العثمانية، وخلال هذه الرحلات كان العديد من المهاجرين يموتون جوعاً ومرضاً نتيجة الأوبئة التي كانت تفتك بهم، كما كان المسؤولون عن هذه السفن يرمون العديد من المرضى في عرض البحر خوفاً من تفشي الأمراض بمن تبقى من ركابها. ويقال إن عدد المهاجرين الشركس الذين وطئوا أراضي الدولة العثمانية عن طريق البحر يتراوح ما بين سبعمائة ألف إلى مليون ومائتي ألف شخص، وهناك رأي آخر يفيد بأن عدد المهجّرين الشركس الذين وصلوا إلى شواطئ البلقان وحدها في الأعوام /1860 - 1864م/ كان أكثر من ستمائة ألف شخص... وقد وجد كمال كربات في أبحاثه في الأرشيف العثماني أن عدد المهاجرين الشركس بين عامي /1859 - 1879م/ عن طريق البر وبوسائطهم الخاصة بلغ مليوناً وأربعمائة ألف شخص، وصل منهم مليون شخص إلى الأراضي العثمانية، و20% من هؤلاء

(1) شوكت المفتي - أباطرة وأبطال في تاريخ القوقاز - ص /221/.

الذين وصلوا ماتوا فوراً نتيجة الجوع والمرض،.. لقد عمدت الدولة العثمانية إلى إسكان الشركس على الحدود اليونانية وصربيا ورومانيا، وفي المناطق الحدودية المتاخمة لروسيا، مما أجبر قيصر روسيا على أن يطلب من الدولة العثمانية أن تعيد النظر في قرار إسكان هؤلاء الشركس وترحيلهم عن مناطق الحدود إلى أماكن بعيدة، فوافقت وأجبرتهم على الهجرة من جديد، وأسكنتهم في مناطق - دويركا - وفارنا - وجنوب الدانوب وغرب نيش - ومنطقة صوفيا، كما تم إسكانهم على طول الطرق المؤدية إلى استانبول في حوض بحر مرمرة لتأمين الاستقرار والدفاع عن العاصمة استانبول عند حدوث أي محاولة لاحتلالها⁽¹⁾ ٩٩.

ومن أرشيف رئاسة الوزراء العثمانية بلغ عدد المهجرين الشركسة إلى بلغاريا (فقط) من دول البلقان حتى عام /1864 م/ (20) ألف عائلة شركسية وأنهم سوف يرسلون عشرة آلاف عائلة أخرى. وحسب هذه الأرقام فإن عدد المهجرين الشركسة ما بين عامي 1864 - 1877 مع إضافة الذين لم يهاجروا بطرق رسمية يمكن تقديره بحوالي ربع مليون مهجر سكنوا تلك المنطقة⁽²⁾، وقد ذكر الكاتب البلغاري س. كويشفيش استناداً إلى الأرشيف البلغاري أن عدد الشركسة الذين استوطنوا ساحل البحر الأسود الغربي من (بلغاريا، رومانيا) بلغ 175,000 مهجر⁽³⁾. وهناك أرقام أخرى تشير أن عدد الشركسة المهجرين في كل منطقة البلقان بلغ (600) ألف نسمة⁽⁴⁾ وقد أسكنوا في بادئ الأمر في مدن: (نيش، كوسوفا، برشتينا، فيدين، صوفيا، لوفي، ني بولو، زيشتوفي) وغيرهم.

(1) عصام حتك - السياسة الإسكانية في الإمبراطورية العثمانية وطريقة إسكان الشركسة - مجلة الإخاء، العدد /8/ عام /1984م/ - ص - /9/..

(2) المقصود هنا بلغاريا فقط.

(3) كوليفيشي ليينزيج /1886م/.

(4) الهجرات من البلقان المجلد الثاني 1970 ص (210_213) + ص (351_352).

=لقد] لقيت الأحداث الفاجعة التي أدت إلى هجرة (تهجير) شعوب الشركس المأساوية توثيقاً غير متحيزٍ بعض الشيء في هذه الأيام والفضل في هذا للمواد والمقالات والبحوث والكتب العديدة التي نشرت حول هذا الموضوع وعلى كل حال، فإن ما نعلمه عن استيطانهم في مناطق مختلفة من الإمبراطورية العثمانية شيء قليل وأقل منه ما نعلمه عن اندماجهم في الشعوب التي استقبلتهم. وهناك حوالي اثنتي عشرة مادة من المقالات والتعليقات والدراسات حول الموضوع، تبحث بشكل خاص فيما يتعلق بالمناطق (اليوغسلافية المنحلّة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي)، نشرت في الأغلب في - صربيا وكرواتيا، ولهذا فإن علماء المسلمين يعلمون عنها القليل. ولهذا أيضاً فإنها تستحق أن تدرس وتحلل وتشر، فقد تصلح أساساً لأبحاث مفصّلة في المستقبل...ومن هذه الأبحاث والدراسات والمقالات يمكن التقاط المعلومات التالية من تلك الدراسات:

1 - وصل المهاجرون الشركس إلى يوغسلافيا⁽¹⁾ (السابقة) بصورة مؤكدة، قبل عام /1864م/ وهناك تقارير مؤكدة تقول أنهم وصلوا إلى - نيش - عام /1862م/، وإلى - بروكوبليا - عام /1863م/ وإلى - كوسوفو - عام /1864م/ ويعتقد أن معظمهم أتوا عن طريق - فارنا⁽²⁾ - بينما أتى الباقون من تركيا عن طريق - طرابزون - وأرضروم. ومن المستحيل عملياً، الحصول على صورة واضحة عن الأمواج المتتالية من المهاجرين الشركس، بسبب الافتقار إلى وثائق تتعلق بإقليم (يوغسلافيا السابقة) بالذات من جهة، ومن جهة أخرى، لأن هذه الأقوام نادراً ما كانت تبقى في الأماكن المحددة لها، بل تنتقل من منطقة إلى أخرى، إما بحثاً عن أماكن ملائمة أكثر، أو فراراً من الأمراض والأوبئة التي كانت

(1) عندما يقال يوغسلافيا هذه الأيام يجب أن نتذكّر أن جغرافية منطقة البلقان لم تكن كما هي في مرحلة دولة يوغسلافيا والتي تفككت فيما بعد، وكان هناك دول وكيانات مختلفة اختفت أو نقصت أراضيها أو زادت مساحاتها الجغرافية أثناء حكم الدولة العثمانية لها وما بعدها أيضاً..

(2) حول فارنا كمركز عبور، راجع (الاستعمار العثماني) م. بنسون - ص / 73 - 74.

تقضي على أعداد كبيرة منهم. أو بحثاً عن أقاربهم المفقودين.. ويكفي أن نقول إن الهجرة (التهجير) استمرت إلى عدد معين من السنين، منذ أن تضاعفت كثافتها، تبعاً للمنطقة..

وهناك هجرات أخرى بعد أحداث عامي / 1878م / و / 1912م / التي دفعت إلى سلسلة من هجرات الشعوب الإسلامية من البلقان إلى الدولة العثمانية.

وأخيراً فإن قضايا الهجرة المعروفة إلى المناطق التي تهمنا هنا، حدثت بعد الثورة الروسية عام / 1917م / أيضاً. وفي الحربين العالميتين أيضاً..

2 - لن نعلم أبداً العدد الدقيق المؤكد للشركس الذين وصلوا إلى (دول يوغسلافيا السابقة)، (وبقية أنحاء الدولة العثمانية) نظراً لأن الأرقام قدامها أناس عديدون، وكانت غير دقيقة ومتناقضة، وليست أكثر من تقديرات تقريبية، يستحيل التحقق منها⁽¹⁾، ولكن هناك مؤشرات تقربنا من الحقيقة بمرور الزمن وبحصولنا على وثائق جديدة.. واليك بعضاً منها:

لقد قدر بصورة عامة، أن أربعين ألف عائلة (بين / 150000 - 200000) جرى توطينها في بلغاريا والروملي، ومناطق يوغسلافيا، في حين أنه كان من المقرر وفقاً لخطة عام / 1864م / إرسال ستة آلاف عائلة إلى نيش⁽²⁾، ولكن لا يعرف ما إذا كانت الخطة قد نفذت أو لم تنفذ. أما في كوسوفو، فقد كان الرقم الذي يعلن عنه للمهاجرين هو أربعين ألف مهاجر شركسي. وهو رقم يخفضه - ن. زوبانيتش - إلى اثني عشر ألفاً (ألفي عائلة)⁽³⁾، بينما تقول وثيقة حديثة أن العدد يتراوح بين / 6000 - 7000 / فقط⁽⁴⁾. أما تقديرات أعدادهم في مقدونيا (ومن المحتمل في صربيا

(1) ك. هـ. كاريات (الهجرة) - ص / 31، وبنسون (الاستعمار العثماني) - ص / 75 / والصفحات التالية.

(2) بنسون (الاستعمار العثماني) - ص / 77.

(3) ك. زوبانيتش - الصفحات / 224 + 237 + 248.

(4) هذا هو نفس الرقم على الأغلب / 6400 / نسمة، كما قدمه علماء الجغرافيا النمساوية من منطقة كوسوفو / 1900.

الجنوبية) فيتراوح بين / 6200 – 10000 / وأخيراً ظهرت مجموعة من التقديرات عن عدد المنازل في مختلف المدن والقرى. ولكنها تقديرات تقريبية لا يمكن الركون إلى صحتها. وقد طرح توطين الآلاف من المهاجرين الذين وصلوا في حالة يرثى لها، والذين كانوا معدمين تماماً، مشاكل حقيقية للسلطات العثمانية، التي كانت تجد صعوبة كبيرة في تنظيم العملية. وكانت مشاكل تلك السلطات أكبر، في رؤيتها متطابقة مع خطتها⁽¹⁾. إنها مثلت عبئاً ثقيلاً آخر على السكان المحليين، الذين بالإضافة إلى الضرائب الجديدة التي يجب عليهم دفعها حالاً نقداً أو عيناً، كانوا ينتظرون أن يحصلوا على فرص كبيرة في العمل والخدمات، مثل نقل المهاجرين إلى مواقعهم الجديدة⁽²⁾، ونقل المواد اللازمة لبناء المنازل، وتوفير أسباب الراحة، والتعويض عن الأراضي التي قدمت للقادمين الجدد (التي كان قسم منها قد صودرت منهم)، وضمان أن يكون الشركس قد تعودوا على العمل في الأرض، واستعمال الأساليب الزراعية المتبعة في المنطقة. والواقع أن الأراضي الصالحة للزراعة، بالإضافة إلى الشيران والعربات والبذار كانت قد وزعت على المهاجرين، دون الاهتمام بأن الكثيرين منهم لم يكونوا يملكون أية خبرة على الإطلاق في العمل في المجال الزراعي. لقد أسكن الشركس في أجزاء من صربيا الجنوبية (بيروت - بيلا بالانكا - نيش - بروكوبلي - توبليشا - نوفي بازار -) وفي منطقة كوسوفو (غنيلين - أوروسيفاش - بريزرن - غراشانيشا - برستينا - فوشيترن -). وفي مقدونيا (غيفغيليا - ستويشا - ستيب - تيكفيش - فيليس - (وتدعى الآن تيتوف فيليس) - كومانوفو - سكيبا - تيتوفو - برليب - كوسيفو -)⁽³⁾.

(1) حول كيفية توقف العملية قبل إتمامها، راجع - بنسون (الاستعمار العثماني).

(2) في بادئ الأمر زود الشركس بالخيام، وأسكنوا في المدارس والمساجد، بالإضافة لمنازل السكان المحليين، رغم الإزعاجات التي سببتها هذه الإجراءات التي نفذت بصورة آلية.

(3) - مجلة الإخاء الأردنية - العدد /100/ ص /15+ 16 / (بقلم - الكسندر بوبوفيتش - ترجمة أحمد عبد الرزاق هاكوز).

المبحث السابع

من أهداف الدولة العثمانية في توطين الشركاسة

كانت الدولة العثمانية تهدف إلى ما يلي في توطين الشركس بالبلقان وغيرها:

- إن أغلب هذه المدن تقع في منطقة الحدود بين (حلفاء وجيش روسيا) من جهة والدولة العثمانية من جهة أخرى، وبذلك فإن الشركاسة الذين لهم خبرة كبيرة في محاربة الروس في القفقاس الشمالي، هم الذين سيحاربون الروس هناك أيضاً ويتلقون الضربة الأولى. وقد اشترك 30 ألفاً من شباب الشركاسة المهجرّين، مع الجيش العثماني في حربهم ضد التحالف الروسي البلقاني عام 1877 م /، وفي نفس العام ساقّت الدولة العثمانية ثمانية عشر ألفاً من شباب الشركاسة من منطقة طرابزون فقط وألحقوهم بالجيش⁽¹⁾. وقبل بدأ حرب عام 1877 م/ ومن عشر قرى حديثة شركسية فقط كانت الدولة قد بدأت تجبر شبابها على التطوع في الحرب تحت اسم متطوع / قونللي /.

ومثال آخر أخذت من قضاء كوفاك - في ولاية - سمسون - ومن قرية - صيرالي الشركسية - ثلاثة وثلاثين شخصاً أشركوهم في حرب 1877 م/ ولم يتمكن منهم العودة إلا شخص واحد فقط⁽²⁾. من هنا نرى أنّ العثمانيين قد استخدموا الشركاسة كملاط إحكام لبنائهم المتداعي، وهذا من الأسباب الذي مدّ حياة دولتهم قرناً آخر. وأعدوا

(1) مجلة صوت النارتين - أنقرة /1980م/ العدد /16/.

(2) مجلة الإخاء، العدد /18/ حزيران عام /1987/.

الشراكسة للدفاع عن أمن سلاطينهم من الأعداء الخارجيين ومن الأعداء الداخليين.. فمع بداية القرن التاسع عشر بدأت حركات التحرر بشكل مستمر في كل من اليونان وبلغاريا ويوغسلافيا وغيرهم فأرادت أن تقضي على هذه الحركات بواسطة الشراكسة⁽¹⁾ وهي الفترة الحرجة بالنسبة للدولة العثمانية.

ومن الملاحظ أن أغلب المدن والقرى والتجمعات الشركسية التي أسكن الشراكسة فيها (في منطقة البلقان المضطربة والثائرة ضد الدولة العثمانية) تقع في منطقة الحدود بين روسيا التي كانت تساند وتتعاقد مع الشعوب الأرثوذكسية البلقانية الثائرة ضد الحكم العثماني، وبذلك فالشراكسة هم الذين سيحاربون روسيا وحلفائها هناك. حيث نجد أنه ما بين عامي /1860-1877م/ تم إحضار الشراكسة وأسكنوهم على شريط يفصل بين القرى التركية والبلغارية. فالوطنيون البلغار الذين يريدون القتال والتحرر من العثمانيين وجدوا أمامهم الشراكسة الذين لم يكونوا على علم بالأعياب العثمانيين السياسية القذرة فاضطروا إلى محاربة البلغار دفاعاً عن أنفسهم، وبذلك تم تحميل الشراكسة والبلغار خسائر جبهة القتال من الأرواح والطاقات، والعدو الحقيقي الأتراك يتفرجون. وكان للعثمانيين هدف آخر من إسكان الشراكسة في المناطق التي يتواجد فيها أغلبية مسيحية، لأنها كانت تريد خلق توازن ديني بزيادة السكان المسلمين وبذلك تزداد قوة الدولة وسيطرتها فاستفادت من تهجير الشراكسة إلى تلك المنطقة بأن أرسلت المهجرين إلى لبنان وقبرص وجزيرة كريت ورودوس والبلقان. فمثلاً ثار مسيحيو قبرص على هذا الإجراء وقامت المظاهرات في لبنان. وقدّمت كل من إيطاليا واليونان مذكرتي احتجاج إلى الدولة العثمانية حول هذا الموضوع.

إن المذكرة رقم / 745 / والمؤرخة في /12/ مايس /1879م/ والموجودة في وثائق رئاسة الوزراء التركية تقول: (إن مناطق موزاتيا)

(1) من مجلة قفقاسيا الثقافية -أنقرة. العدد (7) 1965 م

جميليك، باندرما، واردك، تكثربها الطائفة المسيحية، فلذا يكون انتخاب مساعدي القائمقام غالباً من هذه الطائفة، لذا هناك مطلب عاجل بتهجير الشراكسة المسلمين إلى تلك المناطق لخلق توازن بين الطرفين في عام 1879م/ غرقت سفينتان محمّلتان بالمهجّرين الشراكسة في عرض البحر وكانتا متجهتين إلى قبرص ولبنان ومات الآلاف من الشراكسة. وصادف قيام مظاهرات في كل من قبرص ولبنان احتجاجاً على توطين المهجّرين في بلادهم. أضف إلى ذلك تقديم القناصل الإنجليز الموجودين في كل من بيروت واسطنبول مذكرات احتجاج حول هذا الموضوع. ويتضح من هذه المذكرات، أن عملية حرق السفينتين كانت مؤامرة مدبّرة، لصالح المسيحيين في لبنان وقبرص⁽¹⁾. وكان من أهداف الدولة العثمانية في توطين الشراكسة، إضافة لما ذكرنا سابقاً، الهدف الأمني العسكري: حيث تم إسكانهم على طول الطرق المؤدية إلى استانبول في حوض بحر مرمرية لتأمين الاستقرار والدفاع عن العاصمة استانبول عند حدوث أي محاولة لاحتلالها⁽²⁾. من قبل أي قوة معادية، فنجد في المناطق التي تحيط بالعاصمة اسطنبول مثل - أدرنة - غالي يولو - جته قلعة - باندرما - بورصه - باليك - أسير - ازमित - أضه بازار - أسكن الشراكسة في هذه المناطق لحماية العاصمة استنبول، وحماية جميع المداخل والطرق المؤدية إليها. إذا رسمنا خطاً يبدأ من شمال تركيا من سمسون وسينوب ونتجه إلى الجنوب حتى انطاكيا والإسكندرون، نجد شرق الخط في القسم الشمالي يقطن بقيا شعب الإمبراطورية البيزنطية، وفي القسم الجنوبي يقطن الأرمن والأكراد وأن هذه الشعوب ومن عام / 1810م/ ترفع علم المقاومة ضد الدولة العثمانية مطالبة بالاستقلال. فما كان من الدولة العثمانية إلا أن أسكنت الشراكسة على امتداد هذا الخط الفاصل في كل من سينوب - سمسون -

(1) من سجلات دائرة تسجيل السكان العامة. لندن - ن و 69/424 سري رقم: / 3625

(2) عصام حتك - السياسة الإسكانية في الإمبراطورية العثمانية وطريقة إسكان الشراكسة - مجلة الإخاء، العدد /8/ عام /1984م/ - ص - /9/..

أماسيا - جوروم يوزغات - توكات - سيواس - قيساريا - مرعش - أضنة - أنطاكية.

أما المناطق الغربية القريبة من اليونان الطامعة في استعادة القسطنطينية ومدن أخرى كانت تعتبرها لهم مثل ازمير...، فقد أسكن الشركسة فيها بكثافة كبيرة مثل منطقة أضنة بازار التي أقيم فيها أكثر من ستين قرية شركسية (1).



خريطة تبين مناطق اسكان الشركسة في تركيا باللون الأخضر. (حيث يزيد عدد قراهم فيها عن 700 قرية / خلا من سكن منهم المدن الكبيرة...).

- في عام /1870م/ كان عدد المهجرين من الشركسة الذين بقوا أحياء في الدولة العثمانية أكثر من مليون ونصف مهجر على أقل تقدير، وكان أمثال الجنرال - موسى قوندوقوف -، ومحمد أمين، وغازي

(1) وفعلاً كان للشركسة في تلك المناطق الدور الأول في قتالهم ضد اليونانيين الذي غزو تلك المناطق بعد انهيار الدولة العثمانية، وكان قائد المقاومة الكبرى في تلك الأيام القائد الشركسي الكبير الذي أنقذ تركيا من التفتت هو أدهم شركس وأخوه وفرقه العسكرية المكونة من الشركسة بقايا الجيش العثماني المنهار..

محمد ابن الإمام شامل وآخرون غيرهم من قادة الحرب في القفقاس الشمالي قد استلموا مناصب في الجيش العثماني. وقد أرسل هؤلاء جميعاً مع الأفراد الذين اجبروا على الخدمة العسكرية من الشراكسة إلى مناطق الحدود المتاخمة لروسيا. ونعلم أنه وفق المواد من 4/ -6/ من قانون الإسكان العثماني للمهجرين الشراكسة، يمنع الحاقهم بالخدمة الإجبارية إلا بعد مرور 12/ عام من استيطانهم، إلا أن الدولة العثمانية لم تلتزم بهذا القانون. وبالنسبة للمهجرين إلى دول البلقان فكانت الخدمة الإجبارية بعد مرور ستة أعوام، إلا أنهم خالفوا القوانين وأجبروا شباب الشراكسة على الالتحاق بالجيش فوراً وبذلك زاد عدد الجيش العثماني. أضف إلى ذلك أن الشراكسة محاربين أشاوس وهذا رفع من معنويات الجيش العثماني. وأكبر مثال على مخالفة القانون أنهم أخذوا ثمانية عشر ألفاً من شباب الشراكسة من منطقة طرابزون فقط وألحقوهم بالجيش⁽¹⁾. وقبل بدأ حرب عام 1877م/ تأسست عشر قرى شركسية فما كان من الدولة إلا أن بدأت تجبر شبابها على التطوع في الحرب تحت اسم متطوع / قونللي / ومثال آخر أخذت من قضاء كوفاك - في ولاية - سمسون - ومن قرية - صيرالي - ثلاثة وثلاثين شخصاً أشركوهم في حرب 1877م/ ولم يتمكن من العودة إلا شخص واحد فقط⁽²⁾.

وقد أدى الضغط على الشراكسة من قبل السلطات العثمانية إلى توتر كبير بل إلى ثورة حقيقية ضد المظالم المطبقة على الشراكسة بشكل عام، حيث اضطرت تلك السلطات العثمانية استخدام القوة العسكرية ضد الشراكسة حيث (أرسلت القوات العثمانية في مايو / 1867م/ لإخماد تمرد الشركس في كوسوفو وأواسط بلغاريا). وابتداءً من مدينة العزيز مروراً بماردين وحتى - الحلة - وكربلاء - أسكن الشراكسة لوقف تيار المقاومة والثورة الكردية، وفعلاً تم تجنيد الشراكسة لهذا الغرض في تلك

(1) مجلة صوت النارتين - أنقرة / 1980م / العدد / 16/.

(2) مجلة الإخاء، العدد / 18/ حزيران عام / 1987/.

المناطق. أما الذين وُطِّنوا في ولاية سورية وعمان فسنُتحدَّث عنهم فيما بعد بتفصيل أكثر..

- كما كان هناك هدف آخر في توطين الشركاسة في مناطق أخرى وذلك لاستصلاح الأراضي المهجورة وتحويلها إلى مناطق زراعية. وهناك تقرير في أرشيف وزارة الخارجية التركية حول هذا الخصوص يوصي بتوطين قسم من الشركاسة في مناطق مرسين - وبيرجيك - والرقه - ويذكر التقرير الفوائد الزراعية من عملية توطين الشركاسة في هذه المناطق. وقد تم فعلاً توطين الشركاسة في تلك المناطق..

- وخلص الموضوع بعثرت الدولة العثمانية الأمة الشركسية في أكثر من سبعمئة قرية شركسية (عدا المتواجدين في المدن الكبرى) في الأناضول والمناطق النائية والصحراوية ومناطق استيطان الأوبئة والأمراض وفي مناطق النزاعات العرقية والدينية وجعلتهم حاجزاً بشرياً بين المسلمين وغيرهم من الأديان الأخرى وخاصة الدين المسيحي، وهدفت أيضاً لاستخدام الشركاسة المسلمين بتحويل بعض المناطق ذات الأثرية المسيحية إلى أكثرية مسلمة في مناطق تركيا الحالية زمن العثمانيين، كما واستخدمتهم في أغراضها الأمنية حيث وطنتهم حول استنبول حماية لها في المستقبل من أي اعتداء محتمل.. هذا عدا من سكن منهم في المدن التركية المختلفة كما ذكرنا سابقاً. وإضافة إلى من أسكنتهم في دول البلقان والشرق الأوسط وبعض الدول الإفريقية التي كانت تحكمها الدولة العثمانية وقد أصبح من الواضح أن وجود الجركس في شرقي الأناضول وغيرها من المناطق التركية، مثيراً للفوضى، حيث جرى الوصول إلى تسوية مؤقتة مضطربة بين الكرد والأرمن والحكومة العثمانية، يقحم الآن عنصر جديد غير قادر على أن يدخل نفسه بسهولة في المنظومة الاقتصادية والاجتماعية التقليدية في مختلف المناطق التي اختارتها الدولة العثمانية لإسكان الشركاسة وفق أهوائها ومصالحها الخاصة التي ذكرنا بعضها، دون النظر لمصالح الشركاسة الذين أضحو مفتتين كأمة في مناطق شاسعة من الدولة العثمانية مترامية

الأطراف.. فقد كان الجركس الذين وصلوا إلى البلقان والشرق العربي المحكومين من قبل العثمانيين (الذين أسكنتهم في أكثر من مائتي قرية وتجمع خلى من سكن المدن البلقانية والعربية هناك) هم كل ما تبقى من شعبهم التي طحنتهم مقاومتهم وحروبهم مع الروس والقوزاق. وفي مختلف مناطق الدولة العثمانية المترامية الأطراف، تكتمل مآسي ونكبات الشراكسة التي لم يهنتوا بحياتهم الجديدة التي فرضت عليهم في أماكن توطينهم (المتفرقة) من قبل الدولة العثمانية⁽¹⁾ التي كان لها أجندتها الخاصة حيث وطنتهم في أماكن الثورات والاضطرابات القائمة أو المحتملة والمناطق الموبوءة بالأمراض المستوطنة و... كما قلنا سابقاً.

وفي تلك الفترة كان الجيش العثماني في مرحلة الاحتضار والتقهقر، وكانت الدولة العثمانية تسمى بالرجل المريض.. فاستخدمت الشراكسة في حروبها شر استخدام.

ولم يكن الجركس ناطقين باللغة التركية، ولا كانوا زراعيين في المقام الأول بعد أن تحولوا خلال الحرب الروسية الشركسية إلى أمة محاربة من الطراز الأول... كانوا في الدولة العثمانية، لغوياً دخلاء بحاجة إلى استيعابهم في لغة وأنظمة الإمبراطورية. استقر أكثرهم في أسلوب حياة بنائي، خصوصاً أولئك الذين منحوا أراضي خصبة في البلقان وغربي الأناضول، لجأ بعض الآخرين الذين جرى توطينهم في أماكن لا تيسر العيش فيها إلا بشق الأنفس، إلى الإغارة وسيلة للرزق. وكانت مساهمة الجركس، على الأقل في بداية حياتهم في الإمبراطورية، مساهمة متنوعة. وما كان من الممكن القول أنهم استقروا كجزء مألوف في الحياة الاجتماعية التركية إلا بعد وقت من الزمن⁽²⁾.

(1) وبعد انهيار الدولة العثمانية أضحت الشراكسة يقطنون، في عشرات الدول الحديثة المستقلة وغير المستقلة، التي تقاسمتها الدول الأوربية الكبرى، مما زاد الطين بلة حيث تشتتوا في بلدان تلك الأمم والشعوب المختلفة اللغات والقوميات والأديان والمذاهب التي لم يعد يربطهم أي رابط سوى ماضيهم المر مع الدولة العثمانية..

(2) جستن مكارثي - الطرد والإبادة - ترجمة فريد الغزي - ص 66/.

لقد كانوا معدومين إلى حد مخيف، وليست مفاجأة أنهم دفعوا إلى النهب في سبيل بقائهم أحياء، تشير الأدلة على حياتهم المألوفة أكثر في وطنهم إلى أنهم شعب ذو مبادئ، ويعيشون وفقاً لقواعدهم الخاصة، وربما غير متورطين في هذا النوع من النشاطات التي دفعوا إلى ممارستها عقب طردهم.

ففي شرقي الأناضول⁽¹⁾ وباسم البقاء إلى حد كبير، هاجم بعض اللاجئيين الجركس قرى مسلمة ومسيحية وأقدموا على نهبها⁽²⁾[⁽¹⁾].

(1) هذه المجموعات الشركسية التي أسكنت في تلك المناطق شبه الصحراوية كان الروس يسمونهم بالجبليين وهم الذين عاشوا على ارتفاعات كبيرة عن سطح البحر وبين الغابات المطيرة شتاءً وصيفاً بجانب أنهار كثيرة وغزيرة، لقد أسكنوا في تلك المناطق التي كان الشركاسة يذكرونها في مرثياتهم وبيّنون أنهم يعيشون على نوع من الحساء - (الشوربا) - مصنوعة من نبات كان ينمو في تلك المناطق شبه الصحراوية واسمها بالشركسية - حمتسي - (كانت كثير من هذه المناطق خالية تقريباً من مظاهر الحياة في تلك الأيام..).

(2) وفي هذا المجال أود أن أقتبس من الرواية التاريخية "البذرة الأخيرة ص/113/" عن أحوال المهجرين الشركاسة من قبيلة "الويخ" وأنا لا أستشهد بالروايات عادةً ولكني أجدها أشبه بما كان يقال لنا من قبل أجدادنا وجداتنا وأبائنا ونحن أطفال في الجولان العربي السوري. بعد نزول الشركاسة من سفن التهجير ومن قواربها: كان ((الجوع يأكل الحجر..كل ما جئنا به من بيوتنا تبدد كموجة منحسرة.أخذنا نشترى بنقودنا الشحيحة خبزاً من الأفران القريبة. ثم حين فرغت الجيوب وكأن الريح قد ذرتها أخذنا نبيع ما نملك من الأشياء العائلية القليلة ذات القيمة. بعنا ما لدينا بأثمان بخسة فالجائع لا يفاضل. وأقفل أصحاب الحوانيت والدكاكين محلاتهم مرعوبين إذا رأوا تلك الجموع الغضيرة الجائعة. فلم يجهلوا أبداً أن الجوع يطرد الذئب من الغابة..حنثت الحكومة التركية بوعودها لنا بإعطائنا حق اختيار المكان الذي سنعيش فيه. شعرت السلطات بالذعر منا وقررت تشتيتنا في أصقاع مختلفة من البلاد.ومن السهل أن (يحزر) المرء أنها مناطق نائية منعزلة، أراضيها جرداء ولا خير فيها..لم نحصل على شيء على الإطلاق. كنا نشعر بشيء واحد، أنهم أخذوا يخافوننا. وأنى لهم ألا يفعلوا واليائسون قادرون على كل شيء. كان أحد المباني الحجرية مليئاً بحبوب الذرة الصفراء. وهكذا أعطى الجوع إيعازاته المحددة. ما كنت لأحسد الإنسان الذي سيجرؤ على الوقوف في ==

و] وكثيراً ما كانت تفهم مشكلات الجركس من وجهة نظر غربية وهي أن توطين الجركس في الإمبراطورية العثمانية كان إجراء ضد

طريقنا. انتزعنا الأقفال من الأبواب وأفرغنا المستودع مما فيه.. أخذ بعضهم يكسر الحب بالأحجار وتصرف بعضهم الآخر ببساطة أكبر، فسلقوه. الجوع أفضل طبخ. لكن الغنيمة لم تكف وقتاً طويلاً فأخذنا نجوس الدروب والبلدات المجاورة.. الجموع البشرية الجائعة تبحث كسيل الماء الجارف عن مخرج لها، تحولنا رغماً عنا إلى سارقين. أمسى هندامنا رثاً، وشعرنا منفوشاً. ولكن أسلحتنا بقيت محفوظة في الفضة. أما الشبان الصغار فشكّلوا عصابات لصوص يقودها الجوع ذاته. أخذوا يسرقون الماشية ويوزعون لحم الضأن على أبناء العشيرة، يقومون بالغارات على المدن للسلب والنهب، ويسرقون ورشات صنع الأحذية، ومحلات بيعها.. لقد أريق دم غزيرة من الطرفين. وهكذا انتشرت إشاعات السوء عنا بصفتنا لصوصاً وباتوا يخيفون بنا الأطفال، يتسكع الجيليون في شوارع سمسون كالصعاليك. عيونهم تلمع من الجوع بلهيب جنوني، وتبرز من بزاتهم الشركسية الممزقة ضلوع عظمية نحيلة، وتطل من جزماتهم المهترئة أصابع وسخة.. يدخلون كالمخبولين بنظرات تائهة فظة إلى المطاعم الصغيرة أو المقاهي، ويملؤون بالفزع قلوب أصحاب تلك الأماكن وروادها.. المرضى والعجائز يرقدون تحت ظلال الأشجار على أرديتهم المهترئة المليئة بالغبار والأقذار منهكي القوى، مهدودي الحيل، سائرين بخطى بطيئة إلى الموت، وجوههم نافرة ووجناتهم متهدلة يطردون الذباب اللجوج الذي يحوم حولهم ولا يفارقهم.. وصل إلى شاطئ البحر كثيرون أيضاً من أمثال هؤلاء قبل السويخ بكثير.. منهم "قبائل" النساتخواج والبجدوغ والشابسوغ بل والقبارديين الذين عقدوا أو اصر القرابة في وقت ما مع القيصر الأبيض.. ولكن عدداً كبيراً منهم أبحر إلى هنا مع المبحرين.. حارت السلطات التركية في أمرها وأفلت زمام الأمور في إحصاء عدد النازحين من الشمال جريت القيام بمحاولة لإيقاف زحف أبناء الشعوب الغربية تلك، ولكن بعد فوات الأوان.. أما الجائع الذي تداهمه الأمراض فشبيه بالأعزل من السلاح إزاء العدو. التيفوئيد والكوليرا لا يعترفان بأي قصاص عليهما ولذا أقاما حصاراً أسود. لقد حصد في تلك الأيام أفواجا لا تعد ولا تحصى من الناس بحيث لم يبق منهم من يبكي موتاه ويدفنهم..)) وأخيراً هذا غيض من فيض أحوال المهجرين الشركسية الذين تركتهم الدولة العثمانية طويلاً بمثل هذه الأحوال الكارثية بعد أن عملت جاهدة ومتأمرة على جلبهم إلى هذا الجحيم..

(1) جستن مكارثي - الطرد والإبادة - ترجمة فريد الغزي - ص -/ 76 + 77 /.

الأرمن⁽¹⁾ على سبيل المثال، ظنّ - إيه.أو. سركيسيان - أن الجركس (شجعوا على نحو خاص على التوجّه إلى الأقاليم الأرمينية) وهذا نظراً إلى مخططات الاستيطان، هراء فقط⁽²⁾].

بالنتيجة أفسد نقل أعداد كبيرة من الجركس إلى شرقي الأناضول التوازن العرقي التقليدي في المنطقة بالتأكيد. حتى أن بعض المناطق أصبح جركسياً، أي أن الجركس كانوا أكبر جماعة منفردة بين السكان. قدرّ القنصل البريطاني في طرابزون - بيلوتي - أعداد سكان مناطق استوطن فيها مهاجرون مسلمون من القفقاس. مع أن أرقامه كانت أكثر قليلاً من تخمينات تقريبية، فإنها تدل على التغيرات السكانية المحدودة الناجمة من المهاجرين. يقدم الجدول التالي تقديرات بيلوتي لمقاطعة - جهار شنبه⁽³⁾ - : عدد سكان قضاء جهار شنبه نحو عام /1880م/ بتقديرات القنصل البريطاني بيلوتي:

(1) تهجير الشركس من وطنهم الأزلي شركستان من قبل القيصرية الروسية تشبه تماماً تهجير الأرمن من وطنهم من قبل الأتراك العثمانيين، ولكنها تسبقها زمنياً أكثر من نصف قرن عن عام تهجير الأرمن أي في عام /1915م/. والعثمانيون هم الذين وطنوا الشركاسة بالقرب من الأرمن في بعض المناطق العثمانية لأهداف معروفة تخصهم دون استشارة الشركاسة. والأرمن هاجروا إلى القفقاس الشمالي وسكن منهم أكثر من عشرات الآلاف في بلاد الشركاسة، مكان الشركاسة المهجرّين وفي قراهم وأراضيهم كما هو معروف للقاصي والداني. وهم لا يتحدثون عن ذلك الأمر.. والشركاسة معروفين بأمانتهم وراقيهم الأخلاقي، وما كان يحدث في بداية التهجير من قبل بعض الشركاسة كان استثناءً، بسبب الوضع المذري الذي وجدوا أنفسهم فيه، والكل يعرف أن العثمانيين قد وزعوا الأمة الشركسية على مختلف مناطق الدولة العثمانية مترامية الأطراف وفق أهداف قادتهم، ولم يختار الشركس بإرادتهم مجاورة الأرمن في بعض مناطق الدولة العثمانية.. المؤلف (عدنان قبرطاي).

(2) المرجع نفسه - ص /354/.

(3) جستن مكارثي - الطرد والإبادة - ترجمة فريد الغزي - ص /77+78/.

التسلسل:	- القومية:	- عدد الأسر:
1 -	- مسلمة أصلية	- /3000/
2 -	- يونانية	- /716/
3 -	- أرمنية	- /1828/
4 -	- جركسية	- /5000/
5 -	- أبخازية	- /130/
6 -	- لازية	- /149/

ومنه يمكن أن نتصور الوضع المأساوي الذي وجد بعض الشراكسة أنفسهم في هذه المناطق، وهم يجهلون لغات وعادات هذه الأقوام المختلفة حيث أُجبروا على التعايش معهم..

في البداية وبنصيحة من الحكومة الإنكليزية تم إسكان قسم كبير من المهجّرين القفقاسيين (حوالي /50000/ أسرة في البلقان وبشكل خاص في بلغاريا)، وكتب القنصل الروسي - نياغين - في فارنا يقول: إن الغرض من إسكان الشراكسة في بلغاريا هو إيقاف كل حركة سلافية تسعى للاستقلال، وكذلك إيجاد أغلبية مسلمة في القسم الأوربي من الإمبراطورية العثمانية، وذلك لمواجهة أي طلب مستقبلي من القوى الأوروبية دفاعاً عن مسيحيي تلك المنطقة).

تم توزيع الشراكسة المهجّرين بمجموعات صغيرة في كل بلغاريا بين القرى البلغارية، وكانت القرى الشركسية على مسافات محددة من بعضها البعض مشكّلةً خطأً يقطع بلغاريا في عدة اتجاهات. وحسب أقوال القنصل الروسي في - فارنا - إن الحكومة التركية كانت تخصص أراضي للشراكسة على خط مستقيم بين نهر - الدانوب - والجبال، وكانت هذه السلسلة الحربية تمتد من - دوبروجي - حيث كانت توجد قرى تثار القرم⁽¹⁾، حتى حدود - صربيا - و - الجبل الأسود -، فمثلاً

(1) الذين هجرهم الروس في بداية القرن التاسع عشر بعد احتلال بلادهم، ووجود تثار القرم المهجّرين قبل الشراكسة دليل كبير على ما ذهبنا إليه في شرحنا للخريطين اللتين مرتا قبل عدة صفحات..

على سهل - كوسوفو - كانت هناك ثلاث وعشرون قرية شركسية⁽¹⁾. بالإضافة لذلك تم إسكان الشركاسة في اليونان وفي جزيرة - قبرص - وتم إسكان قسم كبير في منطقة - بانديرميه - على ضفاف بحر مرمره - وهكذا فإن سلسلة القرى الشركسية امتدت على كامل القطاع الأوربي من تركيا = (الدولة العثمانية) وخصوصاً - بلغاريا - كانت قرى الشركاسة على امتداد الطرق الرئيسية وعلى مداخل الممرات الجبلية، وقد خصصت الحكومة التركية الأراضي.. واتبع نفس النظام في الإسكان في - الأناضول - بين السكان الأرمن واليونانيين، وكتب دبلوماسي روسي في - استانبول - يقول: (إن الحكومة التركية تريد إسكان الشركاسة في مناطق متفرقة كي لا يتجمعوا في كتلة واحدة كبيرة في منطقة واحدة خوفاً على النظام العام وسلطة الدولة، يتم تسفير الشركاسة من - طرابزون - مباشرة إلى - قارس - و- أرزينجان - وكانوا على الطريق يقومون بأعمال سطو⁽²⁾ وكانت السلطات المحلية تخاف منهم، وحسب تقارير القنصل الروسي في - أرضروم - فإنه من المقرر إسكان /4000/ عائلة هناك). وكتب السفير الروسي في - استنبول - منتقداً سياسة الإسكان التركية للشركاسة: (حيثما يتم إرسال الشركاسة فإن ذلك يشكّل عبئاً على البلد وعلى السكان، ومن ناحية أخرى من المهم لنا أن المهجرين المسلحين لا يتم إسكانهم بين مسلحين آخرين حتى لا يشكلوا كتلة قوية متماسكة معادية لنا ولا بين المسيحيين في تركيا في المناطق القريبة من حدودنا).

(1) بقي منها حتى عام /1995م/ قريتان تم تهجيرهم في حرب كوسوفو إلى جمهورية الأديفي الشركسية في الاتحاد الروسي، زمن الرئيس الروسي السابق بوريس يلتسين..

(2) إن بعض أعمال السطو كان بسبب تركهم دون غذاء ودون وسائل العيش لفترات طويلة وهناك شهود عيان ودبلوماسيين كثير قد أفادوا بذلك في تلك الأيام..

ЧИСЛЕННОСТЬ ЧЕРКЕСОВ



التوزيع السكاني للشراكسة في العالم حيث يبلغون ٧ ملايين نسمة في تركيا بينما لا يتجاوز عددهم ٩٠٠,٠٠٠ في الوطن الأم شيركيسيا في شمال القفقاس أي بنسبة ١٠% تقريبا من مجموع الشراكسة في العالم وباختصار (نحن شعب بلا وطن ... ووطن بلا شعب) إلى أن يلتزم الشمل ويعود الشراكسة المهجرون المشردون إلى وطنهم الأم شيركيسيا الحرة وفقا لجميع القوانين والأنظمة والحقوق الشرعية والإنسانية والدولية.

هذه القائمة منقولة عن صفحة CERKES في الفيس بوك

المبحث الثامن من مصائب التهجير

[. إنَّ أمة أمة أو شعب تقتلع جذوره بالقوة من وطنه ويجبر على الهجرة ومن ثم يوطن في أرض غريبة عنه وفي مناطق كانت تعتبر في تلك الأيام منافي لهو شعب قد حلت به كارثة حقيقية وأكبر المصائب. وهذا بالضبط ما حصل للأمة الشركسية في عمليات التهجير التي لم تنقطع لعقود متتالية.

إن المصائب التي تبعت عملية النفي والطرده هذه لم يذكر منها لغاية الآن إلا الشيء القليل والقليل جداً. فلو أريد يوماً ما كتابة هذه المصائب بحقائقها الكاملة فإن القلم سيأبى الكتابة خجلاً من الأهوال والمصائب التي حلت بهؤلاء المهجّرين وستمثلي صفحات التاريخ العائدة للقرن التاسع عشر والعشرين بذكر هذه المصائب والويلات، وإذا كان هناك كاتب شجاع يستطيع أن يذكر هذه المصائب والويلات في كتاباته، فإني على يقين أنه لن يستطيع أن يمنع دموع القراء من الانسكاب وهم يقرؤون ما حدث، ولن يستطيع أن يمنع الشعور بالرحمة والعطف على الشراكسة حتى من أقسى القلوب والأشخاص. ولو أن المصائب انتهت عند هذا الحد لكان الأمر هيناً. ولكن ما إن مضت /16/ عاماً على نفيهم هذا حتى بدأت حرب عام /1877 - 1878م/ في القفقاس والبلقان وبدأ معها نفي وطرده جديد ومصائب جديدة ألمت بالأمة الشركسية المنكوبة.

وإن استخدام الدولة العثمانية لهؤلاء الشراكسة كان يقلق الحكومة الروسية. ولهذا الغاية فقد أرسل الروس الجنرال - فادل - إلى استنبول قبل الحرب بثلاث سنوات. وباسم الحكومة الروسية، قابل الجنرال - فادل - كلاً من - موسى قوندوقوف - وغازي محمد -

وعرض عليهم المشروع التالي: (إنشاء دولة على حدود أفغانستان خاصة بالشراكسة لوحدهم يهجر إليها جميع الشراكسة الموجودين في الدولة العثمانية، على أن تتحمل روسيا جميع المصاريف اللازمة لهذه العملية بشرط أن تكون الدولة خاضعة لروسيا⁽¹⁾) لقد كان هدف الروس من هذا المخطط هو استغلال الشراكسة ضد الإنكليز الذين كانوا يحتلون أفغانستان، وبنفس الوقت منع الدولة العثمانية من الاستفادة من الشراكسة، في الحرب التي تجهز روسيا لشنها على الدولة العثمانية. رفض كل من موسى قوندوقوف وغازي محمد هذا المشروع المشبوه، وفي 24/ نيسان /1877م/ بدأت الحرب في البلقان وجنوب القفقاس وشمالها، فسارعت الدولة العثمانية إلى إنزال قوات بحرية في مناطق الأبخاز - في سوخومي - وفي الحال أعلن الأبخاز المقاومة. وانتشرت الثورة في كل مناطق شمال القفقاس ولكن استطاعت روسيا أن تقضي على المقاومة والثورة بإراقة الدماء بوحشية لم يسبق لها مثيل، وبنفس الوقت قامت بنفي الشيشان والداغستان بأعداد كبيرة إلى المناطق الداخلية في روسيا⁽²⁾. وفي الاتفاقية التي وقّعت بعد الحرب بين روسيا والدولة العثمانية في 1878/3/3م/ كان أهم شرط هو إصرار روسيا على تهجير جميع الشراكسة الذين يقطنون بالقرب من الحدود الروسية إلى داخل أراضي الدولة العثمانية. إن القوات العثمانية التي نزلت في أبخازيا كان قسم منها من الشراكسة، وبعد انتهاء الحرب قسم كبير منهم رفض العودة إلى تركيا، ومن تلك المصائب الكبرى في تلك المرحلة الوضع الصحي للمهجرين الشراكسة في الدولة العثمانية:

الأوبئة: [كان المرض الذي أدى إليه سوء التغذية (والتسمم بأغذية غير صالحة للبشر) أسوأ عدو للجركس والقفقاسيين الآخرين الذين طردوا من بيوتهم. حيث حشر الجركس بكل ما في الكلمة من معنى

(1) من مذكرات الجنرال موسى قوندوقوف - ص 12/.

(2) من مجلة قفقاسيا - تصدر في أنقرة - السنة الأولى - العدد الخامس.

بالقوارب الصغيرة غير الصالحة للنقل في موانئ تخضع للسيطرة الروسية. لم تقدّم لهم أي مساعدة أو مؤن (بعد أن استنفذ الشركاسة كل ما حملوه معهم من بيوتهم أثناء الانتظار الطويل للسفن التي لم تأت إلا بعد أشهر عديدة..). وعند أول مرفأ عثمانى، طربزون - لقي عدد كبير منهم حتفه بسبب الجدري والتيفوس والأسقربوط.

في شتاء عام /1863م/ كان يموت يومياً في طرابزون من عشرين إلى خمسين جرکسياً. بحلول أسوأ أيام الربيع التالي، كان يموت (500) في اليوم، ربما مات /30000/ في طرابزون وحدها. ساهم أولئك الذين هبطوا موانئ أخرى كسمسون وسينوب و.. - بوفيات - مماثلة، كان يموت في سمسون في ذروة الهجرة خمسون لاجئاً في اليوم. كانت الإمبراطورية العثمانية غير مهيأة إطلاقاً لهجرة الجرکس القسرية. كانت الأوضاع الصحية في الإمبراطورية على غير ما يرام حتى في أحسن الأحوال⁽¹⁾، ولم يسمح الفقر الشامل للإمبراطورية إلا بالقليل من ناحية المساعدات المالية أو مؤن الغوث⁽²⁾. غير إرسال ما تيسّر من أطباء وأدوية، لم يستطع العثمانيون

(1) أصبحت الأحياء القريبة من المقابر غير قابلة للسكن بسبب الطريقة غير المتقنة في دفن الموتى (القتلى)، والعواقب الكريهة الصادرة من ذلك، تهجر أسر كاملة مساكنها. القناة الرئيسية التي تغذي سبل الشرب ملوثة، حيث عثر على جثة جرکسي تطفو في ذلك المكان منذ بضعة أيام. الشوارع والساحات في حالة رديئة وقدرة، أصبحت المؤن شحيحة وعزيزة، والوقود مفقودة تماماً، يزيد هذا كله من البؤس ويفضي إلى انتشار الأمراض. (من جستقن مكارثي - الطرد والإبادة - ترجمة فريد الغزي - ص 350 /).

(2) أنتم على علم بالهجرة الكبيرة والمفاجئة للجرکس إلى الأراضي العثمانية. اكتسبت أفضل من الأرض - الحرية - أو على الأقل بحياة متحررة من هيمنة عدو أجنبي. إنهم ينطلقون إلى السواحل مخلصين بدفاعهم ويبحثون عن ملجأ آمن في إمبراطورية مجاورة، باختصار ذهبت بلاد الجرکس، ما تبقى هو إنقاذ الجرکس، إن الحكومة العثمانية مستعدة لتوفير الملجأ إلى من يرغبونه، لكنّ مواردها المالية لتحقيق ذلك، كما تعلمون صاحب اللوردية، هزيلة، ما فعلته حتى الآن، وهذا بالمقارنة قليل كان بكلفة /200000/ ٢. (من جستقن مكارثي -

==

فعل أي شيء آخر. على أي حال، لم تكن هناك علاجات شافية للجدرى أو التيفوس في تلك الأيام.

كان العلاج الوحيد لإزالة المهاجرين من مخيمات البحر الأسود وبعثرتهم في كل الإمبراطورية⁽¹⁾. استمرت وفيات الجرّكس من دون أيّ انخفاض بينما أرسلهم العثمانيون قداماً من موانئ البحر الأسود إلى مناطق أخرى من الإمبراطورية لإعادة توطينهم. أظهرت سجلات الوفيات معدّل وفيات بسبب المرض على سفن النقل يصل إلى حدّ الثلث، وأحياناً أكثر⁽²⁾. وفقاً لأحد التقارير، وضعت مجموعة مؤلفة من /2718/ جرّكسياً على سفينة في سمسون متوجّهة إلى قبرص، مات /202/ بين سمسون واسطنبول حيث غادر السفينة /528/، وتابع /1988/ الرحلة إلى قبرص، مات منهم /637/ في أثناء الرحلة. يصف تقرير آخر من قبرص أيضاً مصير حمولة السفينة من الجرّكس المذكورين آنفاً: (يتوقع أن يموت نصف الذين هبطوا من السفينة، وفي الحقيقة تراوحت الوفيات اليومية من ثلاثين إلى خمسين). كانت الحكومة العثمانية حتى وصول الأبخاز الشراكسة إلى موانئ البحر الأسود بحالة استعداد أفضل. ومع المشكلات المالية المتواصلة، استطاع العثمانيون أن يعاملوا الأبخاز بعناية أكبر وكانت الوفيات الناجمة عن المرض بينهم طفيفة. كانت أعداد

الطرد والإبادة - ترجمة فريد الغزي - ص /350/.

(1) لسوء الحظ أن الوثائق العثمانية لا تخبرنا أكثر من واقعة اهتمام العثمانيين ونفقاتهم، سمّوا موظفين وحدّوا مبالغ، لكنهم لم يقدّموا إلا القليل من الوصف عن مأزق اللاجئين. حاول العثمانيون أن يحتفظوا بسجلات دقيقة عن أعداد اللاجئين الذين وطّنوهم في الأقاليم المختلفة... وكثير من هذه السجلات متوافر في الأرشيف العثماني. ومع ذلك لم يجر العثور على سجلات مجملّة عن اللاجئين الجرّكس وفهرستها. حتى لو جرى العثور على سجلات كهذه، فإنها ستكون سجلات عن أولئك الذين وصلوا إلى الأقاليم العثمانية المختلفة فقط، وليس عن أولئك الذين بدؤوا الرحلة. (من جست مكارثي - الطرد والإبادة - ترجمة فريد الغزي - ص /350/).

(2) أي ثلث أو أكثر من الأمة الشركسية المهجّرة ١٩.

اللاجئين أقل بكثير من الهجرة السابقة، وكان لهذا أثر مفيد بالتأكيد⁽¹⁾.

منذ بداية حركة التهجير كان وضع الشراكسة المهجّرين مأساوياً، فقد بقي المهجّرون لمدة طويلة على الشواطئ التركية في مدن - طرابزون - و- صامصون - و- سينوب - وفي ضواحيها، وهنا ماتوا جماعات جماعات من الأمراض والحرمان قبل أن ينقل الأحياء إلى الأماكن التي خصصت لهم⁽²⁾.

كانت الحكومة التركية توزّع على المهجّرين الطعام والثياب بشكل شحيح جداً، وخافت الحكومة التركية من انتقال وبائي التيفوس والحصبة إلى السكان، فأقامت مخيمات خاصة للمهجّرين كانت في الحقيقة مخيمات موت، كالمخيم المقام في - آتشكا قلعة - قرب - طرابزون -، كان المهجّرون يبقون الموتى في المخيم لعدة أيام على أنهم أحياء أو يدفنوهم في الخيم حتى يستلموا خبزاً عن الموتى يومياً⁽³⁾.

يقول أحد الشهود في - فارنا - : (أحضرت الباخرة /850/ شخصاً وباخرة أخرى /180/ شخصاً، وقد استقبلتهم السلطات التركية أولاً بالترحاب، وعندما وصلت باخرة أخرى كان الأتراك قد أوقدوا ناراً في المرفأ بسبب البرد إلا أنه عندما رأوا الزوارق الآتية من الباخرة تفرغ العرايا والضعاف والمرضى و/46/ جثة لأشخاص ماتوا تلك الليلة على الباخرة، فزع الأتراك ولم يكونوا راغبين في استقبالهم. ويرسم المؤرخ الألماني - كانييتس - صورة أكثر رعباً فيقول: (دخلت إلى - لارنكا - في قبرص ثلاث سفن صغيرة تحمل /2100/ شركسي، مات منهم أثناء الرحلة التي

(1) جستن مكارثي - الطرد والإبادة - ترجمة فريد الغزي - ص 62+63/.

(2) وكانت هذه الأماكن غير جاهزة في معظمها لاستقبال هذه الأعداد الكبيرة كما سنرى فيما بعد في أماكن توطينهم الجديدة والتي تغيّرت عدة مرات وفق الأحوال الأمنية، تلك المناطق المضطربة أو غير المنتجة كما يجب..

(3) طبعا لعدم كفاية الغذاء التي يتناولونها لإبقائهم أحياء.

استغرقت /32/ يوماً من الجوع والعطش أكثر مما مات من المرض، وبلغ عددهم /1300/ شخص⁽¹⁾ - أي الموتى - حاول المسؤولون في المرفأ والقنصل الفرنسي منع نزول الناس من السفن وهم أنصاف أموات ومرضى بالتيفوس والحصبة، وقد أفاد قبطان باخرة كانت تسير خلف تلك السفن الثلاث أنه كان يعرف طريقه من رؤية الجثث في البحر)، وعندما زار - كانيتس - بلغاريا عدة مرات لمشاهدة أحوال المهجّرين بين أعوام /1866 - 1875م/ قال:

(كانت هناك لطلخة سوداء في ذاكرتي لا يمكن أن يمحوها الزمن ولم يستطع جمال الطبيعة أن يغطيها، كانت هذه اللطلخة هي القبور الحديثة للشراكسة على طول الطرق التي سلكها على يمين ويسار الطريق بين الأشجار، بأعداد بين /3 - 20/ قبراً في كل مكان، هذه القبور التي كانت تنمو على جانبي الطرق بدلاً عن الزهور، كانت تشهد على مآسي المسيرة الشركسية التي يمكن تسميتها عن حق بطريق القبور⁽²⁾).

(1) وفي هذه الحالة مات 61% من هذه الدفعة وفق ما كتبه المؤرخ الألماني - كانيتس - في تلك الأيام.

(2) علي حسن قاسوم - إبادة الشراكسة - ترجمة الدكتور - عمر شابسيغ - ص/116 ÷ 122/.

المبحث التاسع

إعادة تهجير الشركاسة المهجرين إلى البلقان

في عام /1877م/ اندفع 300 ألف جندي روسي عبر Ruse على نهر الدانوب إلى داخل حدود الدولة العثمانية منهنين بذلك حكم العثمانيين في البلقان الذي استمر على مدى أربعة قرون. وبحلول عام /1878م/ كانت القوات العثمانية قد انهارت تماماً أمام القوات الروسية، ويجب أن نذكر هنا أن 15 ألفاً من الخيالة الشركس قد اشتركوا في الحرب النظامية في جبهة البلقان⁽¹⁾. عدا المشاة.

كما يجدر بنا أن نذكر بأن ألفين من المقاتلين الشركس قد دافعوا عن مدينة بلقنه عندما حاصرتها القوات الروسية والرومانية وذلك بقيادة الشركسيين غازي عثمان باشا وميرزا باشا، كما اشتركت قوات مصرية في الحرب تحت قيادة ضباط من الشركس إلى جانب القوات العثمانية، وقد استغل البلغار هجوم الروس فقاموا بالتعاون معهم بأعمال قتل جماعية ضد المسلمين عامة، كما قام الصرب بنفس الشيء حيث أخذوا يقتلون كل من هو مسلم في المنطقة التي أصبحت خاضعة لهم (منطقة نيش وغيرها) وقد بلغ مجموع ضحايا المسلمين في البلقان ما بين عامي /1877 - 1878م/ نحو /200 إلى 300/ ألف حسب التقديرات

(1) هنا يجب أن نلاحظ أن هذا العدد من الفرسان الشركاسة فقط. وهناك أعداد أخرى من مختلف الاختصاصات العسكرية وعلينا أن نتذكر أن الدولة العثمانية قد جتدت في المراحل الأولى من استقرار الشركس في الدولة العثمانية /30 ألفاً ثم /19 ألفاً / من منطقة طرابزون وحدها، من المقاتلين الشركاسة.

البريطانية⁽¹⁾، وقد ذكر أحد البريطانيين واصفاً المعاملة التي لقيها المدنيون المسلمون على أيدي الروس والبلغار والصرب من قتل ودمار بأنها لم تحصل في أوروبا منذ عهد البرابرة الذين سادوا أوروبا في العصور القديمة⁽²⁾. وقد حصلت كل من بلغاريا وصربيا على الاستقلال من الدولة العثمانية وطُرد مليون ونصف مسلم من البلقان إلى مناطق أخرى من الدولة العثمانية منهم /150/ ألف شركسي حسب ما تذكره المصادر العثمانية، ومن الملاحظ أن أشد المناطق التي ارتكبت فيها أعمال القتل والدمار كانت منطقة نيش في صربيا ووادي تونجا في بلغاريا. بقي عدد آخر من الشركس في البلقان في مناطق مختلفة لم يغادروها في تلك الفترة بسبب استمرار خضوعها للحكم العثماني، ولكن حصلت هجرات أخرى منذ ذلك الوقت للمسلمين كافة ومنهم الشركس أيضاً.

ونورد هنا الهجرات المختلفة التي حصلت من البلقان للمسلمين: هاجر من بلغاريا ما بين عامي 1893 - 1902 نحو 172 ألف مسلم توجه معظمهم إلى تركيا، وبين عامي 1908 - 1913 قامت بلغاريا باحتلال ساحل البحر الأسود منطقة بورجس حيث كان يعيش عدد كبير من الشركس، وقد تم تهجير عدد كبير من المسلمين آنذاك. موجة أخرى للتهجير خضع لها المسلمون عام 1924 ما بين عامي 1949 - 1951 حيث طُرد 152 ألف تركي إلى تركيا، ومن الجدير بالذكر أن بلغاريا وبعد عام 1921 أخذت تطلق اسم تركي على كل من هو مسلم بغض النظر عن أصله العرقي، وكذلك فإن الإحصائيات السكانية في بلغاريا التي سبقت عام 1949م ذكرت الشركس تحت اسم القفقاسيين. وكانت الهجرة الأخيرة للمسلمين من بلغاريا عام 1985م/ حيث تم طرد /350/ ألف شخص إلى

(1) منهم عدد كبير من الشهداء الشراكسة لأنهم كانوا في مقدمة المقاتلين دوماً.
(2) كان البلغار وغيرهم من شعوب البلقان الثائرة على الدولة العثمانية يهدمون القرى الشركسية ويزيلونها عن وجه الأرض بعد أن يسرقوا كل موجوداتها، كما فعل الصهاينة بعد قرن في الجولان العربي السوري للقرى الشركسية والعربية على حد سواء...

تركيا منهم أعداد كانوا من أصل تركي. وبالنسبة لليونان فإن حوالي 370 ألف مسلم قد تم ترحيلهم إلى تركيا من المناطق الشمالية لليونان حول لاريسا وسيريس وسالونيك والتي هي من المناطق التي سكنها الشركس منذ بدايات عام 1864. أما فيما يخص يوغوسلافيا فإن مملكة الصرب التي استقلت عن الدولة العثمانية عام /1878م/ قد رحلت بقيّة المسلمين من شمال مقدونيا حول نيش وهي مناطق سبق وأن سكنها الشركس وقد هاجر عدد كبير من الشركس من إقليم كوسوفو بعد أن احتلته الإمبراطورية النمساوية عام /1913م/. قدّر أحد المؤرخين النمساويين عدد الشركس في إقليم كوسوفو والبوسنة والهرسك في ذلك الحين بنحو /300 / ألف شخص.

ما بين عامي 1955 - 1960 غادر آلاف الشركس الذين بقوا في إقليم كوسوفو⁽¹⁾ إلى تركيا، كما كان من المتوقع أن يغادر العدد القليل من الشركس الذين يعيشون في عدة قرى حول مدينة بريشتين إلى القفقاس لدى اندلاع الحرب في الإقليم (استطاعت حكومة جمهورية الأديغة الشركسية في الاتحاد الروسي زمن الرئيس السابق يلتسين سحب 21 عائلة شركسية يتجاوز عدد أفرادها 85 فرداً من كوسوفو عام 1998 أثناء حرب كوسوفو..). وبالنسبة لإقليم دوبرجا الذي أصبح واقعاً ضمن دولة رومانيا بعد عام 1878 فقد غادره معظم الشركس والتتر إلى تركيا في ذلك الحين⁽²⁾.

وهنا علينا ملاحظة أن كل الذين أسكنتهم ووطنتهم الدولة العثمانية في منطقة البلقان، كان بهدف أحداث تغيير ديمغرافي لصالح الأتراك العثمانيين على المدى البعيد كما قلنا سابقاً، ولكن الشعوب البلقانية

(1) بقي قرنتان شركسيتان رحلوا إبان الحرب الصربية الألبانية في كوسوفو إلى جمهورية الأديغة الشركسية..

(2) مجلة "الإخاء" النشرة الدورية الثقافية التي تصدرها اللجنة الثقافية في الجمعية الخيرية الشركسية، فرع وادي السير، العدد: 107، السنة 23، أيلول 1998

الثائرة، كانت تعي جيداً هذا الأمر فكانت لهم بالمرصاد. وعندما نالوا الاستقلال بمساعدة روسيا القيصرية، أعادت المهجرين والموطنين إلى الدولة العثمانية أولاً ثم إلى الجمهورية التركية ثانياً..

في الاتفاقية التي وقّعت بعد الحرب بين روسيا والدولة العثمانية في 1878/3/3م/ كان أهم شرط هو إصرار روسيا على تهجير جميع الشركسة الذين يقطنون بالقرب من الحدود الروسية إلى داخل أراضي الدولة العثمانية. إن القوات العثمانية التي نزلت في أبخازيا كان قسم منها من الشركسة، وبعد انتهاء الحرب قسم كبير منهم رفض العودة إلى تركيا ومع هذا فإن أعداداً كبيرة من الشركسة هاجروا إلى الدولة العثمانية إلى تركيا مع الجيش العثماني. ولقد تمكّننا من العثور على وثيقة بهذا الخصوص موجودة في أرشيف رئاسة الوزراء التركية بضرورة أن يتم في عام 1879م/ = 1295 هجري /ترحيل /150/ ألف مهاجر شركسي من البلقان إلى مناطق أخرى مع ذكر التفاصيل التالية على اعتبار أن كل عائلة مكونة من خمسة أفراد⁽¹⁾.

- إلى حلب /10000/ عائلة.
- إلى دمشق /5000/ عائلة.
- إلى أضنة /5000/ عائلة.
- إلى قونية /2000/ عائلة.
- إلى كستاموني /2000/ عائلة.
- إلى سيواس /1000/ عائلة. ليتم تهجيرهم إلى صمصون.
- إلى قبرص /2000/ عائلة.
- إلى أنقرة /1000/ عائلة.

(1) من كتاب - قضية المهاجرين والهجرة في تركيا للبرفسور الدكتور - أحمد جواد ادارين ص /83/.

– إلى اسكندرون /1000/ عائلة.

– إلى الجزائر /100/ عائلة.

– إلى صمصون /900/ عائلة ليتم تهجيرهم إلى أماسيا.

وبذلك يكون مجموع المهجّرين = /30000/ عائلة. في عمليات الترحيل هذه استعملت الدولة العثمانية كل أساليب القوة والتعذيب ومنعت الشراكسة من الذهاب إلى الأماكن التي كانوا يرغبون في الرحيل إليها. وهكذا تحرّكت البواخر من البلقان إلى استانبول ومرسين ومع ذلك حاول بعض الشراكسة المقتدرين الرجوع إلى سلانيك باستئجار بواخر، إلا أن الدولة العثمانية لم توافق على ذلك.

ومن أجل تطبيق قرار التهجير والترحيل للمرّة الثانية هناك مراسلات تمت بين لجنة إسكان المهاجرين وبين وزارتي الداخلية والخارجية بالأرقام /5/96/ تاريخ /17/ مايس /1879م/ و /13/96/ تاريخ /25/ مايس /1879م/ و /17/96/ تاريخ /29/ مايس /1879م/ و /6/6/ تاريخ /18/ كانون ثاني /1879م/ تحتوي على أمر يمنع الشراكسة من الرحيل إلى الأماكن التي يريدونها واستعمال جميع الأساليب لمنع هذا الرحيل وحتى لا يتمكن الشراكسة من الهرب بواسطة البواخر الأجنبية، قامت هذه الدوائر بإرسال كتب إلى شركات النقل الأجنبية يطلبون فيها عدم حمل أي شركسي على متن بواخرهم أو نقلياتهم⁽¹⁾. وما الشراكسة الذين يعيشون في فلسطين اليوم في كفر كما والريحانية إلا نفس المهاجرين الذين أُجبروا على استيطان منطقة مارويل – على الحدود اليونانية البلغارية في عام /1865م/ ولكنهم وبعد مضي /14/ عاماً من استقرارهم في تلك المنطقة أُجبروا مرة أخرى على الهجرة والرحيل إلى فلسطين].

[في عام /1878م/ غرقت حرقاً على مقربة من الشواطئ القبرصية سفينتان محملتان بالمهجّرين (الشراكسة) كانتا متجهتين إلى – قبرص –

(1) من أرشيف وزارة الخارجية التركية – المجلد /122/ دوسيه رقم: /64/.

وبيروت - وفي الوقت نفسه الذي تصادف معه مقتل الشراكسة المهجرّين في هذه الحادثة مع مظاهرات الاحتجاج على قدوم المهجرّين في كل من قبرص وبيروت. فقد بيّنت المراسلات من القنصلية البريطانية في استانبول وبيروت أن عملية حرق السفن كانت مؤامرة مدبّرة⁽¹⁾ ولم تكن حادثاً عرضياً⁽²⁾.

[. نتيجة لانتشار الملاريا في كثير من المناطق التركية، حتى نهاية القرن التاسع عشر، كانت هناك مناطق لا يقطنها أحد مثل حوض نهري - كزل أرمك - ويشل أرمك - في الشمال وحوض نهري - سيحان وجيحان - فأجبر الشراكسة على السكن في تلك المناطق لاستصلاحها⁽³⁾. ولكن غالبية المهجرّين ماتوا بمرض الملاريا والأمراض السارية الأخرى التي كانت منتشرة في تلك المناطق. فالشراكسة الذين أجبروا على السكن في منطقة مرسين لم يبق لهم أي أثر⁽⁴⁾. ويذكر الدكتور شرف الدين في كتابه أنّ عدد المهجرّين (الشراكسة) إلى منطقة - مرسين - كان /74/ ألفاً لم ينج منهم إلا أربع آلاف شخص⁽⁵⁾ وكذلك نلاحظ أن المهجرّين إلى منطقة باندردمة وعددهم /6302/ مات منهم في الشهر الأول من وصولهم /793/ فرداً⁽⁶⁾].⁽⁷⁾

(1) دائرة تسجيل النفوس العامّة - لندن. أف. أو. /69/424 سري رقم: /3625/ الصفحات رقم: /26 - 27 - 28 - 29 - / البنود 1/59 - 2 - 3 - .

(2) نهاد برزج - تهجير الشراكسة - ترجمة - عصام الحسن حتق - ص / 122 + /123.

(3) كان هذا في تركيا الحالية وكانت هذه سياسة عامّة للسلطات العثمانية في إسكان الشراكسة في المناطق غير الصالحة بالنسبة للشراكسة لأنها موبوءة بالأمراض المستوطنة. وهناك أمثلة كثيرة فيما يخصّ شراكسة سورية والأردن وفلسطين. الخ.

(4) جغرافية الإسكان في تركيا للبرفسور - نجدت توتج ديلك - ص - /24/.

(5) سوق المهاجرين - للدكتور شرف الدين مقموي /1911م/.

(6) مجلة القفاس الثقافية - المقالة لزبيدة شابلي - ص - /18+12/.

(7) نهاد برزج - تهجير الشراكسة - ترجمة - عصام الحسن حتق - ص /124/.

- أضواء على تهجير الشركس من وإلى البلقان :

لعبت عملية تهجير الشركس إلى البلقان دوراً هاماً في التاريخ الشركسي الحديث فهي قد أثرت على الشركس وعلى الشعوب البلقانية رغم قصر مدتها (من بدايات عام 1860 إلى نهاية عام 1878) حيث أن العدد الأكبر من الشركس كان قد هاجر من البلقان في نهاية عام 1878م وبقي هناك عدد أقل من ذلك. إن منطقة البلقان في الواقع كانت خاضعة للدولة العثمانية في ذلك الحين، وكانت تعتبر منطقة استراتيجية بالنسبة لها، فهي أولاً كانت تمتد من سواحل البحر الأسود الغربية شرقاً إلى سواحل بحر الأدرياتيك غرباً، كما أن نهر الدانوب كان يفصل حدود الدولة العثمانية الشمالية عن الإمبراطورية النمساوية والممالك الرومانية المستقلة مثل: ولاشيا، مولدافيا، الافلاق والبغدان، بالإضافة إلى أن منطقة لاريسا - يانينا كانت تفصل الدولة العثمانية عن مملكة اليونان في الجنوب الغربي والتي استقلت عن الدولة العثمانية عام 1801م. بسبب خصوبة منطقة البلقان فقد كانت تعتبر سلة غذاء بالنسبة للدولة العثمانية، أضف إلى ذلك وقوعها في قارة أوروبا، وكذلك كانت تعتبر البلقان بوابة شمالية غربية للعاصمة إسلام بول (استنبول) وبسبب تنوع الشعوب واللغات والأديان في البلقان فقد كانت مصدراً للثورات ضد الدولة العثمانية، فكان لا بد من كبح جماح هذه الثورات، لهذا السبب كان أحد الجيوش العثمانية الستة متواجداً بشكل دائم في البلقان، وكانت الدولة العثمانية تقوم بعمليات ترحيل وإعادة تسكين وتوطين دائمة في البلقان بهدف غربلة السكان وإبقائهم ضعفاء.

ازداد اهتمام الدولة العثمانية في البلقان بعد عام 1859م أي بعد هزيمتين للأتراك العثمانيين في حرب القرم والتي اشتركت فيها روسيا القيصرية وبريطانيا وفرنسا والتي خرجت منها الدولة العثمانية مهزومة ومثقلة بالديون التي استدانتها لتمويل حملتها في حرب القرم، كما أنها قد خسرت أيضاً شبه جزيرة القرم التي ضُمت إلى روسيا الأمر الذي أدى ذلك إلى نزوح مئات الألوف من التتر إلى الدولة العثمانية منهم / 200 / ألف

تتري تم إسكانهم في البلقان في مناطق شرق بلغاريا ودوبرجه في قرى تركية وبلغارية. (كان القناصل الفرنسيون يقدرّون عام /1876م/، قبيل تكوين دولة بلغاريا، السكان بمليون مقابل مليون ومئتي ألف غير مسلم⁽¹⁾). كانت عملية تهجير التتر إلى البلقان تهدف إلى زيادة عدد المسلمين في الروملي واستغلال الأيدي العاملة التتريّة في الزراعة ومد الطرقات وزيادة عدد الناطقين باللغة التركية، أما إسكان الشراكسة فكان بهدف إقامة مستوطنات عسكرية في المناطق الحدودية الساخنة ليدافعوا عن الدولة العثمانية ضد هجمات الثوار البلغار.

و بالفعل تم الاهتمام بالبلقان بعد عام 1859 حيث تم إنشاء سكة حديد تربط ما بينها وبين كونستانجا على البحر الأسود وسيرنافودا على نهر الدانوب كما تم إحضار الوالي مدحت باشا لتنظيم شؤون ولاية الروملي. إلا أن عملية تهجير الشركس إلى البلقان كانت شيئاً مختلفاً عن تهجير التتر إلى البلقان، ففي البداية لا بد من ذكر أن عملية تهجير الشركس إلى البلقان لم يعرّها المؤرخون الكثير من الاهتمام، بل كادت أن تكون منسية، لولا وجود الوثائق البريطانية، فوزارة الخارجية البريطانية كما هو معروف تقوم بنشر الوثائق والمعلومات التي جمعتها من مختلف مناطق العالم بعد مرور مائة عام عليها، ليستفيد منها الباحثون ولتكون ملكاً للتاريخ، فمنذ عام 1960 وحتى يومنا هذا تقوم بريطانيا بنشر الوثائق الخاصة بالبلقان ومن ضمنها تلك المتعلقة بالشركس، كما قامت بالمقابل الدول المعنية بالبلقان مثل تركيا وبلغاريا وغيرها بنشر وثائقها التاريخية المتعلقة بالفترة بدءاً من عام 1860م وما بعد ذلك والمتضمنة أحداث وتواريخ ومعلومات حصلت في البلقان في تلك الفترة،

(1) المسألة الشرقية - اسطفان براسيموس - ترجمة - كمال نعيم الخوري - مركز الدراسات العسكرية بدمشق عام /1996م/ - ص /28/. (منهم /25 ألف / من الشراكسة المسلمين وفق إحصاءات البلغار أنفسهم ووفق مصادر يوغسلافية مختلفة، وقد هجر معظمهم مرّة أخرى بعد اتفاقية برلين إلى عدة مناطق من الدولة العثمانية منهم /2000/ من ودين إلى القنيطرة..).

الأمر الذي أدى إلى تسليط الضوء على مزيد من المعلومات المتعلقة بالشركس وتهجيرهم من البلقان وفيما يلي وثائق ومقتطفات من مصادر مختلفة حول تهجير الشركس:

مع مطلع عام 1860م بدأ وصول المهجرين الشركس إلى البلقان، وقد اشتدت موجات التهجير عام 1864م أي بعد انتهاء الحرب الشركسية الروسية، وكانت الموانئ الرئيسية في البلقان التي استقبلت المهجرين الشركس هي الموانئ التالية: فارنا - وبورجاس - في ولاية الروملي وميناء - كونستيجي في - دوبروجا.

وقد كان وصول المهجرين الشركس إلى هذه الموانئ من موانئ قفقاسية شركسية مثل: توأبسة - وتسميز (نوفوروسك) - وغيرهما كثير. وكانت تقوم بنقل المهجرين الشركس سفن تركية وإنجليزية وفرنسية وروسية ونمساوية وغيرهم. كان عدد كبير من هذه السفن هو عبارة عن سفن تجارية وغير صالح للملاحة ولقد غرق عدد كبير من المراكب في البحر، بسبب الحمولة الزائدة وذكُرت قصص مرعبة عن غرق مراكب عديدة بمن عليها، وكثيراً ما كانت السفن تنزل المهجرين الشركس في شواطئ مظلمة وغالباً لم يكن معهم أي من المراقبين الرسميين. وقد ذُكر أن 25٪ من المهجرين الشركس إلى البلقان قد قضوا نحبهم في الأشهر الأولى بسبب سوء التغذية والأمراض.

ذكر أحد المراقبين أن 80 ألفاً من المهجرين وصلوا ميناء فارنا ووصف حالهم بقوله: "إن الشركس وصلوا فقراء معدمين يعانون من الحمى والدوسنتاريا، لقد كانوا على الأغلب بدون مؤونة، فقط طبيب واحد وبدون أدوية، لقد تغطت الشواطئ بالموت، وقد استُخدم السجناء لدفن الموتى أو قذف جثثهم إلى البحر". بعد مرور أشهر على هذه الحالة السيئة قامت الإدارة العثمانية بتوزيع آخر للشركس من سواحل البحر الأسود إلى داخل اليابسة حيث قام العثمانيون بنقل المهجرين من شواطئ البحر الأسود بالعربات والقطارات إلى ميناء سيرانافودا على نهر الدانوب، ومن هناك استعملوا سفناً صغيرة تسير على نهر الدانوب إلى موانئ أخرى تقع على

هذا النهر مثل: سومن، تولشا، سيلستر، لوم، فيدين، رنسي، سفيستور، نيكوبوليس ومن هذه الموانئ وزع جزء من الشركس داخل البلاد إلى مناطق مثل: صوفيا، نيش، سكوييا وكولارفجاردا. وقد أسكن آخرون في مناطق: مسادونيا، تراس، ما حول سالونيك، سيررش، لارسا وقد قام العثمانيون بتوزيع الشركس في المناطق المذكورة في قرى بلغ عددها المئات تمتد من سواحل البحر الأسود إلى سواحل بحر الادرياتيك. بالنسبة لأعداد المهجرين الشركس إلى البلقان فإن التقديرات تشير إلى أنه يتجاوز النصف مليون شخص، وذكرت المصادر البلغارية أنه قد تم إسكان 250 ألف شركسي على الأقل في الروملي، وهي المناطق التي تشكل بلغاريا الحالية، هذا بالإضافة إلى دوبروجا التي تقع حالياً ضمن رومانيا والتي قُدِّر عدد الشركس والنتريفيها بـ 130 ألفاً من أصل / 179 ألفاً / في ذلك الحين. كما استقبلت مناطق مثل مقدونيا وكوسوفو والبوسنة والهرسك التي أصبحت يوغوسلافيا فيما بعد 200 ألف شركسي، إلى جانب منطقتي لاريسا وسالونيك اللتين أصبحتا فيما بعد تشكلان جزءاً من اليونان وقد استقبلتا عدداً غير معروف من الشركس. ومن الملاحظ أن توزع الشركس في البلقان جاء وفق ما تقتضيه المصلحة العثمانية، فقد جرى توزيعهم على طول نهر الدانوب ابتداء من... Nikopolis, Ruse, Si-listre, Cernavoda, Hirsova, Mecidia, Macin, Salina, Tolcha Vi-din, Kum، وذلك كي يُشكّل الشركس خط دفاع أول في حالة الهجوم على الدولة العثمانية واختراق نهر الدانوب، بينما قاموا بتوطين التتر(الطورانيين) في مناطق داخلية وآمنة، وكانت المسافة التي تفصل بين القرى الشركسية تبلغ مسافة مسير يوم واحد لتكون عملية مواجهة أي طارئ واستدعاء المقاتلين سريعة، وقام العثمانيون بإنشاء فرق "الباش بوزاق" وهي كتائب غير نظامية مهمتها حماية الأمن الداخلي، وقد شكّل الشراكسة أحد عناصرها. أدى هذا التوزيع السيئ للشركس إلى أن يكونوا على احتكاك دائم مع السكان الأصليين وخاصة البلغار، كذلك أدى عدم الاستقرار النفسي للشركس إلى عزوفهم عن الزراعة وبالتالي سوء أحوالهم المعيشية مما أدى إلى ثورتهم

على الدولة العثمانية نفسها عام 1867م، وقد أحضر العثمانيون مئات الفرق لإخضاعهم. كان معظم الشركس في البلقان ينتمون إلى قبيلتي الأبخاخ والشابسوغ بالإضافة إلى عدد أقل من ذلك كانوا من قبائل الأبخاخ الذين وصل بضعة لآلاف منهم إلى البلقان عام 1876، وفي عام 1877 اندفع 300 ألف جندي روسي عبر Ruse على نهر الدانوب إلى داخل حدود الدولة العثمانية منهيين بذلك حكم العثمانيين في البلقان الذي استمر على مدى أربعة قرون. وبحلول عام 1878م كانت القوات العثمانية قد انهارت تماماً أمام القوات الروسية، ويجب أن نذكر هنا أن 15 ألفاً من الخيالة الشركس قد اشتركوا في الحرب النظامية في جبهة البلقان⁽¹⁾. كما يجدر بنا أن نذكر بأن ألفين من المقاتلين الشركس قد دافعوا عن مدينة بلفنه عندما حاصرتها القوات الروسية والرومانية وذلك بقيادة غازي عثمان باشا وميرزا باشا، كما اشتركت قوات مصرية في الحرب تحت قيادة ضباط من الشركس إلى جانب القوات العثمانية، هذا بالإضافة إلى فرق الباش بوزاق التي شكّل المتطوعون الشركس أحد عناصرها. وقد استغل البلغار هجوم الروس فقاموا بالتعاون معهم بأعمال قتل جماعية ضد المسلمين عامة كما قام الصرب بنفس الشيء حيث أخذوا يقتلون كل من هو مسلم في المنطقة التي أصبحت خاضعة لهم (منطقة نيش) وقد بلغ مجموع ضحايا المسلمين في البلقان ما بين عامي 1877 . 1878 نحو 200 إلى 300 ألف حسب التقديرات البريطانية⁽²⁾، وقد ذكر أحد البريطانيين واصفاً المعاملة التي لقيها المدنيون المسلمون على أيدي الروس والبلغار والصرب من قتل ودمار بأنها لم تحصل في أوروبا منذ عهد البرابرة الذين

(1) هنا يجب أن نلاحظ أن هذا العدد من الفرسان الشراكسة فقط. وهناك أعداد أخرى من مختلف الاختصاصات العسكرية وعلينا أن نتذكر أن الدولة العثمانية قد جتدت في المراحل الأولى من استقرار الشركس في الدولة العثمانية /30 ألفاً ثم /19 ألفاً / من منطقة طرابزون وحدها، من المقاتلين الشراكسة..

(2) منهم عدد كبير من الشهداء الشراكسة لأنهم كانوا في مقدمة المقاتلين دوماً.

سادوا أوروبا في العصور القديمة⁽¹⁾. وقد حصلت كل من بلغاريا وصربيا على الاستقلال من الدولة العثمانية وطُردَ مليون ونصف مسلم من البلقان إلى مناطق أخرى من الدولة العثمانية منهم 150 ألف شركسي حسب ما تذكره المصادر العثمانية⁽²⁾، ومن الملاحظ أن أشد المناطق التي ارتكبت فيها أعمال القتل والدمار كانت منطقة نيش في صربيا ووادي تونجا في بلغاريا. بقي عدد آخر من الشركس في البلقان في مناطق مختلفة لم يغادروها في تلك الفترة بسبب استمرار خضوعها للحكم العثماني، لكن حصلت هجرات أخرى منذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا للمسلمين كافة ومنهم الشركس أيضاً، ونورد هنا الهجرات المختلفة التي حصلت من البلقان للمسلمين بعد التهجير الكبير عام /1877+1878م/ حتى الآن: هاجر من بلغاريا ما بين عامي 1893 - 1902م نحو / 172 ألف / مسلم توجه معظمهم إلى تركيا، وبين عامي / 1908 - 1913م/ قامت بلغاريا باحتلال ساحل البحر الأسود منطقة بوجرس حيث كان يعيش عدد من الشركس، وقد تم تهجير عدد كبير من المسلمين آنذاك. موجة أخرى للتهجير خضع لها المسلمون عام /1924م/ ما بين عامي 1949 / . 1951 م / حيث طُردَ / 152 ألف / تركي إلى تركيا، ومن الجدير بالذكر أن بلغاريا وبعد عام /1921م/ أخذت تطلق اسم تركي على كل من هو مسلم بغض النظر عن أصله العرقي، وكذلك فإن الإحصائيات السكانية في بلغاريا التي سبقت عام 1949م/ ذكرت الشركس تحت اسم القفقاسيين. وكانت الهجرة الأخيرة للمسلمين من بلغاريا عام / 1985 /

(1) كان البلغار وغيرهم من شعوب البلقان الثائرة على الدولة العثمانية يهدمون القرى الشركسية ويزيلونها عن وجه الأرض بعد أن يسرقوا كل موجوداتها، كما فعل الصهاينة بعد قرن في الجولان العربي السوري للقرى الشركسية والعربية على حد سواء...

(2) ومنه نستنتج أن أكثر من / 200000 / من المهجرين الشركس قد قضوا في تلك المنطقة من البلقان خلال / 17 / سنة من توطينهم هناك من قبل الدولة العثمانية. ولم ينجوا منهم سوى / 15000 / شركسي.

حيث تم طرد /350 ألف / شخص إلى تركيا منهم أعداداً كبيرة كانوا من أصل شركسي. وبالنسبة لليونان فإن حوالي /370 / ألف مسلم قد تم ترحيلهم إلى تركيا من المناطق الشمالية لليونان حول لاريسا وسيريس وسالونيك والتي هي من المناطق التي سكنها الشركس منذ بدايات عام 1864م. / أما فيما يخص يوغوسلافيا فإن مملكة الصرب التي استقلت عن الدولة العثمانية عام /1878 م/ قد رحلت بقية المسلمين من شمال مقدونيا حول نيش وهي مناطق سبق وأن سكنها الشركس وقد هاجر عدد كبير من الشركس من إقليم كوسوفو بعد أن احتلته الإمبراطورية النمساوية عام /1913م./ قدر أحد المؤرخين النمساويين عدد الشركس في إقليم كوسوفو والبوسنة والهرسك في ذلك الحين بنحو /300 ألف / شخص. ما بين عامي /1955 - 1960م/ غادر آلاف الشركس الذين بقوا في إقليم كوسوفو إلى تركيا، كما كان من المتوقع أن يغادر العدد القليل من الشركس الذين يعيشون في عدة قرى حول مدينة بريشتين إلى القفقاس لدى اندلاع الحرب في الإقليم.

و] /30 إلى 60 ألفاً شركسي / سكنوا منطقة كوسوفو، موزعين على خمسين قرية. وبعد مرور /134 / عاماً بقي منهم /200 / شركسي يعيشون في ثلاث قرى في كوسوفو وهي: - دون ستانوفيتسا، ميلوشيفا، وليبار - وهم متعلمون وحرفيون يحملون شهادات عالية منهم الأطباء والمهندسون والمدرسون وبينهم من يعملون في أراضيهم كمزارعين نشطاء ومستوى معيشتهم مرتفع وهم مهرة في صناعة الطواحين التي تدار بالماء ويسمي الصرب هذه المطاحن مطاحن القفقاس وتشاء الأقدار إلى أن يصل مآسي ما يحدث في يوغوسلافيا السابقة إلى بقايا الشركسة في كوسوفو حيث يتقدمون بطلبهم للعودة إلى وطنهم الأم جمهورية الأديغية الشركسية في روسيا الاتحادية، مما يستدعي سلسلة من الإجراءات القانونية والاقتصادية والتحضير لعودة من بقي حياً من أحفاد المهجرين قبل مئة وأربعة وثلاثين عاماً، ويطول الانتظار والأخذ والرد مع المسؤولين في روسيا الاتحادية ويوغوسلافيا سنوات طويلة، إلى أن يتم الاقتناع بتجنبهم لمضيعة الوقت لو اعتمد المسؤولون على مذكرة الرئيس الروسي يلتسين

التي وجهها إلى شعوب القفقاس عام /1994م / بمناسبة مرور /130 / سنة على انتهاء الحرب (القفقاسية)⁽¹⁾ فقد جاء في تلك المذكرة أن القضايا الناتجة عن حرب القفقاس بما فيها قضية عودة أحفاد الشراكسة المهجّرين ليست مهمة دولة واحدة بل هي مهمة كل الدول التي لها علاقة بالموضوع، ويظل الأمر سنين دون جدوى حتى يرسل رئيس جمهورية الأديغه (الشركسية)⁽²⁾ رسالة إلى الرئيس الروسي يلتسين في 6 حزيران 1998م/.. وبعدها يتم إعادة شراكسة كوسوفو إلى وطنهم الأصلي بعد غياب /134 سنة /..وهذه المبادرة الأولى بشأن إعادة الشتات الشركسي إلى وطنهم الأم.

(1) هذه الكلمة مستعملة من قبل الروس للإيحاء بأن القفقاسيين هم الذين حاربوا بعضهم والصحيح هو الحرب الروسية القفقاسية.
(2) أصلان جاريم، رئيس جمهورية الأديغيه السابق.

المبحث العاشر

تهجيرات لاحقة للتهجيرين الكبيرين

مسألة التهجير إلى تركيا كانت ملحة في عام /1894م/ بالنسبة للروس، وكان المطلوب إعطاء أراضي المهجرين - الشركسة - فوراً إلى الخزينة الروسية كي يفقد المهجرون الأمل في العودة). في نهاية القرن التاسع عشر كانت أحوال - القبرطاي والبلقار - سيئة جداً، وكانت حركة (تخليصهم⁽¹⁾) من الأراضي قد اشتدت بحيث أصبح السكان يشكون من قلة الأراضي المتوفرة أو عدم وجودها إطلاقاً، في عام/1889م/ تقدمت /112/ عائلة بطلب الهجرة إلى تركيا نظراً لضيق أحوالها وعدم امتلاكهم لأية أراضي، يجب أن نعلم هنا أنه منذ أوائل الستينات تم نزع ملكية 60% من الأراضي من أصحابها الأصليين في قبرديا ومصادرتها. وبدأ الروس يثيرون الإشاعات أن من لا يهاجر طوعاً إلى تركيا سيهجر بالقوة إلى داخل روسيا، كما استخدموا في أغراضهم التحريضية وباء الكوليرا الذي كان ينتشر في منطقة نهر - تيريك - بأن المرض هو عقاب إلهي لعدم الهجرة إلى تركيا الإسلامية. خلال أعوام /1900م - 1902م/ هاجر من منطقة - نالتشيك - إلى تركيا /2091/ شخصاً من القبرطاي، و/781/ شخصاً من البلقار، ثم هجرة /510/ شخصاً من القبرطاي، كما حصل تهجير جماعي ثالث للقبرطاي في عام /1905م/، إذ سمحت الحكومة بتوزيع أراضي المهاجرين على الجنود المسرحين والمستوطنين الروس. في عام /1902م/ حصلت هجرة جماعية من القرشاي إلى تركيا، حيث طلبت /372/ عائلة بمجموع /4559/ شخصاً

(1) انتزاع الأرض الشركسية منهم.

السفر وعللوا سبب طلبهم بالشروط السيئة التي أصبحوا يعيشون فيها والأراضي صغيرة المساحة التي بقيت لهم التي لا تكفي لإعالتهم، وفعلاً غادرت /300/ عائلة منهم في كانون الأول /1905م/ يخبرنا المعاصرون لهذه الهجرات كيف أن القبرطاي والبلقار وغيرهم كانوا يهاجرون إلى تركيا رغماً عنهم، كان المهاجرون يودعون وطنهم وعيونهم تفيض بالدموع..⁽¹⁾ وفي هذه المرة تستخدم القطارات للمرة الأولى في تهجير الشراكسة من بلادهم الأزلية..

وبمناسبة ذكر التهجيريات اللاحقة للتهجير الكبير وذكر القطار أرى من المفيد أن أقتبس من شاهد عيان روسي بعد الإحتلال بربع قرن الذي كتب ما يلي: [..حالمًا توقف القطار في المحطة قفزت من باب المقطورة إلى الرصيف.. انتبعت عفويًا إلى مجموعة من الناس لم تشترك في التزاحم العام، مع أننا إذا دققنا فيما يوجد بأيديهم وقريباً منهم من أمتعة، تبين لنا أنهم مسافرون بهذا القطار، إنهم شراكسة من القبرطاي (القبردي). فقد كان بينهم أطفال ونساء يرتدين الزي القومي المعروف ووجوههنّ محجبة. وكان الرجال يلبسون الزي القومي الشركسي مع أسلحتهم. ولكن من بين كل هذه المجموعة ظهر الشيوخ أكثر من غيرهم، وكان عددهم أكثر من عشرة وكان هؤلاء ممثلين - بجدارة - للقبيلة بكاملها. فهم طوال ممشوقو القامة بغض النظر عن أعمارهم، وبزيهم القفقاسي الفني، وبلحاهم الشائبة الطويلة، ووجوههم الذكية المعبرة. إنهم أثروا في تأثيراً كبيراً عميقاً، وبعثوا في احتراماً لا إرادياً نحوهم. إن وجوههم طفحت بالنبل والطيبة وبوعيتهم بجدارتهم بالحياة، وكان واضحاً أن هؤلاء الناس يمتلكون الدفاع عن جدارتهم، وفي الوقت نفسه يستطيعون أن يحترموا غيرهم، وفي هذا أيضاً توجد الجدارة وفي هذه المجموعة ظهر الفتيان شيوخاً، وكان هذا إشارة حيّة أن يكون الشركسي القبرطائي لم

(1) علي حسن قاسوم - إبادة الشراكسة - ترجمة الدكتور - عمر شابسيغ - ص/132+133.

يخضع لا للسلطة الروسية ولا لسلطة أميره بل كان قانونه الوحيد مفاهيمه الخاصة عن الحق والباطل. لقد وقفت هذه المجموعة من الشراكسة دون حراك تماماً كما لو أنها تحجرت، وكانت وجوههم حزينة، وعيونهم متقدة، وشفاههم مطبقة بحزم، ويبدو أن بلاءً عاماً كان يثقل كاهل هذه المجموعة، ولكنهم تمالكوا أنفسهم، ولم يرغبوا أن يظهروا آلامهم أمام الروس الكفار الذين سلطوا عليهم نظرات شزراء غير ودّية. لقد اهتمت جداً بهذا المسرح، فقد وقفت غير بعيد عن مجموعة الشراكسة هذه وأخذت أتطلع إليهم، وبعد مضي بعض الوقت اقترب مراقب القطار وصرخ: أيها "التتار" اذهبوا لشغل أماكنكم في تلك المقطورة. بعد ذلك حدث شيء لا يمكن وصفه، فقد بدأ الأطفال والنساء يصرخون ويضم بعضهم بعضاً، وبكى الرجال الكبار والمسنون، ورموا بأنفسهم على الأرض وصاروا يقبلونها ويروونها بدموعهم، وقد استمر المنظر الفظيع دقيقتين ثم صعدت هذه المجموعة بكاملها بسرعة إلى المقطورة المشار إليها وغابت فيها. ومن تلك المقطورة كان يسمع بكاء مكتوم أصم. لقد أثار هذا المنظر في شعوراً عنيفاً لا يوصف. ودون أن أفهم معناه كنت متأثراً في الوقت نفسه، حتى دمعت عيناى بالتعبير العاصف عن الألم لمجموعة كاملة من الناس، وقد وقفت أنظر تائهاً إلى الجهات المختلفة كأنني أبحث عن إنسان يستطيع أن يشرح لي ماذا يعني هذا كله. وقد لاحظت فلاح واقف غير بعيد عدم فهمي فقال بكسل: (إن هؤلاء.. مهاجرون إلى تركيا، وهم يسافرون ويتعدون عن أرضهم، ولهذا فهم يودعون وطنهم الأم. ولقد أصبح كل شيء واضحاً لي.⁽¹⁾ وهكذا تبين إحدى البكائيات (الغبزة) الشعبية الأديغة " التي نظمها المهجرون الشراكسة إلى تركيا، في هذه الدفعة الجديدة " زمن استخدام القطارات الروسية في تهجير الشراكسة، تقول المرثية:

(1) يا. أبراموف - ترجمة الدكتور راتب سطاتس والدكتور زاهد سطاتس - ص/18-19.

تحرك الغربان السوداء أجنحتها
وأنزوروف الدنى يسيّر الأمور
لن نرى الوطن ثانية
دسّوا علينا جوازات السفر بخديعة
قهرونا ويمنع علينا النقاش
يطردوننا، يطردوننا من وطننا
يتحرك القطار دون تأخير
ويصفر القطار بنحيب طويل
لا تنسينا يا أرضنا الغالية
حركت الرياح شالي
سنرى بعضنا يوماً ما يا إخوتي
إنهم يطردوننا، يطردوننا من وطننا
يبكي ويصرخ عازفين في مكان ما
قائلين لن نعود إلى أرض الوطن أبداً
لقد فرقوا وقطعوا بيننا وبين أرض الوطن
نودّع الأقارب ونقتل القلوب
القنصل التركي مستعجل
إنهم يطردوننا إلى البعيد البعيد ❖

[في عام /1882م/ كان إجمالي عدد المسلمين (الشراكسة) المتبقين
في منطقة الكوبان هو: /103600/ بينهم / 61231 / أدبغه كما يلي:
/16771/ بجدوغ - /15440/ قبرطاي - /13961/ أبزاخ - /6551/ بسلي -
/5127/ تيمير غوي - /3381/ شابسيغ. كان هؤلاء المواطنين الشراكسة
يعيشون في أحوال اجتماعية سيئة وتحت اضطهاد عنصري شديد، وكانت
قلة الأراضي أو عدم وجودها سبباً في شقائهم وكان فوق ذلك عليهم دفع

الضرائب للحكومة. وبذلك كانت الحكومة الروسية تضغط عليهم ما إستطاعت وتحرمهم من كل وسائل المعيشة.⁽¹⁾

[.قرر الإمبراطور الروسي في عام /1888م/ ترحيل /580/ عائلة أديغه من قرية (حاجيموق) إلى تركيا].⁽²⁾

[.تم ترحيل من منطقة الكوبان الأعداد التالية إلى تركيا:

بين عامي (1871 - 1884م) /3598/ شخصاً

في عام /1888م/ /3421/ شخصاً

في عام /1890م/ /9153/ شخصاً

في عام /1895م/ /3999/ شخصاً

بما مجموعه /20161/ شخصاً، واستمر الترحيل في السنوات اللاحقة ولكن على مستوى عائلات متفرقة، وكانت السلطات القيصرية تبرر أعمالها ضد الأديغه (الشراكسة) بأنهم شعب غير مثقف⁽³⁾ وأنهم لا يقبلون الترويس - أي أن يصبحوا روساً - .

وصلت حركة التهجير إلى شراكسة منطقة - تيرك / مرة ثانية / - ، ففي شهر آذار من عام /1895م/ تم ترحيل /2108/ عائلة عدد أفرادها /16708/ شخصاً. كتبت جريدة - شمال القفقاس - في عام /1899م/ تقول: (إن ؟ = - تهجيرات لاحقة من البلقان بعد التهجير الكبير عام /1877+1878م/ حتى الآن:

و نورد هنا الهجرات المختلفة التي حصلت من البلقان (التي استقلت عن الدولة العثمانية)، وكانت تلك التهجيرات من قبل دول البلقان التي

(1) علي حسن قاسوم - إبادة الشراكسة - ترجمة الدكتور - عمر شابسيغ - ص /129/

(2) علي حسن قاسوم - إبادة الشراكسة - ترجمة الدكتور - عمر شابسيغ - ص /130/

(3) ملاحظة المترجم: وهل يطرد شعب من أرضه لأنه غير مثقف ؟!

استقلت من الدولة العثمانية، تصحيحاً ديمغرافياً من وجهة نظر دول البلقان، وانتقاماً من الأتراك).

للمسلمين بعد التهجير الكبير عام /1877+1878م/ حتى الآن: (هجّر) من بلغاريا ما بين عامي / 1893 . 1902م/ نحو / 172 ألف/ مسلم توجه معظمهم إلى تركيا، وبين عامي / 1908 . 1913م/ قامت بلغاريا باحتلال ساحل البحر الأسود منطقة بوجرس حيث كان يعيش عدد من الشركس، وقد تم تهجير عدد كبير من المسلمين آنذاك.

موجة أخرى للتهجير خضع لها المسلمون عام 1924/ ما بين عامي /1949م – 1951م/ حيث طُردَ /152 ألف/ تركي⁽¹⁾ إلى تركيا، ومن الجدير بالذكر أن بلغاريا وبعد عام 1921 أخذت تطلق اسم تركي على كل من هو مسلم بغض النظر عن أصله العرقي، وكذلك فإن الإحصائيات السكانية في بلغاريا التي سبقت عام 1949م ذكرت الشركس تحت اسم القفقاسيين. وكانت الهجرة الأخيرة للمسلمين من بلغاريا عام 1985 حيث تم طرد 350 ألف شخص إلى تركيا منهم أعداد كبيرة كانوا من أصل شركسي. وبالنسبة لليونان فإن حوالي 370 ألف مسلم قد تم ترحيلهم إلى تركيا من المناطق الشمالية لليونان حول لاريسا وسيريس وسالونيك والتي هي من المناطق التي سكنها الشركس منذ بدايات عام 1864م. أما فيما يخص يوغوسلافيا فإن مملكة الصرب التي استقلت عن الدولة العثمانية عام 1878م قد رحلت بقية المسلمين من شمال مقدونيا حول نيش وهي مناطق سبق وأن سكنها الشركس وقد هاجر عدد كبير من الشركس من إقليم كوسوفو بعد أن احتلته الإمبراطورية النمساوية عام 1913م. قدّر أحد المؤرخين النمساويين عدد الشركس في إقليم كوسوفو والبوسنة والهرسك في ذلك الحين بنحو 300 ألف شخص.

(1) هنا لا يعني كلمة - تركي - أنه تركي قومياً، وقد يكون من أية قومية هجرتهم الدولة العثمانية إلى البلقان شركسياً كان أو تتارياً، أو...

ما بين عامي 1955 - 1960م/ غادر آلاف الشركس الذين بقوا في إقليم كوسوفو إلى تركيا، كما كان من المتوقع أن يغادر العدد القليل من الشركس الذين يعيشون في عدة قرى حول مدينة بريشتين إلى القفقاس لدى اندلاع الحرب في الإقليم [30/ إلى 60 ألفاً شركسي / سكنوا منطقة كوسوفو، موزعين على خمسين قرية. وبعد مرور 134 عاماً بقي منهم 200 شركسي يعيشون في ثلاث قرى في كوسوفو وهي: دون ستانوفيتسا، ميلوشيفا، وليبار وهم متعلمون وحرفيون يحملون شهادات عالية منهم الأطباء والمهندسون والمدرسون وبينهم من يعملون في أراضيهم كمزارعين نشطاء ومستوى معيشتهم مرتفع وهم مهرة في صناعة الطواحين التي تدار بالماء ويسمي الصرب هذه المطاحن مطاحن القفقاس وتشاء الأقدار إلى أن يصل مآسي ما يحدث في يوغوسلافيا السابقة إلى بقايا الشركاسة في كوسوفو حيث يتقدمون بطلبهم للعودة إلى وطنهم الأم جمهورية الأديغيه مما يستدعي سلسلة من الإجراءات القانونية والاقتصادية والتحضير لعودة من بقي حياً من أحفاد المهجرين قبل مئة وأربعة وثلاثين عاماً ويطول الانتظار والأخذ والرد مع المسؤولين في روسيا الاتحادية ويوغوسلافيا سنوات طويلة إلى أن يتم الاقتناع بتجنبهم لمضية الوقت لو اعتمد المسؤولون على مذكرة الرئيس الروسي يلتسين التي وجهها إلى شعوب القفقاس عام 1994 بمناسبة مرور 130 سنة على انتهاء الحرب (القفقاسية)⁽¹⁾ فقد جاء في تلك المذكرة أن القضايا الناتجة عن حرب القفقاس بما فيها قضية عودة أحفاد الشركاسة المهجرين ليست مهمة دولة واحدة بل هي مهمة كل الدول التي لها علاقة بالموضوع ويظل الأمر سنين دون جدوى حتى يرسل رئيس جمهورية الأديغيه (الشركسية)⁽²⁾ رسالة إلى الرئيس الروسي يلتسين في 6 حزيران 1998م./

(1) هذه الكلمة مستعملة من قبل الروس للإيحاء بأن القفقاسيين هم الذين حاربوا بعضهم والصحيح هو الحرب الروسية القفقاسية.

(2) أصلان جاريم، رئيس جمهورية الأديغيه السابق.

جاء فيها ما يلي: أيها المحترم باريس يلتسين: إنني أرجوكم أن تصدروا تعليماتكم لمن يلزم لإعادة الشراكسة على جناح السرعة، ونتوجه إليكم بهذا الطلب استناداً إلى أن (الجبليين) الذين عاشوا في القفقاس وشردوا نتيجة الحرب (القفقاسية) هم أصحاب حق في العودة إلى وطنهم، كما أن جميع الشراكسة وجمعياتهم في كل العالم مهتمون بالموضوع منذ سنوات وسوف تبرهن إعادتهم للعالم أنكم تراعون حقوق الإنسان في روسيا، كذلك فإن البلاد التي تعيش فيها الشراكسة والشراكسة في الخارج، سيرون في مثل هذا العمل موقفاً عادلاً وقراراً صائباً...

ظل الأمر معلقاً حتى صدر قرار الحكومة الروسية رقم /600/ تاريخ 1998/8/3م بتوقيع رئيس الوزراء كرينكو وهذا نصه:

(حتى تتم إعادة أديغة (شراكسة) كوسوفو بالسرعة الممكنة فقد أصدرت الحكومة الروسية هذا القرار: أولاً: على الوزارات والدوائر ذات العلاقة أن تعمل معاً وتتعاون على إعادة شراكسة كوسوفو (يوغوسلافيا) لتعويض العائدين عن أملاكهم غير المنقولة وما يتركونه هناك.

ثانياً: على وزارتي الطوارئ والدفاع المدني أن تتعاون في نقل أملاك هؤلاء من كوسوفو إلى الأديغية.

ثالثاً على دائرة الهجرة أن تبين حقوق هؤلاء العائدين حسب القوانين الروسية.

رابعاً: على وزير الداخلية أن ينظم سجلاً بأسماء العائدين حسب القوانين الفدرالية.

خامساً: على مديريةية الجمارك وضباط الحدود أن يسجلوا أمتعة العائدين في مدينة مايكوب. وأن تطبق بحقهم المادة /808/ من التعليمات الصادرة عن الحكومة الفدرالية بتاريخ 16 حزيران 1996م. أن تعتبر هذه الأمتعة غير تجارية.

سادساً: على وزارة المالية أن تدفع ما تنفقه حكومة الأديغية لإعادة شراكسة كوسوفو من موازنتها لسنوات 1998 - 2000م وأن يتم الدفع سنة 1999م.

سافر الرئيس أصلان جارمه إلى موسكو ليشترك في الاجتماع الفدرالي الروسي، واتصل بوزير الخارجية الروسي السيد بريماكوف: يا سيد بريماكوف، أشكرك على موقفك المؤيد لإعادة شراكسة كوسوفو. وأشارك الفرحة بصدور القرار بمبادرة من وزارتكم، وإن جمهوريتنا لتأمل من شخصكم الكريم أن تسرع وزارتكم في تنفيذ ذلك القرار. أجاب الوزير: شكراً يا سيد أصلان، إننا نعتبر الشراكسة أينما كانوا مواطنين روس، ولأجل ذلك نهتم بالموضوع، وقد بادرننا إلى استصدار القرار لكي ننفذه. وسننهي الموضوع كما بدأناه بجدية، وعليكم أنتم أن تقوموا بما يلزم من جانبكم إلى اللقاء.

وكان رد الحكومة اليوغسلافية رقم /4846/ 1998م والتي جاء فيها:

إن وزارة الخارجية مستعدة حسب إمكانياتها لأن تتعاون مع السفارة الروسية لحل هذا القضية، وإن الوزارة إذ تبدي هذا التعاون، فهي تعبر عن الاحترام الذي تكنه الحكومة اليوغسلافية للحكومة الروسية. بلغراد 23 حزيران 1998م.

وبالنتيجة: هبطت الطائرة التي تقل /200/ عائد شركسي في مطار ميني فود، وفي الساعة الحادية والعشرين من يوم الأول من آب خطأ هؤلاء خطاهم الأولى على أرض وطنهم الأزلي الأديغي وذلك بعد مضي 134 سنة خطوا الخطوات الأولى على الأرض الشركسية التي رواها أجدادهم بدمائهم النقية وبعرق جباههم⁽¹⁾. وبالنسبة لإقليم دوبرجا الذي أصبح واقعاً ضمن دولة رومانيا بعد عام 1878م. فقد غادره معظم الشركس والتتار إلى تركيا في ذلك الحين⁽²⁾.

(1) من مقالة لعدينان قبرطاي في مجلة ألبروز التي تصدرها الجمعية الخيرية الشركسية في دمشق.

(2) عن مجلة "الإخاء" النشرة الدورية الثقافية التي تصدرها اللجنة الثقافية في الجمعية الخيرية الشركسية، فرع وادي السير، العدد: 107، السنة 23، أيلول 1998م.

[.. بلغ عدد المهاجرين (المهجرّين) من البلقان إلى الجزء الآسيوي من الإمبراطورية العثمانية أثناء الحرب الروسية - العثمانية عام 1877 - 1878م/ رقماً أكبر من/ مليون وأربعمائة ألف /⁽¹⁾. كما أن إقامة دول مستقلة جديدة في البلقان بعد معاهدة برلين عام 1878م/، وتسليم بعض الأراضي العثمانية إلى هذه الدول أدى مرّة ثانية في العشرين سنة التالية إلى هجرة مليون نسمة عن وطنهم. ووزّع قسم كبير من هؤلاء الأجنبيّين في أجزاء مختلفة من الأناضول ووطن الباقون في سورية وفلسطين (والأردن). فكان هناك إذاً حركتان من حركات الهجرة إلى سورية في الإمبراطورية العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر: إحداهما من البلقان والثانية من الجزائر. وجزء من الذين غادروا البلقان يتألف من المسلمين الشركسة الذين كانوا قد هاجروا من شمال غرب القفقاس إلى بلغاريا ورومانيا⁽²⁾، أما الباقون فكانوا من المسلمين الأتراك من سكان ترافيا..

لقد اتخذت (الهجرات) التي جرت أثناء حرب 1877/1878م/ أهمية عالمية. إذ تحمل المهاجرون مصاعب خطيرة وعانوا من مذابح واسعة النطاق وغدت إقامتهم المؤقتة أو الدائمة مشكلة لم يسبق لها مثيل، وكانت السفارات الأجنبية في مختلف أقاليم الإمبراطورية العثمانية وفي استنبول. تلاحظ ذلك عن كثب، وتجمع المعلومات، وترسل تقارير متوالية إلى بلادها عن وصول جماعات اللاجئين، وعن توطيّنهم، وردود فعل سكان المناطق التي يجري فيها التوطيّن، وأقيمت جمعيات في الخارج لإغاثة اللاجئين. وكانت هذه الإعانات تسلم أحياناً إلى اللاجئين بوسائط هذه التجمعات، وأحياناً أخرى عن طريق السفارات المنتشرة في الإمبراطورية، وكان يعطي جزء من هذه الإعانات نقداً⁽³⁾ وبعضها تمويّن

(1) استانفوردج، شو، تاريخ الإمبراطورية العثمانية والتركي الحديثة، مطبعة جامعة كامبردج، 1888 - ج2 - ص - /116/.

(2) مارك بنسون، السياسة الروسية وهجرات تتر القرم إلى الإمبراطورية العثمانية 1854 - 1862م/، جونيه - دوغوافروبا أراستيرمالارى ديرجيسي، 37 - 56 - 2..

(3) بلال سمسير روملي دن ترك جوكليري (هجرة الأتراك من تريس) أنقرة /1968م/ ص - /385، 421/.

كالحبوب⁽¹⁾ والألبسة الداخلية المستعملة⁽²⁾. ومن هذه التقارير التي تصف المصاعب والمآسي التي حصلت للشراكسة إثر الحرب البلقانية بمساعدة الروس ضد العثمانيين أورد الأمثلة التالية:

1 - (من السيد فاوست - القنصل العام البريطاني إلى السيد - لايارد السفير البريطاني في استانبول. - استانبول /28 كانون الثاني 1878م/ إن مخبرنا في باندرما أعلمني عن وصول حوالي /4000/ لاجئ شرڪسي من الروملي إلى تلك البلدة وهم من الرجال والنساء والأطفال. كما أنهم في حالة من البؤس الشديد ، والحكومة عاجزة على توطيئهم في - بالي قيسارية - في الداخل ولكن بسبب رداءة الطقس وللنقص في وسائل المواصلات اضطرت الحكومة إلى إيوائهم مؤقتاً في المساجد والمدارس والمخازن العسكرية والمسكن الخاصة في بلدة - باندرما - ... ويقول المخبر بأن سكان البلدة يمرون في محنة شديدة وهم خائفون على ممتلكاتهم وحياتهم وذلك بانتظار الإجراءات الملائمة من الحكومة لحمايتهم...

2 - (من اللورد - ألو فتوس - السفير البريطاني في سانت بطرسبرج إلى إيرل ديربي - وزير الخارجية البريطاني. برقية - سانت بطرسبرج /4 شباط 1878م/ لقد أبرق الدوق الأكبر - نيكولاس - بتاريخ /29 كانون الثاني / من من أدريا نوبل - بأن الجنرال - ستروكوف - قام بالتقدم من قولي بورغاز حيث قابل حوالي /180 ألف / - /200 ألف / عربية لائذة بالفرار. ولكن القسم الأكبر منها عاد أدراجه أما الباقي فقد ذهب إلى - رودستو -. ولقد أسر الجنرال عدداً من -الباشبوزوقات - والشراكسة والجنود النظاميين وبكامل معداتهم.

3 - من السيد ميخائيلو بولو - العميل البريطاني في - باندرم - إلى السيد - فاوسيت - القنصل البريطاني العام في استانبول باندرما /8 شباط 1878م

(1) المرجع نفسه - ص /438/.

(2) المرجع نفسه - ص /488/.

سيدي: لقد تم إرسال /57/ جندياً إلى - أرتاكي - لحفظ النظام في هذه الناحية المليئة بالشراكسة وللاجئين آخرين... ولم يتبق هنا جيا، حيث قام الشراكسة بسرقتها، وإذا وجد أي فرس مع أي مسيحي فإنها تؤخذ منه عنوة وبدون مقابل. إن الشراكسة يبيعون العديد من الأشياء الثمينة مثل الزينات الفضية التي أخذوها من الكنائس والبيوت البلغارية وكذلك الثياب والأقمشة المصنوعة في بلغاريا.... في البداية اعتقد الجميع أن الشراكسة الذين وصلوا إلى هنا كانوا معوزين ولكننا نستنتج مما نشاهده ونسمعه بأن غالبيتهم معهم مبالغ جيدة من المال بالإضافة للأشياء الثمينة والتي يقومون ببيعها باستمرار... لقد جلبوا معهم وباء الحمى القرمزية ويموت يومياً منهم 4- 5/ أشخاص وأحياناً أكثر، ويبدو أن هذا الوباء سينتشر بين الفلاحين سيئي الحظ...

4 - م السيد إلدرج القنصل العام البريطاني في بيروت إلى السيد - لبارد - السفير البريطاني في القسطنطينية (استانبول) - بيروت /3 آذار 1878م/. سيدي... وبالرغم من أن اللاجئين الذين يصلون إلى سورية هم على الإجمال من الشراكسة فإن قسماً كبيراً منهم هم من المسلمين الذين كانوا يقطنون القسم الأوربي من تركيا حيث تركوا مساكنهم بعد أن أجبروا على ذلك بسبب مشاكل الحرب...

5 - من السير - أ لبارد السفير البريطاني في القسطنطينية (استانبول) إلى ماركيز سالزبوري وزير الخارجية - ثيرايا /20 حزيران 1879م/. لقد قابلني وفد من المسيحيين من - أدا بازار - البارحة وعرضوا علي وضع المقاطعة. وقالوا بأنهم يمثلون المسيحيين والمسلمين، وأطلعوني على وثيقة تخولهم السلطة لمقابلتي وهي موقعة من عدد كبير من الأرمن واليونانيين والأتراك. وقد شكوا بأن الباب العالي أرسل حوالي /40 ألف / شركسي إلى المقاطعة بحيث لم يعد هناك اطمئنان على الحياة والممتلكات وبأن الطرق أصبحت غير آمنة والتجارة معطلة. كما أن سكان - أدا بازار - أصبحوا يعيشون حالة من الحصار لخوفهم على حياتهم إذا غادروا البلدة. وقد أطلعوني على قائمة من حوادث القكسة. 9

وطالبوني بالتدخل أمام الباب العالي لتوفير الحماية اللازمة ضد هذه التجاوزات. وسألتهم إذا ما كانوا تقدموا بشكوى للحكومة التركية فأجابوا بأنهم فعلوا ذلك وطالبوا بإرسال عدد من الجنود إلى المنطقة وبتجريد الشراكسة المهاجرين من سلاحهم، ولقد وعدتهم بأن أبزل ما في وسعي. ولقد كلفت السير - سانديسون - لمناقشة الموضوع مع الباشا.../ غير مقروء/ الذي أجاب بأنه على اضطلاع تام بالموضوع وبأن الباب العالي مشغول بموضوع الإجراءات التي يجب اتخاذها لحماية السكان. وقال بأنه لم يفاجأ لسماعه لحوادث التجاوزات التي قام بها الشراكسة وهم الذين طردوا من أوربا بعد أن جردوا من كل ما يملكون وأرسلوا إلى آسيا بدون أن يكون معهم أي شيء يقيم أودهم. ذلك الوضع الذي أدى إلى - إما أن يموتوا جوعاً أو أن يقوموا بالسطو - وكان من الطبيعي أن يلجؤوا للخيار الثاني...الخ. توقيع - أ. لايارد..

6 - من ماركيز سالزبوري وزير الخارجية البريطاني في استانبول، وزارة الخارجية /10 تموز 1879م/ سيدي: لقد أطلعت جلالته الملكة على مضمون رسالتكم رقم: / 523 / والتي أرسلتموها الشهر الماضي، وإنني أود أن أطلعك على أن الخطوات التي اتخذتها للفت انتباه وزير الخارجية العثماني إلى الأوضاع غير المرضية في مقاطعة أدا بازار - والنتيجة عن تواجد أعداد كبيرة من المهاجرين الشراكسة هناك هذه الخطوات لاقت موافقة حكومة جلالته...الخ. توقيع - سالزبوري.

المبحث الحادي عشر

الوثائق المنشورة المتعلقة بإعادة تهجير الشراكسة ضمن الدولة العثمانية

لم ينشر من الوثائق المتعلقة بالهجرات التي حدثت ضمن الإمبراطورية العثمانية عام 1877/1878م/ سوى عدد ضئيل من المحفوظات البريطانية والفرنسية والتركية، أخرجها معهد دراسة الثقافة التركية في مجلدين قبل عشر سنين⁽¹⁾. وتعود أربعة عشرة /14/ وثيقة فقط من بين مجموع الوثائق التي نشرت والتي بلغ عددها تسعمائة وثيقة، إلى الهجرات التي توجّهت إلى سورية، كتب أربعاً منها السيد - جاكسون الدرديج - القنصل البريطاني العام في بيروت. ويعود تاريخ الأولى إلى الثامن والعشرين من شباط / فبراير 1878م. واقتبس اللورد ديربي سكرتير الخارديية البريطانية في برقية له في 25/ شباط / فبراير 1878م/ بعض التقارير الصحفية التي تذكر بأن مسيحيي هذه المنطقة قد أصيبوا بالذعر وأن حياتهم أصبحت في خطر لدى وصول اللاجئين الشركس إلى سورية، ويتساءل في برقيته عما إذا كان لهذه التقارير أي أساس من الواقع. وردّ القنصل البريطاني العام في بيروت على هذه البرقية بقوله أن حوالي 1000/ ألف لاجئ شركسي مسلم ممن سينقلون إلى دمشق قد وصلوا بيروت قبل أسبوع وأن وصولهم لم يحدث أية مشكلة في المدينة، بيد أن تأخر رحيلهم نجم عن تساقط الثلوج الغزيرة التي أغلقت الطريق إلى دمشق. وأضاف القنصل العام قائلاً: أن ألفاً وخمسمائة /1500/ لاجئ قد

(1) روملي دن ترك جوكليري -/1968ثانياً/1970.

وصلوا إلى عكا قبل أسبوع وسينقلون إلى مدينة نابلس. وتبعهم قبل بضعة أيام فريق آخر يتألف من مائتي /200/ لاجئ وصلوا إلى طرابلس على ظهر باخرة نمساوية⁽¹⁾.

ويشير السيد - ايلدرج - في رسالة له إلى السيد - لايارد - السفير البريطاني في استنبول مؤرخة في /31 آذار / مارس / 1878م / إلى وصول ألف وثلاثمائة /1300/ لاجئ شركسي إلى ميناء اللاذقية قادمين من سالونيك. ويقول أنه تلقى هذه المعلومات من نائب القنصل في اللاذقية السيد - فيتال - ويشير كذلك إلى أن اللاجئين قد وصفوا بأنهم شراكسة عموماً. وأنهم ينتمون بشكل رئيسي إلى الجزء الأوربي من تركيا حيث أجبروا على مغادرة وطنهم نتيجة للحرب. وتقول الرسالة أيضاً أنه لم يكن في الفريق الأول من اللاجئين الذين وصلوا إلى بيروت قبل ثلاثة أسابيع سوى أربع عشرة عائلة تستطيع تأمين متطلباتها اليومية أما الآخرون فقد كانوا في فقر مدقع⁽²⁾.

ويذكر السيد ايلدرج - في رسالته للورد - ديربي - المؤرخة في /31 آذار مارس / 1878م / والمرسلة من بيروت، أن خمسة آلاف لاجئ وصلوا إلى طرابلس، ويقول السيد - ايلدرج - في رسالته هذه أن أهل البلاد قد لاقوا هؤلاء اللاجئين لقاءً عدائياً غير متعاطف. فنشأت صعوبات كبيرة في تموين اللاجئين وإيوائهم ونقلهم إلى مناطق الإسكان التي أعدت لهم. وكان بنفس اليوم حوالي /1500/ ألف وخمسمائة لاجئ في اللاذقية. وفيما بضع عائلات ذهبت إلى إنطاكية⁽³⁾ فإنهم لم يرغبوا في الذهاب إلى منطقة الجبل، كما ذكرت الرسالة.

والوثيقة الرابعة هي تقرير آخر أرسله السيد - ايلدرج - إلى السيد - لايارد - مؤرخ في / 19 / تموز / يوليو / 1878م /. وطبقاً لهذه التقارير فإن

(1) المرجع نفسه - /351- 352/.

(2) المرجع نفسه - ص /457/.

(3) المرجع نفسه - ص /453/.

بعض اللاجئين الذين قدموا إلى طرابلس قد وجهوا إلى عكا. وزود عشرة آلاف منهم بستة آلاف كيلو غرام من الشعير وأرسلوا إلى حماة⁽¹⁾.

ومن بين الوثائق المنشورة تقرير أرسله السيد - جاجو - نائب القنصل البريطاني في دمشق إلى اللورد ديربي - ، وزير الخارجية⁽²⁾.

وفي هذا التقرير المؤرخ في /4 آذار مارس - 1878م/ معلومات تتعلّق بمناطق توطين اللاجئين القادمين من بلغاريا إلى سورية. وكما يقول التقرير فإن معظم اللاجئين قد وطّنوا في المناطق الشاسعة على الحدود الشرقية لولاية سورية ، ووطن بعضهم في وادي الأردن الأعلى حول القنيطرة وهورس⁵، وسكن في كل وحدة استيطانية من هذه الوحدات التي أقيمت قبل ستة سنوات /300 - 400/ ثلاثمائة إلى أربعمائة نسمة. وأسكن عدد من الذين وصلوا حديثاً في القنيطرة، وفي وادي الضمير شمال غربي دمشق، وقد نشبت نزاعات بين اللاجئين الأوائل وسكان القنيطرة وهورس المحليين، مما أسفر عن خسائر في الجانبين. ومن الأسباب الرئيسية للوفيات بين اللاجئين الأوبئة المتكررة، كما أسكن بعض اللاجئين الذين وصلوا حديثاً إلى دمشق في ساحات المساجد والمدارس الدينية وفرض الإداريون المحليون على الشعب ضريبة قدره / أربعة قروش/ على كل مواطن ذكر لإغاثة هؤلاء اللاجئين. وفي وثيقة مؤرّخة في /18 آذار مارس 1878م/ كتبها السيد واتكنز القنصل البريطاني العام في - لارنكا - (قبرص) وجهها إلى السيد - لايارد - السفير البريطاني في استنبول. وردت إشارة إلى بعض الكوارث الواسعة التي وقعت أثناء نقل اللاجئين إلى سورية⁽³⁾. فمثلاً كان على ظهر السفينة (أبو الهول) سفينكس التي ترفع العلم النمساوي ثلاثة آلاف لاجئ عندما غادرت ميناء كافالا شرقي تراقيا، متجهة نحو اللاذقية، وقد واجهتها عاصفة تجاه شبه جزيرة كارباس صبيحة الخامس من آذار مما اضطرها إلى تغيير

(1) المرجع نفسه - ص /543/.

(2) المرجع نفسه - ص/360 - 361/.

(3) المرجع نفسه - ص /387 - 390/.

وجهتها نحو - فاما غوستا - (قبرص) لتبقى هناك مؤقتاً حتى تهدأ العاصفة، ولكنه في ذلك اليوم بالذات قذفت موجة كبيرة أربعين لاجئاً من على ظهر السفينة إلى البحر ففرقوا جميعاً. كما شبَّ حريق ذلك المساء أدى إلى موت خمسمائة لاجئ آخر. أما الباكون فقد أنقذتهم سفينتان تصادف وجودهم في المنطقة المجاورة، أحدهما بريطانية والأخرى فرنسية، وقد روى هذا الحادث المأساوي قبطان سفينة اللاجئين المدعو ايفانكس في تقرير له⁽¹⁾. ويشير القنصل العام الفرنسي في سورية في رسالة وجهها من بيروت إلى السيد - وادينغتون - وزير الخارجية الفرنسية في السادس عشر من نيسان /إبريل عام 1878م/ إلى اللاجئين في تلك البلاد. ويقول في رسالته أن عدد اللاجئين الذين وصلوا إلى سورية في ذلك الحين قد بلغ خمسة وعشرين ألفاً /25000/ وكان يتوقع أن يرتفع العدد إلى مائة ألف /100000/ لاجئ⁽²⁾. وعلى أية حال فإن فرنسا وإيطاليا قد احتجتا، كما تذكر الرسالة، على إرسال الدولة العثمانية اللاجئين المسلمين إلى سورية⁽³⁾. ويبدو أن أعداداً من الشراكسة قد حاولوا العودة إلى أملاكهم وقراهم التي بنوها في البلقان لمدة ستة عشر عاماً بعد توطينهم هناك من قبل الدولة العثمانية بعد طردهم من بلادهم شركيسيا، ومما يؤكد ذلك ما جاء في وثيقة بريطانية مفادها ما يلي: (من السيد ماليت القائم بالأعمال البريطانية في القسطنطينية إلى ماركيز سالزبوري وزير الخارجية البريطانية - القسطنطينية (استانبول) /18 نيسان 1879م/ - سيدي، إشارة لرسالة سعادتكم رقم /1559/ تاريخ /11 أيلول، يشرفني أن أرسل لكم نسخة من مذكرة فخامة الباب العالي / العثماني / التي يقول فيها بأنه صدر تعميم لسلطات المقاطعات في القسم الآسيوي من تركيا يطلب منها منع عودة الشراكسة إلى مقاطعات القسم الأوربي من تركيا.. الخ..

(1) روملي دن ترك جوكليري - ص /389/.

(2) المرجع نفسه - ص /415/.

(3) المرجع نفسه - ص /363، 391/.

وتكشف دراسة بعض الوثائق في محفوظات رئاسة الوزراء في استانبول أنه برغم التدخل الأجنبي كله تم توطين اللاجئين المسلمين في بعض أجزاء سورية خلال الثلاثين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر، وكانت القنيطرة وما حولها إحدى المدن التي وقع عليها الاختيار لتكون مركز توطين مكثف. وفي بادئ الأمر، تم إسكان فريق من 300 - 400 / ثلاثمائة إلى أربعمائة لاجئ هنا في القنيطرة عام 1872م⁽¹⁾. ووطن فيما بين عامي 1876 - 1879م / جماعة أخرى في المدينة ذاتها وصلوا من القوقاز (قفقاسيا) وزود هؤلاء اللاجئين بالحبوب والثيران كمساعدة أولية⁽²⁾... كما كانت حماة وحمص ونابلس مناطق أخرى لتوطين اللاجئين (الشراكسة). وفي عام 1883م / وطن لاجئون قادمون من - روسك في بلغاريا في قرية قرب حماة سميت (الحميدية)⁽³⁾. ووزع اللاجئين في سورية عن طريق موانئ اللاذقية وطرابلس وبيروت وعكا⁽⁴⁾.

مما تقدم نرى أن كل هذه المشاكل والمآسي للشعوب كان بسبب السياسة العثمانية في التهجير والتوطين في أراضي شعوب أخرى تحتلها وتظن أنها باقية فيها إلى الأبد.

(1) روملي دن ترك جوكليري - ص 360 - 361/.

(2) باسباكانليك أرسيفي (مفوظات رئاسة الوزارة) أراى داهيلية رقم /61966/.

(3) باسباكانليك أرسيفي (مفوظات رئاسة الوزارة) أراى داهيلية - ص 1310 - 7/.

(4) بحث للدكتورة - أمل دوغراماشي - من (جامعة حاجي تبه - أنقرة) في المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام الذي عقد في جامعة دمشق - كلية الآداب - الجزء الثاني من عام 1516 - 1939م / - ترجمه عن الإنكليزية الدكتور - محمد منير صلاحى الأصبحي. ص 283 ÷ 290/.

الفصل الثالث

تهجير الشركاسة إلى سورية الطبيعية بشكل عام

المبحث الأول

البدائيات الأولى لإسكان الشركاسة في بلاد الشام

بدأ توطين الشركس والشيشان في ولاية سورية عام /1860م/، إذ تم إسكان /5000/ شيشاني⁽¹⁾ وداغستاني وشركسي⁽²⁾ في منطقة رأس العين والسفح وتل الرمان⁽³⁾ على نهر الخابور في سورية تلاهم فوج صغير من الشركس الذين طردوا في الستينات من القرن التاسع عشر، وسكنوا مرج الزيتون ومنبج وخصر في شمالي سورية ولاية حلب، وكان عددهم /2500/ نسمة من قبيلة الأبخاخ و/1500/ نسمة من قبيلة القبرطاي الشركسيين⁽⁴⁾. وفي عام /1871م/ وصل فوج من المهاجرين الشركس يبلغ عددهم /1553/ شخصاً وهم من قبيلة البجدوغ الشركسية⁽⁵⁾، وحلّوا

-
- (1) نورمان لويس البدو الرحّل والمستوطنون في سورية والأردن - 1800 - 1980م - الفصل السادس بعنوان (الشركس والشيشان في الأردن وسوريا) - ترجمة أحمد عبد الرزاق هاكوز. ص - /97/.
 - (2) محمد علي معاذ - الجراكسة في بلاد الشام، مجلة الواحة، العدد الصادر في تشرين الأول /1986م/ - ص /20/.
 - (3) المرجع نفسه - ص /20/.
 - (4) المرجع نفسه - ص /20/. سكن الشركاسة خصر فيما بعد التاريخ المذكور. (تعليق المؤلف)
 - (5) وثيقة رقم /4/445 آذار 1878م/ دمشق / سياسي من وثائق وزارة الخارجية البريطانية / المعلومات قبل ست سنوات من تاريخ الوثيقة.

في الشمال الشرقي من قضاء⁽¹⁾ حمص في موقع عين النسر وعين ظاط⁽²⁾، فقد أشارت إحدى وثائق وزارة الخارجية البريطانية إلى وجود قريتين شركسيتين تعودان إلى عام /1872م/ وتقعان بالقرب من حمص والقنيطرة، وتحوي كل واحدة منها /400/ شخص من الشركس، وكانت القرية الشركسية في الجولان تقع بالقرب من جبل حرمون (الشيخ) وذلك إلى الشمال الغربي من سهول حوران، حيث وصلت معظم هذه العائلات من منطقة الروملي (البلقان)⁽³⁾. حيث أصرت روسيا (وطلبت الدول الأوروبية من الدولة العثمانية) في معاهدة برلين سنة /1878م/ ترحيل الشركس من منطقة البلقان إلى أراضي الأناضول العثمانية، وأكد هذا الطلب توغل الروس في الأراضي البلقانية العثمانية سنة /1877م/ فنزح الشركس إلى بلاد الأناضول حيث استقروا فيه، (فعلى أثر عبور الجيش الروسي نهر الدانوب واعتداء جنوده على السكان المسلمين هناك / ومنهم الشراكسة / أخذ هؤلاء يهاجرون بالجملة إلى استنبول فامتلات بهم شوارعها، وتألقت إذ ذاك لجان عديدة لمساعدتهم، وأمر السلطان العثماني بإسكانهم في الأراضي المجاورة لقصره في ضواحي (بكلربكي) كما سمح بإنزال ماشيتهم وخيولهم في الأراضي والحدائق السنية⁽⁴⁾).

وقد قامت السلطات العثمانية بتوزيع قبائل الشركس والشيشان على مختلف المناطق في الأناضول وسورية والعراق، فأسكنت قسماً منهم في منطقة (قيسارية) ومرعش ومنطقة (أوزون يايلا) و(كوكسن) لمنع أي

(1) جريدة سورية رقم / 912 / الثلاثاء رجب / 1300 / هجرية.

(2) محمد علي معاذ - الجراكسة في بلاد الشام، مجلة الواحة، العدد الصادر في تشرين الأول /1986م/ - ص /20/.

(3) وثيقة رقم /4/445 آذار /1878م/ دمشق / سياسي من وثائق وزارة الخارجية البريطانية + تقرير نائب القنصل البريطاني - جاغو - في دمشق إلى ماركيز سالزبوري وزير الخارجية البريطاني / أيلول /1879م/ - ص /1/.

(4) عصر السلطان عبد الحميد وأثره في الأقطار العربية، المجلد الأول - ص /331/.

عصيان محتمل من قبائل (التركمان) الرحلّ وقبائل (الأوشار) كما أسكنت قسماً آخر على الشريط الممتد بين (الفريز) (ماردين) حتى الحلة كربلاء مقابل مناطق الأكراد لمنع أي عصيان متوقّع من أغوات الأكراد. كما قامت بإسكان قسم كبير منهم في منطقة (أدرنة) حيث غالبية السكان الأصليين من المسيحيين لخلق توازن في التركيبة السكانية، وتمّ أيضاً إسكان المهاجرين القفقاسيين من شركس وشيشان في مناطق المدن الساحلية في شمال الأناضول، للغاية نفسها مثل منطقة (سامسون) فأزعج ذلك سكان هذه المناطق وقدموا عرائض الاحتجاج مما دفع الكثير من المهاجرين الشركس للعودة إلى بلادهم في قفقاسيا⁽¹⁾، أما الذين تم إسكانهم في جنوب بلاد الأناضول على شواطئ البحر الأبيض المتوسط فقد هلك كثيرون منهم نتيجة الحر الشديد والأمراض المختلفة، وبخاصة مرض الحمى الذي كان مستوطناً بمناطق المستنقعات التي كان الشركس يجبرون على السكن فيها لاستصلاحها⁽²⁾.

[كما رأينا قررت الدولة العثمانية توطين المزيد من المهجّرين الشركس والشيشان لأن منطقة الأناضول لم تستطع استيعاب أعدادهم الكبيرة التي تحتاج إلى مجال زراعي واسع، فبدأت بإرسالهم إلى المناطق السورية عن طريق موانئ استانبول وسالونيك، وذلك في شهر شباط / 1878م، وانتهت في آب من العام نفسه⁽³⁾. وكان عام /1878م/ عاماً صعباً للمسؤولين في ولاية سورية، إذ وجدوا أنهم في حال لا تمكّنهم من استقبال تدفق المهجّرين الشركس الذين جاؤوا بأوامر السلطات العثمانية، بالآلاف للاستيطان في ولاية سورية، فقد كان استقبال مثل هذه الأعداد يحتاج

(1) فشلت معظم محاولات الشركس للعودة إلى ديارهم في القفقاس حيث منعت الدول الروسية عودة أي شركسي مطرود.

(2) وثيقة رقم: /374/ في 1 / نيسان سامسون 1878م/ من وثائق وزارة الخارجية البريطانية رقم / 37 / سياسي.

(3) عصام حتك - السياسة الإسكانية في الإمبراطورية العثمانية وطريقة إسكان الشركاسة - مجلة الإخاء، العدد /8/ عام /1984م/ - ص - /9/..

إلى توفير الطعام والمسكن، والمرافق الضرورية الأخرى، ولاسيما أن هؤلاء المهاجرين⁽¹⁾ (المهجرّين) لا يملكون إلا القليل من النقود والمجوهرات والأدوات القابلة للبيع، إضافة إلى ملابسهم وأسلحتهم الفردية التي لم يكن رجالهم ليتخلوا عنها. وقام والي دمشق في شباط عام / 1878م/ بفرض ضريبة إجبارية مقدارها أربعة قروش على كل شخص ذكر جرى تسجيله على قائمة الولاية وذلك لصالح المهاجرين = (المهجرّين) الشركس لتقديم العون لهم، ووُزعت أموال هذه الضريبة على بعض المهاجرين. ورغم هذه المساعدات التي بذلتها الدولة العثمانية لتوطين الشركس إلا أنها عجزت عن تقديم الرعاية لهم، ففتك مرض الجدري في شباط وآذار من عام / 1878م/ بمن كانوا يسكنون منهم مساجد ومدارس دمشق، وسقط كثيرون منهم صرعى لهذا المرض مما حدا بالسلطات العثمانية إلى الإسراع في إرسال المهاجرين الجدد إلى الأماكن التي قامت بتحديدتها لاستيطانهم حتى يتمكنوا من الاعتماد على الذات من خلال فلاحة الأرض وزراعتها، وكان ذلك على غير رغبة قسم من المهاجرين بسبب عدم وجود مقومات العيش في تلك الأراضي التي قامت السلطات العثمانية بتحديدتها لهم مسبقاً، وقد أرسل عدد كبير من المهاجرين الشركس إلى منطقة (جبل) والقرى الساحلية المجاورة التي كانت تعتبر مناطق استيطانية لمرض الملاريا، بعد أن زوّدتهم السلطات العثمانية بمؤنة تكفيهم ريثما يتدبرون أمورهم، إلا أن معظم هؤلاء المهاجرين عادوا إلى طرابلس واللاذقية⁽²⁾،

[كان بعثة الضابط الفرنسي - ليون كاهون في عام / 1878م/ الذي وصل من لبنان إلى اللاذقية ومن اللاذقية توجه إلى منطقة القرداحة وذلك بالتعاون مع القنصلية الفرنسية في اللاذقية وذلك ضمن الاهتمامات

(1) من الملاحظ أن الدولة العثمانية لم تفرّق في يوم من الأيام بين كلمة المهاجرين والمهجرّين الشركاسة في كل وثائقها الرسمية وغير الرسمية. فمن البديهي أن أمة بكاملها لا تترك وطنها ولا تتعرض للإبادة لمجرد السياحة ١٥.

(2) عصام حتك - السياسة الإسكانية في الإمبراطورية العثمانية وطريقة إسكان الشركاسة - مجلة الإخاء، العدد / 8/ عام / 1984م/ - ص - / 9/ ..

الفرنسية بالمنطقة وسكانها ، ضمن مخططات فرنسا المبكرة للسيطرة على سورية ، إثر تصفية تركة الدولة العثمانية (المريضة) المرتقبة على المدى المنظور. وقد دوّن هذا الضابط الفرنسي بعض مشاهداته ، وهي مهمة⁽¹⁾ ، من حيث الموضوعات التي أبحثها في هذا الكتاب. في الصفحة رقم /90/ من الكتاب = (رحلة إلى جبال العلويين) نجد العبارة التالية التي يقولها شاب من القرداحة اسمه - يوسف فاضل - متمنياً مرافقة الشراكسة في رحلة صيد حيث يقول: (أه. لو أن الشراكسة المساكين كانوا هنا ! ولكن كان عليّ إرجاعهم إلى مواطنيهم في اللاذقية ، وهم يعانون من الحمى المهلكة. فعند عودتي علمت بأن - رستم⁽²⁾ - كان قد مات هو أيضاً⁽³⁾). [.

[.. يقول ليون كاهون: بعد عودتي إلى اللاذقية. كان منزل السيد - جيوفري قنصل فرنسا - يقع عند زاوية أحد الشوارع الضيقة التي تتألف منها مدينة اللاذقية. وهو منزل مبني على الطريقة العربية ، درج خشبي يفضي إلى فسحة تظللها حصيرة من القصب ومن حولها غرف موزّعة. ومدخل هذه الساحة يقع بالقرب من الباب الذي يطلّ على الدرج ، حيث يقع أيضاً مكتب السيد - جيوفري - في هذا المكتب كانت تعقد لقاءات المكروبيين واليائسين من مهاجري الشراكسة. وكانوا جميعهم يأتون ليبثوا السيد - جيوفري - مآسيهم وشكاويهم وهم على ثقة من حصولهم على الدعم والحماية⁽⁴⁾. [.

-
- (1) من مقدمة الأستاذ الدكتور سهيل زكار لكتاب - ليون كاهون - رحلة إلى جبال العلويين عام / 1878م / - ترجمة - مها أحمد - ص / 11/ .
 - (2) رستم هو أحد الشراكسة الذين كانوا من ضمن مجموعات المهجّرين إلى الساحل السوري في اللاذقية.
 - (3) ليون كاهون - رحلة إلى جبال العلويين عام / 1878م / - ترجمة - مها أحمد - ص / 90/ .
 - (4) المرجع نفسه - ص / 96/ .

[..كان هناك اثنا عشر دركياً = (جندرمة) تركياً يكمنون في الدغل الشوكي متسلحين ببنادق - الونشقر - الخفيفة والتي كانت باستطاعتها ويخفة أن تجعلنا ندفع بطلقة واحدة ثمن الهراوة التي وجهها يوسف لزملائهم الدرك، وقد تخلصنا من الهواجس التي استولت علينا، بأن ألصقنا التهم بالعلويين أو بالشراكسة كي نبدد انتباههم⁽¹⁾... قبل أن أغادر اللاذقية على متن المركب - ايبر - أدين بذكرى أخيرة لبعض الشراكسة الشرفاء الذين كانوا قد جاؤوا لزيارتي أنا والسيد - جيوفري - وقد قمنا بجمع تبرعات لصالح المهاجرين، أما الشراكسة المهتاجون والصابون في وجه السلطة التركية⁽²⁾ فقد كانوا من جهة أخرى يكتنون كل الاحترام والتقدير للسيد - جيوفري - وعندما قمنا بتقديم التبرعات لرئيس المجموعة، .. - (ياخي)! أية خيبة أمل أصابته. هكذا كانت التوديعات التي جرت مع أصدقائي الشراكسة الأعزاء⁽³⁾..].

ومن كل هذه الملابس التي ذكرها الضابط الفرنسي ليون كاهون نستطيع أن نقول أن المهجّرين الشراكسة قد تواجدوا في تلك الفترة في الساحل والجبل في منطقة اللاذقية ويكمل هذه القصة الرحالة الشركسي السيد وصفي زكريا - في كتاب الريف السوري عندما يقول: (أنه زار قريتين شركسيتين في الساحل السوري أحدهما قرية عرب ملك..) ومن وثائق السلنمات العثمانية نجد أن بعض الشراكسة وطّنوا في جبلة واللاذقية أيضاً.. وكان مقرراً أن يجري توطين حوالي عشرة آلاف مهجّر في منطقة حماة - ، وقامت الحكومة بتقديم المساعدات اللازمة لهذا التوطين وساعدها في ذلك الأهالي من سكان حماة، حيث تبرعوا بحوالي ستة أطنان من الحنطة وأربعة أطنان من الشعير لزراعتها، غير أن

(1) المرجع نفسه - ص /114/.

(2) التي اكتشفوها على حقيقتهم المرة، والتي خدعتهم وأخذت تستغلهم وتبيدهم باهمالها القاتل وتوزيعهم على مختلف المناطق العثمانية مترامية الأطراف في قارات ثلاثة كي لا تقام لهم قائمة في يوم من الأيام كأمة أو شعب..عدنان قبرطاي.

(3) المرجع نفسه - ص /114÷117/.

هذه المساعدات لم تكن كافية، فرحل ما يقارب الثلاثة آلاف مهاجر عن منطقة حماة إلى طرابلس وهم يريدون العودة لإستانبول⁽¹⁾.

ومن الذين اهتموا بهذه القضية وهذه المرحلة جامعة كمبريدج البريطانية حيث أصدرت عام 1987م/ كتاباً بعنوان: - البدو الرحّل والمستوطنون في سورية والأردن - 1800 - 1980م/ لنورمان/ ن. لويس - الفصل السادس بعنوان (الشركس والشيشان في الأردن وسورية) - ترجمة أحمد عبد الرزاق هاكوز - ومنها نجد المعلومات التالية:

[.. وخلال أكثر من الخمسة عشر عاماً التالية أكره كل هؤلاء (الشراكسة) الذين أرسلوا إلى تركيا الأوربية على أن يغادروا مساكنهم مرةً أخرى. فقد كان الجنود غير النظاميين من الشركس.. وفي مؤتمر الدول الكبرى في القسطنطينية من /ديسمبر 1876م إلى يناير 1877م/، أصرت روسيا على وجوب ترحيل الشركس من تركيا الأوربية⁽²⁾. ووافق مندوبو الحكومات الأوربية الأخرى على الطلب الروسي، واقترحت رسمياً على الحكومة العثمانية أن يصار إلى منع إقامة المستوطنات الشركسية في تركيا الأوربية، وأن يتم ترحيل تلك التي أقيمت في الروملي بأقصى ما يمكن من الجهد إلى المناطق الآسيوية الإسلامية في الإمبراطورية العثمانية. وقد رفض الباب العالي اقتراحات الدول الكبرى، وبخاصة الأخيرة منها، ولكن الشركس كانوا قد أجبروا - في الواقع - على النزوح من بلغاريا، والروملي الشرقية خلال الحرب الروسية التركية عام

(1) وثيقة رقم: 1878/7/19/324م/، أرشيف وزارة الخارجية البريطانية..

(2) ومنه نعلم أن الروس ظلوا يلاحقون الشراكسة الذين هجروهم من وطنهم الأصلي شمال القفقاس حتى عام 1864م وما بعدها /، في مناطق توطينهم الجديدة وعملوا على ترحيلهم من جديد بعد أن استقروا نوعاً ما في الوطن البديل (لمدة أكثر من 15 عاماً/ التي فرضت عليهم من قبل العثمانيين وبالتالي لم يستطيعوا حمايتهم في المناطق التي أسكنوا فيها بل حرص الأتراك على تنفيذ كل بنود اتفاقية برلين التي تنص على إعادة ترحيل الشراكسة من جديد. ولم يكن الموقف البريطاني والفرنسي في هذه المرة مغايراً لموقف الروس هنا - م - .

1877م/، ولاحتيال الروس لتلك المناطق الذي تلا هذا الحرب. وفي نفس الوقت تقريبا، بعد الحملة الشرقية، والانتفاضات المستمرة على الجانب الروسي من الحدود، تزايد عدد الأهلين الذين قدموا من وراء القفقاس (قبل خمسة عشر عاماً) إلى الموانئ التركية على البحر الأسود. ونتيجة لذلك، واجه الأتراك مرة أخرى، مشكلة إيجاد مساكن لأعداد كبيرة من الشركس الذين شردوا من بلادهم بسبب الحرب. وفي هذه المرة كانت غالبيتهم العظمى مضطرة إلى البحث عن أسباب العيش في تركيا الأسيوية، واضطر معظم هؤلاء الذين قدموا من بلغاريا إلى البحث عن ملاذ يلجؤون إليه في - تراقيا - ومقدونيا خلال شتاء 1877/ - 1878م/ ولكن لم يمكن استيعابهم هناك، فأخذت الحكومة العثمانية على عاتقها أمر نقلهم إلى الأناضول أو سورية. وبدأ نقلهم بطريق البحر من استانبول وكافالا وسلايك وموانئ أخرى في / فبراير 1878م/ وانتهى تقريباً في / أغسطس من عام 1878م/ (1).

جاء قسم من الشركس الذين شردوا عام 1860م/ إلى معرش / مرعش / وزيتون وأماكن أخرى شمالي ولاية حلب. وسرعان ما وصلت / 140 / عائلة من التتر إلى حلب، وكان من المقرر أن يتم استيطانهم على شاطئ الفرات الأيمن. ولكن ليس هناك من الوثائق ما يثبت أن ذلك قد تمّ فعلاً. وأكبر جماعة من المهاجرين وصلت إلى المنطقة السورية في الستينات من القرن قبل الماضي، / التاسع عشر /، تشكلت من / 5000 / من الشيشان، الذين استوطنوا في (رأس العين) على نهر الخابور. وازداد تدفق الشركس في السبعينات من القرن / التاسع عشر / واستوطن بعضهم شمالي شرق حمص عام 1871م/، وآخرون في القنيطرة وما حولها في الجولان حوالي 1872م/ وقدم آخرون عام 1877م وما بعدها من الشهور

(1) البدو الرحل والمستوطنون في سورية والأردن - 1800 - 1980م/ لنورمان/ن. لويس - الفصل السادس بعنوان (الشركس والشيشان في الأردن وسوريا) - ترجمة أحمد عبد الرزاق هاكوز -

/، وبلغت الهجرة ذروتها بوصول السفن التي تحمل المهاجرين قسراً من البلقان عام /1878م/ وفي فبراير عام /1878م/، نزل /1000/ من اللاجئين المسلمين الشركس ومن غيرهم في ميناء بيروت وأرسلوا إلى دمشق، ومن ثم إلى مستوطنات قروية، كما نزل /1500/ إلى البرية عكا ليذهبوا إلى نابلس، و/2000/ نزلوا في طرابلس ليتوجهوا إلى حمص. وفي مارس /1878م/، قدم /1300/ من المهاجرين من سلانيك إلى اللاذقية، و/13000/ وصلوا إلى طرابلس، مع انتظار وصول آخرين غيرهم إليها. وفي نفس الشهر - مارس - تركت الباخرة النمساوية (سفنكس) ميناء كافالا في طريقها إلى اللاذقية، وعلى ظهرها /3000/ من اللاجئين، ولكن العاصفة اضطرتها إلى اللجوء إلى ميناء - فاما غوستا - في قبرص حيث جرفت الأمواج أربعين من هؤلاء البؤساء من على ظهرها أثناء العاصفة، ولقي /500/ آخرون حتفهم في الحريق الذي شب على ظهر السفينة، ونقل الباقون إلى الموانئ السورية على ظهر سفن أخرى. وكان بعضهم من بين المهاجرين الأوائل الذين استوطنوا عمان. ويبدو أن مد الهجرة قد تراجع خلال الشهور القلائل التي تلت ذلك، ولكن، وصل /500/ مهاجر جديد إلى طرابلس، و/1200/ إلى عكا في تموز /1878م/ و/1200/ إلى بيروت في أغسطس ونزل آخرون في الإسكندرونة، أو قدموا بطريق البر من الأناضول. وفي المجموع، وصل /25000/ أو أكثر من الشركس إلى سورية الجنوبية وما بين /10000/ و/15000/ إلى منطقة حلب، خلال عام /1878م/. وقلّ تدفق المهاجرين بعد حوادث عام /1878م/ ولكنه لم ينقطع، واستمر الشعب الشركسي يغادر القوقاز = القفقاس مكرهاً أيضاً، بسبب التجنيد الإلزامي في الجيش الروسي الذي يحارب المسلمين على الدوام، ولأنّ الدين الإسلامي يمنعهم من محاربة إخوانهم المسلمين مع الروس. ويمنعهم أيضاً من دفع بدل التجنيد النقدي، وأكثر من ذلك بوجه عام، لأنهم لم يستطيعوا قبول الحكم الروسي أو التلاؤم معهم في تلك الأيام... وقد شجعتهم الحكومة العثمانية على الهجرة مرة أخرى، على أساس أنهم جنود محاربون ذوو طاقات قتالية عالية، ومستوطنون أقوياء. وقد أبدى السلطان عبد الحميد اهتمامه الشخصي

بالموضوع، وبعد عام /1887م/ بوجه خاص، صدرت التعليمات إلى المسؤولين في استانبول وبقية الأقاليم والمناطق ليفعلوا كل ما بوسعهم لحل مشاكل هؤلاء المهجّرين وتخفيف معاناتهم. ولا توجد قيود رسمية عن الهجرة إلى سورية، في حينها وقد عثرت في السلنمات = (الجرائد الرسمية العثمانية) العثمانية على معلومات مهمة عن إسكان الشراكسة المهجّرين من البلقان في الأعوام التالية وهي مفصلة وفق القبائل الشركسية وأعدادهم وخاناتهم العائلية.. الخ وهناك إشارات أخرى متفرقة إلى وصول هؤلاء المهاجرين فيما بعد التهجير الكبير من البلقان منها التهجيرات اللاحقة التالية: (على سبيل المثال لا الحصر)، حيث وصل في عام /1882م/ إلى دمشق حوالي /100/ عائلة شركسية قادمين من أماسيا وسيواس في الأناضول ، جرى تسجيل عدد منهم في الحال جنوداً في الجيش العثماني ، وأرسل الباقون لينضموا إلى مواطنيهم في القنيطرة⁽¹⁾ ، ووصل معظم المهجّرين الجدد بطريق البحر ، وكان أعداداً آخرون وصلوا بطريق البر مثل المجموعة المؤلفة من خمسة عشر من الشراكسة ، الذين التقوا عام /1889م/ بعالم آثار أميركي قرب حلب ، والذين ظلوا سائرين على أقدامهم واحداً وعشرين يوماً ليصلوا إلى دمشق⁽²⁾ ، وفي نهاية عام /1900م/ وصلت إلى دمشق /150/ عائلة ، حيث أرسل من هؤلاء /63/ عائلة إلى عمان ، وصدرت التعليمات إلى القائمقام هناك بإيجاد مأوى لهم ومنحهم أراض كافية ، واتجه الـ /87/ عائلة إلى القنيطرة في الجولان وبراغ⁽³⁾ .

و كان من المنتظر وصول /6000/ آخرين خلال الصيف ، ولكن يبدو أنه لم يصل مثل هذا العدد⁽⁴⁾ ، وفي يناير عام /1902م/ وصل إلى

(1) من كتاب تاريخ الشركس والشيشان ص/46/ لجدوت ناشخو.

(2) من كتاب البدو الرحل والمستوطنون في سورية والأردن /1800م -1880م/ المؤلف نورمان لويس إصدار جامعة كمبردج ترجمة أحمد عبد الرزاق هاكوز ص/98/.

(3) المرجع نفسه - ص/98/.

(4) المرجع نفسه - ص/98/.

دمشق /824/ شركسياً، حيث أنه كان من الواجب إرسالهم إلى القنيطرة ، وإلى الزرقاء ليعملوا في إنشاء سكة حديد الحجاز ، التي كان يجري مدّها آن ذاك (و الذي ساهم فيها كل مسلمين العالم مادياً وكلفت الفرقة السيّارة بزعامة مرزا باشا بحمايتها والمحافظة عليها من أعمال التخريب والنهب). ولكن في السنوات القلائل التي تلت ذلك، كانت المستوطنات شرقي نهر الأردن تعزز على فترات قصيرة بقادمين جدد، إما عبر دمشق، أو عن طريق فلسطين. وفي نهاية عم /1903م/ وصلت إلى الإسكندرونة /130/ عائلة، معظمهم من التتر القاطنين بالقرب من ثيودوسيا في شبه جزيرة القرم. وكان واضحاً أنهم لم يكونوا في عوز وحاجة، فقد كانوا يحملون النقود والأمتعة، وكانوا مسالمين وعمالاً جادين، وتبعهم بعد مثلهم في يناير /1904م/ واستوطن معظم هؤلاء في العمق. وفي نوفمبر /1905م/ أنزلت باخرة روسية قادمة من سيياستوبول عليها / 364 عائلة / - 1454 شخصاً - في الإسكندرونة، وكانوا قبردي من القرى الواقعة شمال أواسط القوقاز، الذين قالوا إنهم تركوا روسيا لأنهم لم يكونوا راغبين في أداء الخدمة العسكرية، وأنهم انزعجوا من إصرار الحكومة الروسية على أن يتعلّموا اللغة الروسية، وأنهم خافوا أن يكرهوا على الارتداد عن دينهم. وقد استقر قسم منهم على الفور بالقرب من كيليس وعينتاب واضطر الباقون إلى قضاء عدة شهور في مساجد وخانات حلب، وافتتح اكتباب محلي لجمع التبرعات لإعالتهم، وأرسلوا بعضاً من روادهم ليجثوا لهم عن مواقع مناسبة للاستيطان، وفي نهاية المطاف توجه الكثيرون منهم إلى منبج وخصاص.

المبحث الثاني

بعض ما نشر في صحيفة سورية وغيرها عن المهجرين الشراكسة في الأردن وسورية

صحيفة سورية / 1302 - 1303 هجرية / - 25 كانون أول / 12 ربيع الآخر / - 28 كانون ثاني - 27 جمادى الأول / = / 1884 - 1885 م / الأعداد / 1092 - 1147 / :- حول إسكان الشركس بوادي السير وعمّان: قبلاً كان قد عيّن - محمد أمين أفندي - مأموراً لإسكان الجراكسة المهاجرين من قفقاسيا الذين تقرر سكناهم في نواحي أراضي عمّان الكائنة في قضاء السلط من أعمال لواء البلقاء، وتوجّه المومأ إليه إلى المحل المذكور مصحوباً بالأوامر (المقتضية)، وفي هذا الأوان قد أتمّ مأموريته وعاد إلى المركز وبيده أوراق رسمية فهم من مآلها أن عدد المهاجرين المذكورين، ينوف عن (الأربعمئة) نفس وتخصص لهم ثلاثة وتسعين بيتاً، وقد أنشأت هذه المحلات في الأراضي الخالية الواقعة على جانب نهر وادي السير وتعين لكل منزل أراضي توافقه حسب النظام، ولقد أشعر من محله بأن المأمور المومأ إليه قد بذل غاية المساعدة والتسهيلات اللازمة للمهاجرين المرقومين حتى أنهم ينشروا لواء الثناء عليه، فسرّ العموم وقدموا الأدعية الخيرية لحضرة ذي الجلالة بحفظ مولانا وسلطاننا المعظم. وحيث أن المحل المذكور المدعو باسم عمان يحوي على بناء عظيم وهو من جملة آثار الرومانيين القدماء وأراضيه واسعة ومخصبة للغاية، فتوطين المهاجرين المذكورين في تلك الأنحاء وجد مناسباً جداً سيما وأنها واقعة في أول القفر حيث أنه بذلك تستكمل الراحة والأمنية التامة، ولما كانت تلك الجهات تتحسن بظل الحضرة العلية

السلطانية بالعمران يوماً فيوماً فلا شكّ بأنها تكون كنزاً لخزينة الدولة حيث تكسبها ثروة عظيمة⁽¹⁾.

من أقوال العلامة أحمد وصفي زكريا عن الشركس:

[هاجروا تبعاً ولجؤوا إلى البلاد العثمانية في عهد السلطان عبد العزيز (1277 - 1293هـ) الموافق (1860 - 1876م) فأقطعتهم الدولة العثمانية وقتئذٍ عدة قرى مبعثرة في بلاد الروملي (البلقان) والأناضول وفي بلاد الشام حول رأس العين (الجزيرة) وحلب وحمص وحماه ودمشق واللاذقية والجولان والبلقاء شرقي الأردن]⁽³⁾ وللدلالة على عدم وجود (قرية) عمان قبل قدوم الشركس إليها.

أورد ما كتبه يوسف الزعبلأوي عن عمان في مجلة العربي العدد /203/ تشرين أول عام 1975م ما يلي: [قبل مائة عام أو يزيد قليلاً حين لم يكن لعمان وجود، كان الوادي يؤدي إلى ما عرف آنذاك بخرائب عمان... ويحدثنا بركهارد الرحالة السويسري عن تلك الخرائب وقد زارها سنة (1812م) فيشير إلى القتال المستمر بين العشائر حول تلك الخرائب وبسبب يئابيعها، وقد كانت مورد الماء الرئيسي الذي شربت منها أغنامها. لا عجب إذاً أن تعذر على بركهارد الحصول على دليل يرافقه من مدينة السلط إلى خرائب عمان... التي حرص أشد الحرص على زيارة آثارها وأطلالها... وكان الوالي التركي في السلط يحرص أيضاً على سلامة بركهارد. فما كان منه إلا أن وضع تحت تصرفه أربعة رجال مسلحين، وذلك لحراسته ومرافقته إلى الخرائب سيراً على الأقدام لمسافة 15 كم. ولكن خطة الوالي بل أوامره لم تنفذ فقد جاءت زوجات الرجال الأربعة في الوقت المناسب، ورحن يخاطبن أزواجهن بعصبيية بلغت حد الجنون. ثم جعلن يوبخنهم ويشتمنهم نظراً لأنهم قبلوا الذهاب إلى خرائب عمان وإلقاء

(1) جريدة سورية - نومرو /966/ - / 25 شعبان 1301 هجرية / - /1883م/.

أنفسهم في التهلكة لقاء قروش قليلة... وهكذا امتنع الرجال عن مرافقة
بركهارد [1].

تعود عمان إلى الحياة كقرية بعد إسكان المهجرين الشراكسة فيها
منذ عام (1868م). وبعد أربعين عاماً من إسكان الشراكسة فيها، تظهر
عمان كناحية للمرة الأولى في سلطنة الدولة العثمانية لعام (1326هـ -
1908م) ص 747 كما يلي:

{سنجق الكرك - صنف (1)}

قضاء السلط - صنف (1)

القائم مقام أمين أرسلان بك الدرجة (متمايز) تاريخ 7 ذ - 1321هـ
النائب عبد القادر أفندي

يرتبط بالقضاء المذكور /9/ قرى و /21/ مزرعة و /3/ نواحي وهذه
النواحي هي:

1 - مأدبة - جيزة - عمان.}}

لاحظ أن عمان كانت ناحية، بينما كانت القنيطرة مركز قضاء
قبل ذلك التاريخ بعشرات السنين. ويتبع لها أكثر من خمسة أضعاف من
القرى وثلاثة أضعاف من المزارع، التي تتبع لقضاء السلط ولمعرفة أول
ظهور للمهجرين الشراكسة في الدولة العثمانية نجد في سلطنة الدولة
العثمانية لولاية حلب لعام (1326هـ - 1908م) التي تتحدث عن تاريخ
(1277هـ - 1860م)، أنه تم إسكان المهاجرين الشراكسة في سنجق
مرعش أي أن الدولة العثمانية كانت قد بدأت بإسكان المهاجرين
الشراكسة في تاريخ (1277هـ - 1860م) أي قبل توقف المقاومة
الشركسية للغزو الروسي بتاريخ 1864/5/21م. حيث هجر أربعة أخماس
الأمة الشركسية من وطنها إلى الدولة العثمانية بالتتالي.

(1) مجلة العربي، العدد 203 سنة 1975، ص 82.

يقول الباحث محمد خير حفندوقة في كتابه الشركس ما يلي:

[وصل أول فوج من المهاجرين الشركس إلى عمان عام 1868م، (أي قبل فتح قناة السويس بعام)، وكانوا من قبيلة الشابسوغ الشركسية، ثم تواردت القبائل الشركسية الأخرى، وحطت الرحال فيها وهي (القبرطاي، والأبزاخ، والبزادوغ)، وذلك بعد حوالي عشرة أعوام تقريباً، ووصلت بعض القبائل الشركسية عن طريق بيروت بحراً، وعن طريق حلب براً، كما وصل بعضها عن طريق الساحل الفلسطيني.

لم يكن في الأردن في ذلك الوقت مدينة اسمها عمان⁽¹⁾ (ولا حتى قرية)، وكل ما هنالك بقايا أطلال رومانية لمدينة عمون التاريخية، وبرز هذه الأطلال المدرج الروماني الشهير، المعروف باسم (فيلا دلفيا)، والحمامات الرومانية التي مازالت آثارها باقية في سقف السيل والقلعة التي تشرف على خمسة أودية تشكل منها الآن مدينة عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية، هذا بالإضافة إلى جامع قديم مهجور يعود في تاريخه إلى عهد الأمويين، ولا صلاة تقام فيه، وبرج عالٍ أشبه بالمتذنة، إلى أن وصل المهاجرون الشركس الذين أقاموا مسجداً مكان الجامع القديم المهجور، وحولوا البرج الروماني إلى متذنة، ولم يكن في عمان بيت واحد، وكانت المنطقة كلها موحشة ومكسوة بالأحراج. وكان سيل عمان هو المورد الوحيد لرعاة الأغنام والإبل من العشائر البدوية التي كانت تقطن في المنطقة). ولقد سكن الشركس من قبيلة الشابسوغ مدة ليست بالقصيرة في أروقة المدرج الروماني، وفي قلعة عمان والكهوف المتوفرة في المنطقة القريبة من سيل عمان الذي تتبع مياهه من الموقع المعروف الآن برأس العين⁽²⁾.

وبالعودة إلى السلنات العثمانية الواردة في هذا الكتاب لعام (1871م) نرى أنه عندما كانت القنيطرة مركز قضاء ظلت عمان عشرات السنين وهي مركز ناحية متخلفة عن القنيطرة ادارياً.

(1) راسم رشدي: كتاب شركسي يتحدث عن قومه، ص56.

(2) محمد خير حفندوقة: كتاب الشركس، ص30 - 32.

إن سبب إيراد ما تقدم هو الاستشهاد بأن شراكسة عمان كانوا فيها منذ عام (1868م)، ومن الطبيعي والمنطقي أن بعض المهجرين الشراكسة قد وصلوا قبل هذه الفترة أو في نفس الفترة على أقل تقدير إلى سورية وخاصة إلى الجولان، باعتبار أن قدوم معظم الشراكسة براً⁽¹⁾. كان من الشمال إلى الجنوب في الدولة العثمانية، وأنه من الثابت في وثائق كثيرة أن التهجير للشراكسة من وطنهم قد بدأ قبل عام (1860م) كما مر معنا. وإن لم يكن لدينا دليل قاطع على سكن الشراكسة في القنيطرة التي هي أقدم قرية سوى جواز سفر جدي للحج في عام /1945م/ والتي دون فيها أنه ولد في القنيطرة عام /1861م/، بعد ذلك من الثابت أن أول ثمانية عائلات شركسية استوطنت في القنيطرة الدارسة، حول الخان الحرب التي دعت فيما بعد بالسرايا الحكومية عام /1860م/، ونعلم أن من أوائل من سكن القنيطرة وفق ما جاء في مجلة العمران السورية هم (في البداية ثمانية أسر شركسية من قبائل القبرطاي عام /1866م/)⁽²⁾، وهناك صورة لجواز سفر يثبت أن أول مولود شركسي كان في عام /1861م/ في القنيطرة هو المرحوم - عبد الوهاب مخصيدة، وبعدها نجد أن تاريخ أول مولود من الشركس في القنيطرة كان عام (1871م) وفق إحصائيات الدولة العثمانية⁽³⁾، وأن قدوم الشركس إلى المنطقة بشكل كبير للمرة الأولى كان فيما بعد عام (1870م)، وفق تقارير القنصل الانكليزي في ولاية سورية - جاغو - حيث قدم قسم منهم من سيواس

(1) من المعروف أن السفن من مختلف الجنسيات قد ساهمت في تهجير الشراكسة إلى أماكن مختلفة من موانئ الدولة العثمانية.

(2) مجلة العمران - العددان /57+58/ - ص /25/ - من كتاب عدنان قبرطاي - صفحات مطوية من تاريخ القنيطرة والجولان - ج1.

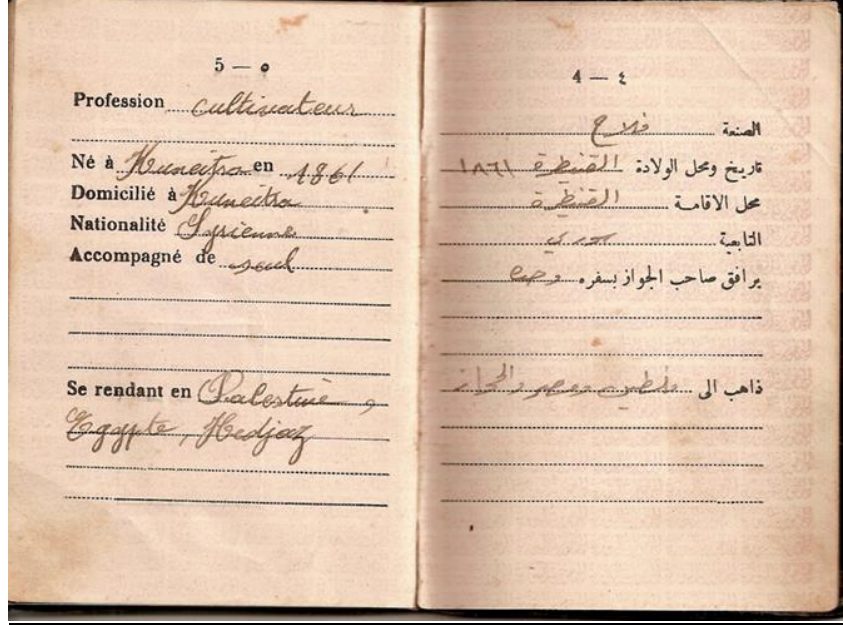
(3) وقد وجدت دليلاً قطعياً أن بعض الشراكسة قد سكنوا قبل هذا التاريخ بدليل ما جاء في جواز سفر - عبد الوهاب مخصيدة - (الذي استصدره من دمشق في. /10/13/ عام /1945م/ من أجل سفره للحج) أنه من مواليد القنيطرة عام /1861م/.

ومرعى وهضبة الأناضول، بالإضافة إلى قدومهم من جركستان مباشرة في الفترة الأولى وفي فترات تالية قدموا من دول البلقان، التي هجر الشراكسة إليها من شمال القفقاس مباشرة، اعتباراً من عام /1860م/ وما بعدها. وبشكل عام نجد أن انطلاق إعمار الجولان الحديث عملياً كان مع وصول أفواج الشراكسة المهجرين إلى الجولان الأوسط والشرقي، واستقرارهم في موقع القنيطرة وقراهم الأخرى⁽¹⁾ وقد تواصلت تلك الأفواج في القدوم إلى ولاية سورية لعدة عقود من الزمن، وفي هذا الصدد كتب عبد الكريم محمود غرايبه في كتابه تاريخ العرب الحديث ما يلي: [وشكل المسلمون المهاجرون من القفقاس نسبة عالية من المهاجرين الذين ساهموا في زيادة عدد مسلمي الإمبراطورية العثمانية].



صفحتين من جواز سفر- عبد الوهاب مخصيدة - (الذي استصدره من دمشق في 10/13/ عام 1945/ من أجل سفره للحج) وهذا الجواز يبيّن أنه من مواليد القنيطرة عام/1861م/..

(1) محاضرة الدكتور عادل عبد السلام: كراسة ندوة الجولان التاريخية خلال فترة 1978/6/27 حتى 1987/7/1، ص27.



صفحتين من جواز سفر - عبد الوهاب مخصيدة - (الذي استصدره من دمشق في 10/13/ عام 1945/م من أجل سفره للحج) وهذا الجواز يبين أنه من مواليد القنيطرة عام 1861م. وكان سفره إلى الحج عن طريق فلسطين العربية ثم مصر ومنها إلى الحجاز

نشرت جريدة المقتبس الدمشقية في عددها رقم /557/ الصادر في يوم الاثنين /26/ كانون الأول سنة (1910م) الموافق ذي الحجة (1328هـ) تحت عنوان الكرك قالت فيه ما يلي: [أما عمان فهي الآن مركز ناحية عمان يسكنها خمسمائة دار جرکسي من مهاجرين القفقاس، وفيها نحو /100/ دكان، وزعيم الجراكسة محمد أفندي الجرکسي، ووادي السير. ورأس عمان ورصيفة وناحور وعين صويلح وعيون الحمر يسكنها مهاجرو القفقاس ونفوس أهل عمان... وهذه القرى نحو (7000) نفس ذكوراً وإناثاً وهم من مهاجري القفقاس⁽¹⁾.

(1) مجلة الإخاء الأردنية، حزيران 1992 م، العدد 37، ص 7-8.

إن سبب إيراد ما تقدم هو الاستشهاد بأن شراكسة عمان كانوا فيها منذ عام (1868م)، وفق أقوال الكاتب، ومن الطبيعي والمنطقي أن بعض المهجرين الشراكسة قد وصلوا قبل هذه الفترة أو في نفس الفترة على أقل تقدير إلى سورية وخاصة إلى الجولان، باعتبار أن قدوم معظم الشراكسة براً⁽¹⁾. كان من الشمال إلى الجنوب في الدولة العثمانية، وأنه من الثابت في وثائق كثيرة أن التهجير الروسي للشراكسة من وطنهم قد بدأ قبل عام (1860م) كما مر معنا. وإن لم يكن لدينا دليل قاطع على سكن الشراكسة في القنيطرة التي هي أقدم قرية، وأصبحت هذه القرية فيما بعد عاصمة وحاضرة الجولان الأول، والدليل الوحيد القاطع الذي لا شك فيه هو أن أول مولود ذكر في القنيطرة من الشراكسة (بعد بنائها من قبلهم) وفق إحصائيات الدولة العثمانية عام (1884م) كان في عام (1288هـ) الموافق لعام /1871م/.

وبشكل عام نجد أن انطلاق اعمار الجولان الحديث عملياً كان مع وصول أفواج الشراكسة المهجرين إلى الجولان الأوسط والشرقي، واستقرارهم في موقع القنيطرة وقراهم الأخرى⁽²⁾ وقد تواصلت تلك الأفواج في القدوم إلى ولاية سورية لعدة عقود من الزمن كما سيمر معنا. في هذا الصدد كتب عبد الكريم محمود غرايبه في كتابه تاريخ العرب الحديث:

[وشكل المسلمون المهاجرون من القفقاس نسبة عالية من المهاجرين الذين ساهموا في زيادة عدد مسلمي الإمبراطورية العثمانية].

(1) من المعروف أن السفن من مختلف الجنسيات قد ساهمت في تهجير الشراكسة إلى أماكن مختلفة من موانئ الدولة العثمانية.

(2) محاضرة الدكتور عادل عبد السلام: كراسة ندوة الجولان التاريخية خلال فترة 1978/6/27 حتى 1987/7/1، ص27.

سلط قصابي				« صنف ١ »
•	•	•	•	قايم مقام عبدالحليم افندي
•	•	•	•	نائب محمد مطيع افندي
•	•	•	•	بدايت محكمه سي رئيسي علي رضا افندي
•	•	•	•	« مدعي عمري مياوئي رشيد سامي افندي »
قضاء المذكوره مربوط : قرا مزراع ناجيه				
		٦	٢١	٣ ماديه جيزه عمان

من سلطنة الدولة العثمانية رقم /27/ ص /658/

جاء في جريدة المقتبس العدد /506/ 24 تشرين الأول (1910م) ص 1 تحت عنوان (لجنة المهاجرين في الولاية) أنها أرسلت زهاء ستين أسرة من المهاجرين إلى عمان ، لإسكانهم في تلك الأرجاء ، وقد مرت سنة كاملة على تلك (العيال) الأسر وهم في جامع عمان ، ينتظرون إخراج قول اللجنة (التي أرسلتهم) للفعل ، أي صدور الأمر بإسكانهم بالعمل ، فمن فقر حالهم وطول الأمد عليهم بلا إسكان فارق أكثرهم الحياة من شدة الجوع والبرد والحر..

ومنهم ما يزال في عمان يتكففون ، غطاءؤهم السماء ، وفراشهم الأرض وقوتهم ما يتكرم به عليهم أهل اليسار هناك. إن بقاء المهاجرين في عمان لهذا اليوم بلا إسكان ليس من (فقدان) قلة الأرض ، كلا بل ناتج عن عدم قيام من هو مسؤول ، من شأنهم إسكانهم.. فليت والي الولاية (سورية) ينظر لهذه الأحوال..)

وإن يكن هذا المثال والوضع المذري التي آل إليها المهجرون الشراكسة في عمان ، فهذا لا ينفي عدم حدوث مثل ذلك الإهمال في الجولان وبقية المناطق التي هجر إليها الشراكسة في ولاية سورية لأن نفس الوالي هو المسؤول عن البقية التي لم يُذكر أحوالهم في الجرائد العثمانية. أما نحن فكنا نعلمها من أفواه الأجداد والجذات. ومن المفيد أن نعلم أن عدد سكان دمشق أثناء تهجير الدفعة الثانية من الشراكسة في عام (1878م) (وفق دائرة معارف البستاني) كان يبلغ /143/ ألف نسمة.

جاء في مجلة الطائف المصرية التي كانت تصدر في القاهرة في العدد السادس الصادر في 15/ تشرين الأول سنة 1892م/: ((أنه هاجر نحو أربعين ألف شركسي إلى بلاد الدولة العثمانية وكلهم من المسلمين وأعطتهم الحكومة جانباً من أراضي الجولان فعددهم في الجولان أكثر من عشرة آلاف))⁽¹⁾.

يتميز قدوم الشركسة إلى سورية كمعائلات وعشائر شملت الرجال والنساء والشيوخ والأطفال ، وهم يتبعون لقبائل شركسية كبرى مختلفة ، وقد حملوا معهم بعض المتاع والأدوات الخاصة بهم بالإضافة إلى أسلحتهم الشخصية المميزة لهم. وتعتبر مكملاً لزيهم القومي التي كانوا يرتدونها وهي جزء لا يتجزأ من هذا الزي ، مثل الخنجر اليمني بالنسبة لليمنيين وأيضاً بالنسبة للعُمانيين.

كانوا يعانون حالة من الإخفاق ووضعاً في غاية السوء ، وأعدادهم في تناقص ، وقد تعبوا من كثرة الترحال الذي لا ينقطع بسبب التهجير المتكرر وقد هدّهم الجوع والمرض والتعب وكثرة الأوبئة المتلاحقة والأمراض المستوطنة التي لا تملك أجسامهم التي نُحلت مقاومتها.

يُشير أوليفنت بعد عدة سنوات إلى أن الحكومة التركية لم تكن تملك من الموارد لشراء ما يكفي من الطعام لجيوشها ، وعاجزة عن تقديم الكثير للمهاجرين الشركس. وقد عملوا جماعياً في بناء بيوتهم المتواضعة ، مستخدمين المواد الأولية المتوفرة في الطبيعة ، من أحجار بازلتية وطين مجبول بالطين.

(1) لاحظ أنه يحدد أربعين ألف شركسي الذين قدموا إلى الدولة العثمانية وهنا المقصود البلاد العربية أي بلاد الشام فقط لأنه من الثابت وجود الملايين الآن في تركيا من المهجرين الشركسة وأن بلوغ عدد الشركسة في عام 1892م/ عشرة آلاف في الجولان يرفع نسبتهم بين سكان الجولان إلى أكثر من النصف بعد مقارنة عددهم بلائحة شوماخر المعروفة والمنشورة في كتاب صفحات مطوية من تاريخ القنيطرة والجولان لعدنان قبرطاي.

سقفوا تلك البيوت بعوارض خشبية من الأشجار والأغصان وفرشوها بالقصب وما شابه ذلك من المواد المتوفرة، وغطوها بالطين المجلول مع التبن... (ودلوها) بأحجار بازلتية أسطوانية كانوا يسمونها (لوو) بالشركسية. لتصبح مقاومة لنفوذ الماء وكانوا يكررون عملية (الدحل) في كل سنة عدة مرات كانت هذه البيوت المتواضعة ، هي بداية بناء قرية القنيطرة بأحيائها الثلاثة، حيث توزعوا أثناء بنائهم وفق قبائلهم الرئيسية الثلاثة فكان حي القبرطاي (القبردي)، وحي الحتقواي، وحي الداغستان (الذي معظم سكانه من الشيشان) وقد بنوا مسجداً لهم مع بناء بيوتهم، ولقد انضم إليهم وإلى القرى الأخرى فيما بعد خلال عام (1878م) ألفان من الشركسة المرحلين الجدد ، من (ودين) ومن أماكن أخرى في بلغاريا ، وبقية مناطق البلقان حيث (وضعوا أيديهم) على أرض جديدة صالحة للزراعة⁽¹⁾ ، (والصحيح أن الدولة العثمانية قد أحالت إليهم الأراضي الوقفية المحلولة لمصطفى لالا باشا مجاناً كما هو واضح في سندات (صكوك التملك القديمة).

وأما بخصوص الموجة الثانية من المهجرين الشركسة الذين وصلوا إلى ولاية سورية عام (1878م) فقد كانت ظروفهم الاقتصادية جيدة (نوعاً ما)، فقد كانوا يملكون بعض المال اللازم لبداية حياة جديدة، إلا أنهم مع ذلك كانوا بحاجة إلى مساعدة ودعم الحكومة ، لتوفير المسكن المناسب والطعام في بداية وصولهم⁽²⁾.

قامت الحكومة العثمانية بإسكان المهاجرين الأوائل في مساجد ومدارس دمشق ريثما تجد لهم أماكن دائمة⁽³⁾. وقد أسس الشركسة

(1) كتاب تاريخ الشركس في الجولان: وثائق وزارة الخارجية البريطانية: وثيقة رقم /445/ في 4 آذار دمشق عام 1878م رقم /2/ سياسي، ص52 - جودت ناشخو.

(2) وثائق وزارة الخارجية البريطانية للاستخدام السياسي: وثيقة رقم /344/ في آذار بيروت عام 1878م.

(3) وثائق وزارة الخارجية البريطانية للاستخدام السياسي: وثيقة رقم /445/ في 4 آذار دمشق عام 1878م

القادمون من دول البلقان (الروم ايللي) التي كانت تتبع للدولة العثمانية وفيما بعد القادمين من جزيرة كريت حي المهاجرين⁽¹⁾ في دمشق وكانوا قبل ذلك قد أسكنوا في جزيرة كريت التي كانت تدعى (اكريطش) التي وصلوا إليها بحراً عام (1865م) قادمين من أزمير. كانت الحكومة العثمانية لا تراعي النواحي الصحية في المناطق التي تختارها لإقامة المهاجرين الشركس والشيشان. يقول أحمد وصفي زكريا في كتاب الريف السوري ص/507/ عن الشركس المهجرين: [فاستقروا هنا بعد أن أضاعوا ودفنوا كثيراً منهم في مقابرها نتيجة اختلاف المناخ والبيئة وكوارث الهجرة]. وإن الذين استوطنوا قضاء الجولان انشرحوا به إذ وجدوه يشبه بلادهم الأصلية بآكامه وحراجه ومراعيه ، التي كانت وافرة يوم مجيئهم. ووزعتهم الدولة العثمانية على قراهم الحالية ، وقد كانت خراباً يباباً بعد عمران سابق وسلمتهم الأراضي المحلولة التي حولها ، فتوطنوا رويداً رويداً بها واندمجوا في المجتمع العربي السوري وصاروا من عناصره المرموقة⁽²⁾ هنا يؤكد الرحالة العربي القاياتي كشاهد عيان أن القنيطرة لم تعد خالية من السكان كما روى الرحالة العربي اللقيمي حيث قال (و نزلنا بخانها الخرب) بل وجدها عامرة بسكانها الجدد الشركسة القادمين من القفقاس الشمالي أولاً ومن منطقة البلقان (العثمانية)⁽³⁾ ثانياً وذلك بعد تهجيرهم منها بسبب الحروب البلقانية عام /1876م -1877م/ بعد استقرارهم فيها لمدة ستة عشر عاماً ونيّف. بعد أكثر من /32/ سنة من توزيع الدولة العثمانية الأرض على الشركسة وصفت صحيفة المقتبس في عددها/784/ في 25/ رمضان/ 1329هـ الموافق لأيلول عام/1911م/ تلك الأراضي كما يلي: ((الأراضي التي أعطتها الدولة العثمانية (للمهجرّين) الشركسة بأنها أراضٍ خربة

(1) الدكتور ميخائيل مانيكّة: بحث لمعهد الآثار الألماني، الصالحية، دمشق.

(2) نفحة البشام للرحالة محمد بن عبد الجواد القاياتي المتوفي سنة /1320هـ/1902م/، طبعة القاهرة (ص103+104).

(3) كانت البلقان تحت سيطرة الدولة العثمانية لفترة كبيرة.

غير مستصلحة ولم تكن تزرع من قبل وقالت بأن (الأرض) كانت معطلة خربة منذ زمن بعيد⁽¹⁾ ، فقام المهاجرون الشركس بإصلاحها مما رفع ثمنها من بشلك⁽²⁾ أو ربيع مجيدي إلى ليرة أو ليرتين عثمانية (3+2)⁽³⁾ (أي أنهم ضاعفوا ثمن الأرض بعملهم واستصلاحهم لها /86/ ضعفاً خلال /40/ سنة) وتؤكد الصحيفة أن أحد من الأهالي لم يقم بإبراز ملكية سند /الطابو/ لأي أرض أعطيت لأي شركسي..)) أي أن تلك الأراضي كانت أميرية أو ملك للسلطان أو وقفية أو محلولة. وقد أدى نجاح الشركسة في استصلاح الأراضي وزراعتها إلى تشجيع العديد من العشائر البدوية في المنطقة على الاستقرار ، وإنشاء قرى زراعية خاصة بهم بالإضافة إلى استمرارهم في الرعي والتنقل وكان ذلك بمباركة الدولة العثمانية التي كانت قد خططت لذلك كما قلنا سابقاً. منذ افتتاح قناة السويس ومنذ عزمها على إعمار الطريق البري إلى الحجاز واليمن لإمكانية استمرارها في تزويد جيشها هناك بالمؤن والمدد العسكري وكانت هذه الخطة هي التي مكنت العثمانيين من استمرارية حكمهم حتى عام /1918م/ ، وهي من أهم الأسباب الموجبة إلى مد الخط الحديدي من تركيا حتى المدينة المنورة (وأوكلت أمر حمايتها في سورية والأردن إلى الشركسة بأمره مرزا باشا). الذي كان مركزه في القنيطرة لعدة سنين ثم انتقل إلى عمان في شرقي الأردن..

-
- (1) طبعاً بسبب السياسة الزراعية العثمانية المتخلفة. تعليق المؤلف عدنان قبرطاي.
(2) ال (بشلك) عملة عثمانية استخدمها الشركسة في القنيطرة وكانت تساوي مابين 3/ قروش.
(3) الليرة المجيدي أو الريال المجيدي = / 24 / قرش وكانت عملة رائجة حسب سعر /1888م/ وفي سنة /1903م/ أصبح يساوي /19/ قرشاً والبارة جزء من /40/ جزء من القرش. الليرة العثمانية الذهبية = /130/ قرش (الإخاء ص/10/ ، العدد/120/ كانون الأول /2001م/.

المبحث الثالث

تهجير الشركس إلى فلسطين العربية

من الموسوعة الفلسطينية - المجلد الثاني - ص 919/ - 921/ نجد المعلومات التالية: (مع العلم أن في هذه الموسوعة بعض الأخطاء سأقوم بتصويبها قدر الامكان ومعلقاً على بعض الكلمات وموضحاً لها في الهوامش⁽¹⁾):

[.. وردت إلى فلسطين، وبلاد الشام، بعامة، في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، جماعات كثيرة من الشركس بفروعهم القبلية من روسيا. في أعقاب الحرب الروسية - التركية⁽²⁾ عام 1877/ - 1878م/..]

(1) المؤلف عدنان قبرطاي.

(2) الحقيقة الساطعة أن الحرب كان بين الشركسة وروسيا، منذ أكثر من قرن ونصف قبل الحرب بين الدولة العثمانية في البلقان والقفقاس الشمالي ضد الإمبراطورية الروسية عام 1877م/ وما بعدها، والحقيقة الثانية أن تهجير الشركسة من بلادهم الأزلية قد بدأ منذ عام 1860م وما بعدها / والتهجير الكبير(النكبة الكبرى) كان بعد اعلان نائب القيصر الروسي وشقيقه الغرندوق مايكل انتهاء الحرب الشركسية الروسية بانتصار الإمبراطورية القيصرية الروسية على الشركسة في 1864/5/21م/ كان بعدها فوراً تهجير أربعة أخماس من تبقى حياً من الأمة الشركسية إلى مختلف أرجاء الدولة العثمانية المترامية الأطراف..

والروس يتقصّدون ذكر كلمة الحرب القفقاسية للإيحاء بأن الشعوب القفقاسية هم الذين تحاربوا فيما بينهم، والصحيح أنها الحرب الروسية القفقاسية التي اشتهرت في العالم كله بالتضحيات والفداء والشجاعة التي لا مثيل لها في العالم.. الشركسة الذين قاوموا كل الغزاة على مر التاريخ الذي أذهل كارل ماركس

==

وطرد روسيا القيصرية لهم⁽¹⁾. وقدّر هؤلاء المهاجرون⁽²⁾، بحوالي -

في حينها عندما كتب في جريدة نيويورك تايمز الأمريكية ما يلي: (أيها العالم، أيتها الإنسانية تعلموا معنى الحرية من الشركاسة وانظروا ماذا يستطيع شعب يطلب الحرية أن يعمل وشاهدوا البطولات التي قدمها هذا الشعب مع قلة قدراته من أجل الحفاظ على حريته. فعليكم أن تأخذوا العبر منهم) - من كليات - كارل ماركس. مجلد 9/..). وفي الشرق العربي قال عن الشركاسة، أبو الثناء محمود الأمشاطي المتوفي سنة / 899 هجري / في القول السديد ما يلي: [هم أصحاب قدوة وقوة وشدة وبأس وعصبية دأبهم المغالبة.. ولهم شجاعة وقوة على الحرب، ولهم الصدمة الأولى لا يقاومهم فيها أحد..].

(1) بعد تهجير القيصرية الروسية تسعة أعشار الأمة الشركسية إلى الدولة العثمانية بدءاً من عام /1860م/ وحتى النصر النهائي للروس على الشركاسة عام /1864/5/21م/ عملت الدولة العثمانية على إسكان 600 ألف / شركسي في منطقة البلقان الثائرة على الدولة العثمانية وأسكنتهم بين الشعوب المسيحية الثائرة كحاجز حدودي ليتلقوا الصدمة الأولى في الحروب والتي أصبحوا فعلاً وقوداً لها فيما بعد.. وعندما انتصرت شعوب البلقان بمساعدة الجيش القيصري الروسي عام /1877م/ وما بعدها أرغموا الدولة العثمانية على إعادة تهجير الشركاسة من البلقان الأوربية إلى آسيا العثمانية وفق مقررات مؤتمر برلين عام /1878م/. والشركاسة المهجّرين إلى فلسطين العربية، هم من الذين أعيد تهجيرهم من دول البلقان المختلفة ومنهم من منطقة البشناق (البوسنة) بعد أن أقام الشركاسة فيها أكثر من /16/ سنة / وسجلوا في سجلات العثمانية كمواطنين في دول البلقان المختلفة وهذا الأمر أدى إلى ارتكاب أخطاء كثيرة في عدّ الشركاسة المعاد تهجيرهم من تلك المناطق التي كانت عثمانية، فعلى سبيل المثال لا الحصر تم تسجيل المواطنين الشركاسة في البوشناق كمواطنين من الشعب البوشناقي كما حدث في كتابات الفلسطينيين في موسوعتهم هذه في أمكنة أخرى..

(2) إن قول مهاجرون لا ينطبق هنا أبداً لأنهم مهجّرون ولا يوجد شعب في العالم يهاجر تسعة أعشاره، طوعاً من بلاده الأزلية كما يعلم الفلسطينيون ذلك جيداً والقضية الشركسية مشابهة تماماً القضية الفلسطينية وسبققتها بقرن تقريباً 19 - مع بداية القرن التاسع عشر بدأت حركات التحرر بشكل مستمر في كل من اليونان وبلغاريا ودول يوغسلافيا وغيرها.. فأرادت أن تقضي على هذه الحركات بواسطة الشركاسة، وهي الفترة الحرجة ما بين عامي /1860- 1877م/ حيث تم إسكان الشركاسة المهجّرين، على شريط يفصل بين القرى التركية والبلغارية وغيرها من المناطق. فالوطنيون البلغار الذين يريدون القتال والتحرر من العثمانيين

==

ثلاثين ألفاً⁽¹⁾ - أسكنتهم الدولة العثمانية في مناطق الحدود الشامية المتاخمة للبادية. وأفادت منهم كحاميات عسكرية لصد هجمات البدو على المناطق الزراعية والمأهولة. وعمل الشركاسة من ناحيتهم في الزراعة في أراضي خصصتها الدولة العثمانية لهم، فأحيوا مناطق كانت مهملية وأسهموا في النمو الاقتصادي العام وبنوا في بلاد الشام ما ينوف عن 70/ قرية شركسية أضحت العديد منها مدن كبيرة في هذه الأيام. ويصف الرحالة الفرنسي - شارم - الذي زار فلسطين في العام 1880م/ أي بعيد وصول الشركاسة إليها بقليل، أولئك الذين أسكنتهم الدولة في خان متهدم يعرف بخان السوق أو خان التجار⁽²⁾ يقع بين الناصرة وطبريا.

وجدوا أمامهم الشركاسة الذين لم يكونوا على علم بالأعياب العثمانيين السياسية.. فاضطروا إلى محاربة البلغار وشعوب البلقان الأخرى، دفاعاً عن أنفسهم، وبذلك تم تحميل الشركاسة والبلغار وغيرهم خسائر جبهة القتال من الأرواح والطاقات، والعدو الحقيقي الأتراك يتفرجون. وباختصار شديد فإن (معاهدة برلين) التي وقعت بعد الحرب بين روسيا القيصرية، والدولة العثمانية في 3/ مارس عام 1878 م / كان أهم شرط فيه هو إصرار روسيا والأوروبيين، على إعادة تهجير جميع الشركاسة الذين يقطنون في منطقة البلقان، إلى داخل أراضي الدولة العثمانية الآسيوية..

(1) من أصل مليوني مهاجر شركسي أسكنت الدولة العثمانية حوالي 18 / ألف عائلة شركسية في بلاد الشام والعدد المذكور في هذه الموسوعة غير صحيح فعلى سبيل المثال لا الحصر هناك وثيقة في أرشيف رئاسة الوزراء التركية بضرورة أن يتم في عام 1879 م / ترحيل (150) ألف شركسي من البلقان..

(2) هذا الخان بناه ابن المزلق في عصر دولة سلاطين الشركاسة كما بنى عدة خانات أخرى وابن المزلق هو: "شمس الدين ابن المزلق (754 هـ - 848 هـ) الموافق (1353م - 1444م) المدفون بطريق مقابر باب الصغير الذاهب إلى الصابونية، أنشأها رأس الخواجكية، تاجر الخاص الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي بكر المعروف بابن المزلق(2). ميلاده سنة أربع وخمسين وسبعمائة، وكان أبوه لبانا. أدركه جماعة وهو يباشر ملبنته عند جامع يلغا بدمشق، فنشأ ولده هذا ودخل في البحر، وحكى عن نفسه أن أول سفرة سافر بها كسب فيها مائة ألف دينار وثمانمائة ألف درهم، وانفتحت الدنيا عليه، وعمر أملاكاً كثيرة وأنشأ على درب الشام إلى مصر خانات عظيمة بالقنيطرة وجسر يعقوب(2)

==

وكانت تعقد في هذا المكان، كالسابق سوق أسبوعية كل يوم اثنين يقصدها البدو لبيع الخيول وشراء الحاجيات. وقد وجد الشراكسة في هذه المنطقة الهضبية ما يشابه مناطقهم الأصلية، وامتنهوا كالسابق، تربية الجياد إلى جانب الزراعة.



طرق تهجير الشراكسة من وطنهم في شمال القفقاس منذ عام /1860م/. مع ملاحظة عدم رضائي لرسم شمال سورية بهذا الشكل، لأن لواء الإسكندرونة وكليكياء.. جزء لا يتجزأ من سوريا. والحدود الأصلية لسورية هي حتى جبال الأمانوس الظاهرة جلياً في الخريطة، وهي حدود طبيعية وتاريخية لبلاد الشام حتى آخر أيام حكم السلطان الشركسي فاتصوه الغوري الذي استشهد في معركة مرج دابق وهو يقاتل الغزو التركي، وكان عمره /76/ عاماً وقطع أصحابه رأسه حتى لا يعرفه العثمانيون، ودفنوا رأسه في غزة هاشم.

والمنية (2) (وعيون التجار)، أنفق على عمارتها ما يزيد على مائة ألف دينار، وكل هذه الخانات فيها الماء، وجاءت في غاية الحسن، ولم يسبقه أحد من الملوك والخلفاء لمثل ذلك، وهو صاحب المآثر الحسنة بدرج الحجاز، ووقف على سكان الحرمين الشريفين الأوقاف الكثيرة الحسنة.. - المؤلف عدنان قبرطاي -.

ولكن الرحالة - شارم - يقول إن المناخ الجديد كان يؤثر عليهم ويقضي على بعضهم، كما أن السكان المحليين لم يرحبوا بهم⁽¹⁾.

وتورد سالنامة ولاية سورية للعام /1299هـ= 1881- 1882م/ قائمة بأسماء الألووية والأقضية والقصبات والقرى التي أقام فيها المهاجرون الشراكسة إلى بلاد الشام، وأسماء قبائلهم وأعدادهم ويبين الجدول (❖) من أقام منهم في لواءي عكا والبلقاء، وقد أبقينا الأسماء كما وردت في السالنامة.

(1) يقول أحمد وصفي زكريا في كتاب الريف السوري ص/507/ عن الشركس المهجرين ما يلي: [فاستقروا هنا بعد أن أضعوا ودفنوا كثيراً منهم في مقابرها نتيجة اختلاف المناخ والبيئة وكوارث الهجرة.] ونشرت مجلة اللطائف النصف شهرية التي تصدر في القاهرة منذ عام /1886م/ في عددها /209/ مقالاً تحت عنوان (الجرس في داخلية سورية) وكتبت ما يلي: (.. واجتهاد هؤلاء (الشراكسة) الأقوام في الزراعة والصناعة يفوق الوصف فتراهم يحرثون الأراضي بهمة لا تعرف الكلل ويزرعونها فتأتي بأجود الأثمار وقد بنوا المباني الفخمة وشيدوا سوقاً جميلة في القنيطرة حيث بنت الحكومة جامعاً للعبادة وسرايا لهم (فوق الخان القديم) وأقاموا أماكنتهم على طريقة موافقة لهم، وبنوا الأفران للخبز وعقدوا أسواقاً عامة في يوم الجمعة، لجميع القرى المجاورة فيأتون ويصلون الجمعة ويبعثون ويبيعون وقد اصطنعوا المركبات للنقل (عربات تجرها الثيران والخيول) ومهدوا لها الطريق، وصاروا يحملون الأحمال عليها عوضاً عن البهائم والجمال التي يستعملها جيرانهم لهذه الغاية. وقد أتقنوا صناعتهم سواء كان في النجارة أو الحدادة والسكافة وغيرها وحذقوا في الزراعة فغرسوا الأشجار وزرعوا الحبوب وربوا المواشي وصنعوا الجبن ونحوه فأنت مزروعاتهم بغلال وافرة صيفاً وشتاءً لأن الأراضي خصبة والاعتناء مستوف حقه. ولما مضى على مهاجرتهم سبع سنين عاملتهم الحكومة معاملة الرعايا العثمانيين في دفع الأموال الأميرية وأخذ العُشر من حاصلاتهم والعسكر من رجالهم ونصبت جماعة منهم في دوائر الحكومة فقاموا بالخدمة أحسن قيام وكانوا عنوان الصداقة والأمانة. وهم (الشراكسة) جميلو الصورة أقياء البنية تغلب حدتهم على اللطف غالباً فيسترها جمالهم وقد اعتادوا الكرم، ومن طبيعتهم الوفاء والأمانة وعدم التلاعب أو الخيانة في البيع والشراء حتى علموا المكارين الذين يبيعونهم أشياءهم التمسك بالصدق والاستقامة وهم مسالمون لجيرانهم والذين حولهم يشددون النكير على من يعتدي عليهم..

ويتبين لنا من الجدول (❖) أن معظم المهاجرين من شراكسة ومن الروملي = (روميلية⁽¹⁾) أسكنوا في المناطق الشمالية من فلسطين،

الجدول رقم (❖) أسماء قبائل الشراكسة وأماكن إقامتها في فلسطين العربية:

النوا - القضاء أو القرية - اسم القبيلة - وعدد أفرادها بالذوات - حاكواي - أرياح - مجموع الذوات - مجموع السكان - المجموع العام .	
عنا - صفا - ربحانية - روملي - 13 - توغين - أبوخ - 1 - 17 - جابسخ - - - - 40 - 71 - 389 - 180 -	
عنا - طبريا - كفر كما - - - - 3 - 165 - 9 - 184 - 208 - 241 - 449 -	
عنا - حيفا - غابة - - - - 32 - 167 - 199 - 145 - 251 - 396 -	
بلقاء - سلط - عمان - - - - 43 - 43 - 529 - 720 - 1270 -	
بلقاء - جين - جبول - - - - 32 - 7 - 214 - 4 - 32 - 13 -	
المجموع :	

(1) هذه الكلمة تشير إلى دول البلقان في اللغة التركية ولا تشير إلى قوم معين كما توحي هذه الكلمة في الموسوعة هذه 9. - المؤلف عدنان قبرطاي - .

المذكورة بالنسبة لهؤلاء المهاجرين الشراكسة ليس لها من قيمة ثابتة ويبلغ وسطيتها في المجموع العام حوالي / 2، 4 / نسمة وهو أقل من الوسطي (5) المتعارف عليه في السالنامة ذاتها بالنسبة للخيمة أو البيت في العشيرة البدوية، وربما كان تفسير ذلك أن هجرة الشباب في الأسرة، من إناث وذكور، قد تمت أولاً. كما أن ارتفاع نسبة الذكور إلى الإناث، بين القبائل الشركسية القادمة، بشكل غير عادي⁽¹⁾، كما يظهر الجدول، يدل على أن العنصر المحارب من الذكور، خلال السنة الأولى أو السنتين الأوليتين من الهجرة، كانت له الأولوية ريثما يستتب لهم الأمر وتستكمل أسباب الهجرة لبقية أفراد العائلة.

أو ربما كانت هذه النسبة من السكان هي التي قدر لها أن يحافظ عليها. ولعل حجب النساء له تأثيره أيضاً في عدم معرفة عددهن الحقيقي. ونلاحظ أيضاً في الجدول نفسه أن مجموع المهاجرين البالغ /270، 1/ شخصاً قد توزع على خمس قرى.

وبالرجوع إلى قوائم شوماخر بعد حوالي خمس سنوات نجد توزع الشراكسة في لواء عكا كما هو مبين فيما يلي:

القضاء	القرية	عدد الخانات	عدد السكان
صفد	ريحانية	89	445
طبرية	كفر كما	230	1 150
حيفا	٩	26	130
المجموع	=	345	1 725

ونستدل من قائمة شوماخر أعلاه أن قرية ريحانية التي كان فيها عام 1881م / — / 1882م / ما مجموعه /180/ شخصاً من المهاجرين

(1) هناك مصادر كثيرة تقسر هذه الظاهرة مفادها، أن الأضعف هم الذين ماتوا من المعاناة التي لا يتحملها البشر على الشواطئ الشركسية أثناء التهجير وما بعدها وعلى الشواطئ العثمانية... المؤلف عدنان قبرطاي -.

الشراكسة قد اقتصرت بكاملها عليهم بعد حوالي خمس سنوات، وأن هؤلاء ازداد عددهم إلى /445/ شخصاً، وينطبق الأمر نفسه على قرية كفر كما إذ ارتفع عدد الشراكسة فيها من /449/ شخصاً إلى /10150/ شخصاً، واقتصرت القرية كلها عليهم، كما يبدو في الإحصاء. وهذا يعني أن الشراكسة إما أنهم أسكنوا في قرى خربة، أو أن السكان المحليين كانوا قلة فيها، ثم هجروها لصالح الشراكسة، بدليل أن الرحالة - شارم - الذي زار فلسطين في العام /1880م/ ذكر أن هناك عداً بين السكان المحليين والقادمين الشراكسة. وبالنسبة لقرية - غابة - فإن قائمة شوماخر عن قضاء حيفا لا تضم قرية بهذا الاسم، كما لم تذكر فيها قرية فيها سكان شراكسة، ولكنها ذكرت في السلنامة العثمانية أعلاه.

ولكن الشراكسة ذكروا كتجمع سكاني إلى جانب البشناق⁽¹⁾، وكل فئة قائمة بذاتها. ويضم تجمع الشراكسة /26/ خانة أي /130/ شخصاً وتجمع البشناق /53/ خانة أي /265/ شخصاً⁽²⁾.

(1) وهم من الشراكسة الذين ولدوا في البوسنة (البوشناق) أثناء إقامتهم هناك لمدة /16/ سنة ويزيد / قبل تهجيرهم من هناك بعد الحرب التي جرت عام /1877م/. وأصبح نفوسهم بوشناق. وبقي البوشناق في بلده الأصلية ولم يهاجروا أبداً، لأن مؤتمر برلين أقر تهجير الشراكسة فقط في تلك الأيام. وقد أسس الشراكسة القادمون من دول البلقان (الروم ايللي) التي كانت تتبع للدولة العثمانية وفيما بعد القادمين من (جزيرة كريت التي هجر الشراكسة إليها مع من هجر منهم إلى دول البلقان..). حي المهاجرين⁽¹⁾ في دمشق وكانوا قبل ذلك قد أسكنوا في جزيرة كريت كما قلنا سابقاً، التي كانت تدعى (اكريطش) التي وصلوا إليها بحراً عام (1865م) قادمين من أزمير. ومن هنا حصل خطأ تسميتهم بالكريتيين وهم شراكسة سجلوا في النفوس العثمانية خلال إقامتهم لمدة /13/ سنة بانهم كريتيين أسسوا حي المهاجرين والحقيقة أن الذي أسس حي المهاجرين هم شراكسة أيضاً كانوا قبل قدوم الشراكسة الكريتيين بعدة سنوات قد بدؤوا بإعمار حي المهاجرين على قاسيون..

(2) من الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - الصفحة /920/+ /921/.

لم ينشر من الوثائق المتعلقة بالهجرات التي حدثت ضمن الإمبراطورية العثمانية عام 1877/1878م/ سوى عدد ضئيل من المحفوظات البريطانية والفرنسية والتركية، أخرجها معهد دراسة الثقافة التركية في مجلدين قبل عشر سنين⁽¹⁾. وتعود أربع عشرة /14/ وثيقة فقط من بين مجموع الوثائق التي نشرت والتي بلغ عددها تسعمائة وثيقة، إلى الهجرات التي توجّهت إلى سورية، كتب أربعاً منها السيد - جاكسون الدرديج - القنصل البريطاني العام في بيروت. سأذكر الوثائق التي لها علاقة بشراكسة فلسطين العربية:

ويعود تاريخ الوثيقة الأولى إلى الثامن والعشرين من شباط / فبراير 1878م/. واقتبس اللورد ديربي سكرتير الخارجية البريطانية في برقية له في /25/ شباط / فبراير /1878م/ بعض التقارير الصحفية التي تذكر بأن مسيحيي هذه المنطقة قد أصيبوا بالذعر وأن حياتهم أصبحت في خطر لدى وصول اللاجئين الشركس إلى سورية، ويتساءل في برقيته عما إذا كان لهذه التقارير أي أساس من الواقع. وردّ القنصل البريطاني العام في بيروت على هذه البرقية بقوله أن حوالي /1000/ ألف لاجئ شركسي مسلم ممن سينقلون إلى دمشق قد وصلوا بيروت قبل أسبوع وأن وصولهم لم يحدث أية مشكلة في المدينة، بيد أن تأخر رحيلهم نجم عن تساقط الثلوج الغزيرة التي أغلقت الطريق إلى دمشق. وأضاف القنصل العام قائلاً: أن ألفاً وخمسمئة /1500/ لاجئ قد وصلوا إلى (عكا) قبل أسبوع وسينقلون إلى مدينة نابلس. وتبعهم قبل بضعة أيام فريق آخر يتألف من مائتي /200/ لاجئ وصلوا إلى طرابلس على ظهر باخرة نمساوي.

والوثيقة الرابعة هي تقرير آخر أرسله السيد - ايلدرديج - إلى السيد - لايارد - مؤرخة في / 19 / تموز / يوليو /1878م/. وطبقاً لهذه التقارير فإن بعض اللاجئين الذين قدموا إلى طرابلس قد وجهوا إلى (عكا).

(1) روملي دن ترك جوكليري -/1968ثانياً/1970.

وزود عشرة آلاف منهم بستة آلاف كيلو غرام من الشعير وأرسلوا إلى حماة⁽¹⁾.

-ومن بين الوثائق المنشورة تقرير أرسله السيد - جاجو - نائب القنصل البريطاني في دمشق إلى اللورد ديربي - ، وزير الخارجية⁽²⁾.

وفي وثيقة مؤرخة في /18 آذار مارس 1878م/ كتبها السيد واتكنز القنصل البريطاني العام في - لارنكا - (قبرص) وجهها إلى السيد - لايارد - السفير البريطاني في استنبول. وردت إشارة إلى بعض الكوارث الواسعة التي وقعت أثناء نقل اللاجئين إلى سورية⁽³⁾. فمثلاً كان على ظهر السفينة (أبو الهول) سفينكس التي ترفع العلم النمساوي ثلاثة آلاف لاجئ عندما غادرت ميناء كافالا شرقي تراقيا، متجهة نحو اللاذقية، وقد واجهتها عاصفة تجاه شبه جزيرة كارباس صبيحة الخامس من آذار مما اضطرها إلى تغيير وجهتها نحو - فاما غوستا - (قبرص) لتبقى هناك مؤقتاً حتى تهدأ العاصفة، ولكنه في ذلك اليوم بالذات قذفت موجة كبيرة أربعين لاجئ من على ظهر السفينة إلى البحر فغرقوا جميعاً. كما شب حريق ذلك المساء أدى إلى موت خمسمائة لاجئ آخر. أما الباقيون فقد انقذتهم سفينتان تصادف وجودهما في المنطقة المجاورة، أحدهما بريطانية والأخرى فرنسية، وقد روى هذا الحادث المأساوي قبطان سفينة اللاجئين المدعو ايفانكس في تقرير له⁽⁴⁾.

(1) روملي دن ترك جوكليري ص /543/.

(2) المرجع نفسه - ص/360 - 361/.

(3) المرجع نفسه - ص /387 - 390/.

(4) روملي دن ترك جوكليري - ص /389/. وهناك مصدر يقول بأن الناجين قد أرسلوا إلى فلسطين - كانت المحطة الأولى للشركس الناجين من مأساة السفينة النمساوية / سفينكس / هي منطقة خربة الشركس أو غابة الشركس التابعة لقيسارية الواقعة بالقرب من مدينة حيفا على ساحل البحر الأبيض المتوسط - المؤلف عدنان قبرطاي - .

ويبدو أن أعداداً من الشراكسة قد حاولوا العودة إلى أملاكهم وقراهم التي بنوها في البلقان لمدة ستة عشر عاماً بعد توطينهم هناك من قبل الدولة العثمانية بعد طردهم من بلادهم شركيسيا، ومما يؤكد ذلك ما جاء في وثيقة بريطانية مفادها ما يلي: (من السيد ماليت القائم بالأعمال البريطانية في القسطنطينية إلى ماركيز سالزبوري وزير الخارجية البريطانية. - القسطنطينية (استانبول) / 18 نيسان 1879م / - سيدي، إشارة لرسالة سعادتكم رقم / 1559 / تاريخ / 11 أيلول، يشرفني أن أرسل لكم نسخة من مذكرة فخامة الباب العالي / العثماني / التي يقول فيها بأنه صدر تعميم لسلطات المقاطعات في القسم الآسيوي من تركيا يطلب منها منع عودة الشراكسة إلى مقاطعات القسم الأوربي من تركيا...

وتكشف دراسة بعض الوثائق في محفوظات رئاسة الوزراء في استانبول أنه برغم التدخل الأجنبي كله تم توطين اللاجئين المسلمين في بعض أجزاء سورية خلال الثلاثين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر، وكانت القنيطرة وما حولها إحدى "المدن"⁽¹⁾ التي وقع عليها الاختيار لتكون مركز توطين مكثف. وفي بادئ الأمر، تم إسكان فريق من 300 - 400 / ثلاثمائة إلى أربعمائة لاجئ هنا في القنيطرة عام / 1872م /⁽²⁾. ووطن فيما بين عامي / 1876 - 1879م / جماعة أخرى في المدينة ذاتها وصلوا من القوقاز (قفقاسيا) وزود هؤلاء اللاجئين بالحبوب والشيران كمساعدة أولية⁽³⁾... كما كانت حماة وحمص و(نابلس) مناطق أخرى لتوطين اللاجئين (الشراكسة). وفي عام / 1883م / وطن لاجئون قادمون من - روسكك في بلغاريا في قرية قرب حماة سميت (الحميدية)⁽⁴⁾. ووزع

(1) لم تكن حتى قرية عندما وصلها الشراكسة، كان فيها فقط خان متهدم من تأثير زلزال عام / 1759م / - المؤلف عدنان قبرطاي.

(2) المرجع نفسه - ص / 360 - 361 /.

(3) باسباكانليك أرسيفي (محمفوظات رئاسة الوزارة) أراى داهيلية رقم / 61966 /.

(4) المرجع نفسه - ص / 1310 - 7 /.

اللاجئون في سورية عن طريق موانئ اللاذقية وطرابلس وبيروت (وعكا)⁽¹⁾.

1 - الوجود الشركسي في فلسطين العربية:

الرحالة لورنس أوليفنت يؤكد في كتابه (أرض جلعاد) قدوم شراكسة قيسارية في فلسطين إلى عمان ثم رحيلهم عنها وعودتهم إلى منطقة الغاب التابعة لقيسارية، ويبين أوليفنت أنه (عندما حضر إلى عمان سنة 1879م/ قادماً من القنيطرة وجد أن الشركس قد استقروا فيها، وأخبره بعضهم أن زهاء 500/ مهاجر شركسي وصلوا إلى عمان قبل ثلاثة أشهر من وصوله إليها. غير أن بعضهم لم يعجبه الموقع فارتحلوا عنه ولم يبق سوى 150/ شخصاً. إن ما سلف يثبت أن شركس السفينة سفينكس المنكوبة كانوا طلائع المهاجرين الذين نزلوا في فلسطين وشرق الأردن، كما يثبت عدم وجود أي تجمع شركسي في عمان قبل مجيئهم إليها.

2- نزول الشركس في / غابة الشركس / أو خربة الشركس في فلسطين:

كانت المحطة الأولى للشركس الناجين من مأساة السفينة النمساوية / سفينكس / هي منطقة خربة الشركس أو غابة الشركس التابعة لقيسارية الواقعة بالقرب من مدينة حيفا على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وكانت منطقة قيسارية قد خصصت في عام 1880م/ لمهاجري البوسنة، وصارت فيما بعد قرية عظيمة بعد خمس سنوات من وصول المهاجرين إليها. وحدث أن زار والي سورية / ناشد باشا / في عام 1885م/ قرية قيسارية ضمن عدة مناطق في فلسطين قام بزيارتها في تلك

(1) بحث للدكتورة - أمل دوغراماشي - من (جامعة حاجي تبه - أنقرة) في المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام الذي عقد في جامعة دمشق - كلية الآداب - الجزء الثاني من عام 1516 - 1939م / - ترجمه عن الإنكليزية الدكتور - محمد منير صلاح الأصبحي. ص / 283 ÷ 290.

السنة، فقام بتحويلها إلى مركز ناحية، وأصبحت منطقة غابة شركس أو خربة الشركس⁽¹⁾ تابعة لها. كما أمر الوالي مدير ناحية قيسارية بالعمل على تقديم كل ما يحتاج إليه المهاجرون، وأوصاه باتخاذ الوسائل الكفيلة بتوفير مثل هذه الاحتياجات. كما أمر الوالي أيضاً بإنشاء دائرة حكومية يكون من أول أهدافها إقامة هيئة لمديرية الناحية. وأمر أيضاً المهندس المرافق له باختيار موقع ملائم لإقامة الدائرة الحكومية عليه⁽²⁾، وطلب من قائم مقام قضاء حيفا مساعدة مديرية الناحية في تشييد البناء، وكان قضاء حيفا في سنة /1885م/ يتبع لواء عكا الذي كان بدوره يتبع ولاية بيروت⁽³⁾. إن أول وثيقة تثبت وجود الشركس في غابة الشركس من السجلات العثمانية الرسمية المتاحة هي الوثيقة المؤرخة في /1883م/ التي تحمل الرقم /7/ صفحة /235/ من سجلات محكمة حيفا الشرعية، المجلد رقم /5/، حيث أن المجلد رقم /1/ من سجلات المحكمة الشرعية لحيفا الذي يغطي الفترة الواقعة ما بين /1872م/ و /1876م/ لم يسجل أي قضية لأي شركسي⁽⁴⁾، وهذا يثبت أيضاً أن الشركس لم يكونوا قد وصلوا إلى المنطقة قبل عام /1878م/. كانت أراضي غابة الشركس محاطة من جميع الجهات باستثناء الواجهة الغربية بأراضي النفعيات وأراضي الشيخ حلو⁽⁵⁾، وقد أتت بعض العائلات الشركسية التي سكنت الغابة من /البوسنة / (التي هجر إليها قسم من المهجرين الشركسية عام

(1) سجلات المحكمة الشرعية، شريط حيفا رقم: /141/، مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية - مجلد رقم: /5/، نومرة /64/، 12 ذي الحجة 1319هجرية 1901م/.

(2) جريدة سورية نومه /1131/ 4/ صفر سنة 1305هجرية الموافق لعام /1887م/.

(3) سجلات المحكمة الشرعية، شريط حيفا رقم: /141/، مجلد رقم /2/ صحيفة رقم /21/ نومه 26/45 شوال /1305هجرية /1887م/ + جريدة سورية نومه /1131/، 4/ صفر سنة /1305هجرية الموافق لعام /1887م/.

(4) المرجع نفسه، صحيفة رقم /21/ نومه 26/45 شوال /1305هجرية /1887م/.

(5) المرجع نفسه - صحيفة رقم /225/ نومرة /8/ رجب 1308هجرية /1890م/.

1860 ÷ 1864م / القادمين من شركيسيا). مثل - صالح بن بكر الشركسي - و- ظريفه بنت آغا⁽¹⁾ - ومن الروملي مثل - إسماعيل الشركسي - كما كان مختار القرية في عام 1311 هجرية الموافق لعام 1893م / أحمد شاويش وإمامها - صالح أفندي⁽²⁾. وفي عام 1319 هجرية - 1901م) توفي المختار صالح حافظ بن يزيك بن جوجي بن خورش الشركسي الذي أصبح مختاراً بعد وفاة مختارها السابق - أحمد شاويش، وفي سنة 1320 هجرية، 1902م / أصبح مختار القرية - محمد آغا بن شوماف الشركسي - كما أصبح إمامها الشيخ عبد الفتاح عبد الكريم الحماد⁽³⁾. لقد أوردت السجلات الشرعية أول ذكر لقرية - كفر كما - الشركسية التي كانت تتبع طبريا في عام 1332 هجرية - 1914م/. حين ذكرت (أن حسين الشركسي من أهالي غابة الشراكسة التابعة لقضاء حيفا، والمستوطن اليوم في قرية كفركما، حضر لمحكمة حيفا من أجل قضية توكيل من قبل المدعو - لامبلاز الشركسي -⁽⁴⁾)، إن هذه الوثيقة التي أثبتت أن أحد مواطني غابة الشركس قد انتقل ليستوطن في عام 1332 هجرية - 1914م / في قرية - كفر كما - الشركسية تلقي الضوء على قضية اختفاء الغابة أو الخربة في وقتنا الحالي، فالوثيقة تثبت حدوث عملية نزوح وهجرة من الغابة إلى قرية كفر كما، ومن المؤكد أن عملية الهجرة هذه استمرت من غابة الشركس إلى - كفر كما - حتى لم يبق شركسي واحد في الخربة المذكورة.. فقد أورد المرحوم / رجب تسي / أن الملايا والأويئة فتكت بالشركس الذين عادوا من عمان إلى

-
- (1) المرجع نفسه، مجلد رقم 3/ صحيفة نومرة 16/16 رمضان / 1309 هجرية الموافق لعام / 1891م.
(2) المرجع نفسه، مجلد رقم 3/ صحيفة نومرة 23/199 ذي القعدة / 1311 هجرية 1893م.
(3) المرجع نفسه، مجلد رقم 9/ نومره 26/638 ربيع الأول / 1332 هجرية الموافق لعام / 1914م.
(4) المرجع نفسه.

غابة الشركس، وهذا سبب كاف لترك منطقة الغاب من جديد والهجرة ثانية لوادي السير وكفركما وأنه سبب وجيه لبيع أراضي الكثير من أبناء قرية الغاب النازحين إلى وادي السير ما آل إليهم بالوراثة من أراضي منطقة غابة الشركس، مثلما فعلت المدعوة - فاطمة بنت المرحوم عثمان بن عبد الكريم حتو الشركسية - من سكان وادي السير والوراثة لأبيها المتوفي في قرية الغاب، فقد باعت قطعتي أرض مقدار كل منهما ستون دونماً، وتقع إحداهما في موقع / خور المسحة / والثانية بموقع / خشنة الخارجي / من أراضي قرية الغاب⁽¹⁾، كذلك فقد باعت المدعوة - حنيفة بنت يقال إسماعيل - من أهالي وادي السير قطعتي أرض آلت إليها بالوراثة أيضاً من أراضي قرية الغاب، وتبلغ مساحة كل منهما ستين دونماً بثمن قدره / أربعون ليرة فرنساوية⁽²⁾. / كما أن صالح بن زكريا حتو المهاجر الشركسي لقرية وادي السير وأحمد بكماز دودوخ باعا أربع قطع يملكونها من أراضي القرية المذكورة وذلك في موقع عيون عليان، وخور حسن إبراهيم⁽³⁾ والعرين⁽⁴⁾. من هنا نستطيع الإجابة عن التساؤلات التي أثيرت حول مصير باقي سكان غابة الشركس، الذين انتقلوا من موقعهم إلى عمان في عام / 1878م /، ومن ثم عاد نصفهم إلى منطقة غابة الشركس، وهناك فتكت بهم الأمراض فاضطروا إلى النزوح لموقع كفر كما والريحانية، بينما انتقل منهم خمس عائلات من قبيلة الأبخاخ إلى وادي السير وحلوا بين أهلهم من عشائر الأبخاخ الشركسية⁽⁵⁾.

-
- (1) سجلات محكمة السلط الشرعية، رقم /15/ سجل حجج شرعية /1326 - 1328 هجرية / نومه /126: 178، 14 رمضان /1328 هجرية - 1910م /.
- (2) سجلات محكمة السلط الشرعية، رقم / 17 / سجل الإعلانات الشرعية، نومه /52/، 137، / 12 محرم /1330 هجرية - 1911م /.
- (3) سجلات محكمة السلط الشرعية، رقم /15/ سجل حجج شرعية /1326 - 1328 هجرية / نومه /143: 189، في /3/ ذي القعدة / 1328 هجرية - 1910م /.
- (4) المرجع نفسه.
- (5) استنتاجات الباحث جودت ناشخو على ضوء الوثائق التي توفرت له.

[إن حضرة - دولتو - ناشد باشا - والي الولاية العالي / 29 آب / في عهد قائمقام قضاء حيفا عزتلو - أمين بك - . من ضمن المناطق الذي زارها الوالي - قيصرية - . تقول الجريدة (ثم ذهب إلى قيصرية الكائنة في القرب من حيفا على الساحل البحري والتي خصصت من قبل مهاجري - بوسنة - صارت قرية عظيمة في خلال هذه الخمس سنين الأخيرة وجعلت مركز ناحية وقام فيها مدير، ولدى وصول دولته إليها أمر مديرها بالتحقيق على ما يحتاج إليه أولئك المهاجرون الرافلون بنعم الراحة والرفاهية في ظل الحضرة العلية السلطانية، وأوصاه باتخاذ الوسائل المؤدية لإتمامها، ثم رأى دولته لزوماً لإنشاء دائرة حكومية في المحل المذكور يكون مختصاً بإقامة هيئة المديرية وأمر المهندس الذي كان بمعيته بانتخاب موقع بناء، ثم رسم خريطة، وساعد قائمقام القضاء بالمباشرة بإنشاء تلك الدائرة بالمبلغ الذي صيره دولته مقابلة لذلك⁽¹⁾ .

- جاء في الجزء الثاني من الموسوعة الفلسطينية على الصفحات / 29 - 63 - 631 - وتحت بند كلمة شركس ما يلي: [أقام - الشركسة - في مناطق وزعتهم عليها الحكومة العثمانية، وكانت أحوال العيش فيها قاسية صعبة، كمنطقة المستقعات حول بيسان وشمالها الغربي بالقرب من جبولة وكساريا (قيسارية) وغيرها. وانتقل بعض من بقي منهم إلى قرية (لوييا)، ثم إلى خربة كفر كما، أو إلى قرية (علما)، قرب الحدود اللبنانية حالياً. وقد أنشأوا بعد ذلك قرية (الريحانية)، وقرية (كفر كما). واستوطنت مجموعات أخرى من الشركس خربة (أو غابة شركس)، و(خربة أسطاس) من ديار الخليل، كما سكنت بعض الأسر قرية (ضميل)، وهكذا استقر الشركس في فلسطين منذ سنة / 1878م، في عهد السلطان - عبد الحميد بن عبد المجيد... وقد تحسنت أحوال الشركس بعد أن غادروا الأراضي الزراعية السيئة التي كانوا حطوا فيها رحالهم في المرحلة الأولى من وصولهم إلى فلسطين، غادروها إلى

(1) جريدة سورية - نومرو / 1131 / / 4 صفر سنة 1305 هجرية = 1887م /.

أراضي قرיתי - كفر كما والريحانية - الصالحة للزراعة، وأخذت القريتان تتطوران بسرعة، حتى أصبحت كفر كما قبل الإحتلال الصهيوني سنة /1948م/ من قرى وقضاء طبريا الهامة. لاستقطابها النشاط الريفي لعدد كبير من القرى المحيطة بها، وكان فيها مطحنتان ومحال للحداثة والنجارة وصناعة الأحذية والخياطة وصياغة الفضة والذهب، وغير ذلك من المهن، ومحلات بيع تؤمن الحاجات المحلية للشركس ولجيرانهم العرب، وكانت مدرسة كفر كما من أقدم مدارس المنطقة، وترجع إلى العهد العثماني عام /1897م/ ويدرس فيها أبناء القرية والقرى المجاورة لها. كما كان فيها مدرسة دينية خاصة لتعليم البنات.. وبلغ عدد الشركس في فلسطين /866/ نسمة سنة /1931م/، و/950/ نسمة في سنة /1945م/ وانخفض إلى /806/ نسمة سنة /1949م/. عانى الشركس ما عاناه العرب الفلسطينيون من الإحتلال الصهيوني عام /1948م/ وقد غادرت عشرون أسرة شركسية فلسطين، واستقر معظمها في قرية - مرج السلطان - الشركسية شرق مدينة دمشق بصفة لاجئين فلسطينيين. أما السواد الأعظم من الشركس فقد ظلّ في فلسطين المحتلة.⁽¹⁾

[طرد الإسرائيليون في تشرين الأول من عام /1953م/ سبع أسر شركسية من قرية - الريحانية - بالرغم من صدور قرار عن المحكمة العليا واعتبر هذا الطرد غير قانوني. تبع ذلك مغادرة عدد من الأسر الشركسية الفلسطينية عام /1957م/ إلى تركيا هرباً من جو الإحتلال العسكري العنصري، إضافة إلى أعمال الهرب الفردية المتفرقة، وقد استمرت هذه المرحلة حتى نهاية الستينات وبداية السبعينات، انكمش فيها الشركس فيما تبقى لهم من أرض كانت مساحتها في كفر كما /8395/ دونماً، فأصبحت /6338/ دونماً، وكانت في الريحانية /6112/

(1) مجلة الإخاء الأردنية التي تصدرها الجمعية الخيرية الشركسية - العدد /24/ تشرين الثاني /1988م/.

دونماً، فتقلّصت إلى / 1607 / دونمات نتيجة الاستيلاء والمصادرة (طبعاً من قبل الصهاينة) ⁽¹⁾.

ومن مصدر آخر نجد المعلومات التالية:

[أسكنت الدولة العثمانية الشركاسة المهجّرين من البلقان في فلسطين العربية في أربع قرى هي:

- قرية - مزر - : وقد أسسها الشركاسة عام / 1878 م /، ولكنهم هجروها بعد سنوات من اكتشافهم بأنها موبوءة بالمalaria، وتركت خالية مقفرة، وفي الوقت الحاضر يعرف ذلك المكان باسم (خربة الشركس). وتقع بالقرب من الخضيرة.

- قرية قيسارية: وقد هجرها الشركس أيضاً، بعد إصابتهم فيها بالمalaria والكوليرا، وجاء قسم منهم إلى قرية كفر كما، واجتاز القسم الآخر نهر الأردن، وانضموا إلى إخوانهم الشركاسة في عمان.

- قرية كفر كما: أسسها الشركاسة عام / 1878 م / وأهلها من قبيلة الشابسوغ الشركسية، التي كانت تقطن على الشواطئ (الشرقية) للبحر الأسود، وعدد سكانها يقارب / 2220 / نسمة، وهي قرية كبيرة وجميلة وتبعد عن العفولة وطبريا / 20 / كم، وشوارعها عريضة ومستقيمة ومرصوفة بالإسفلت وفي وسط القرية يقوم مسجد ذو طابقين، تلتصق به مئذنة عالية رشيقة، وبالقرب منه يقع مقر الجمعية الشركسية بطوابقه الثلاثة، يحتوي الطابق الأول على قسمين، قسم للمكتبة العامة التي تحوي عدداً كبيراً من الكتب بلغات مختلفة. أما الطابق الثاني من مبنى الجمعية فيشغله موظفو الجمعية الشركسية الذين يتجاوز عددهم العشرين. وفي الطابق الثالث قاعة الاجتماعات ومكاتب كثيرة. وأمام الجمعية يقوم المركز الصحي... وقد افتتح روضة أطفال في كفر كما،

(1) مجلة الإخاء الأردنية التي تصدرها الجمعية الخيرية الشركسية - العدد / 24 / تشرين الثاني / 1988 م.

وتقع داخل حديقة واسعة خضراء، وهناك مبنى المدرسة المتوسطة المكون من ثلاثة طوابق، والتدريس فيها باللغة الشركسية، في المرحلة الابتدائية، وابتداءً من الصف السادس إلى الثامن، يدرس حصّتين فقط في الأسبوع باللغة الشركسية، وفي يوم واحد في الأسبوع يدرس الطلاب الحكايات الشعبية الشركسية وأساطير النار الشركسية، والمدرسة مختلطة تضم حوالي / 300 طالب وطالبة، ويقوم بالتدريس فيها خمسة وعشرين شخصاً أكثرهم من المعلمات الشركسيات، والمدير شركسي أيضاً.. أسماء العائلات الشركسية في كفر كما:

- 1 - نيسو - تحاوخوه - له بي - شوشحه - امشومج - شجاشه - -
- حخ - حتقواي - شميشوه - قتيج - غوركوج - به طواش - - حديش - بلانغابس - ...

المبحث الرابع

بعض أهداف الدولة العثمانية من إسكان الشراكسة في بلاد الشام

استخدمت الدولة العثمانية (حوالي) مليوني شركسي من المهجّرين كملاط احكام لبنائها المتداع وخاصة في المجال العسكري والزراعي، إذ جندت منهم عشرات الآلاف من فرسان ومشاة الشراكسة المشهورين في العالم بشجاعتهم وبأسلوب قتالهم المتميّز، وكل المعطيات تدل على أن الدولة العثمانية كانت قد بدأت في إنشاء تجمعات سكانية من المهجّرين الشراكسة في ولاية سورية وولاية حلب وولاية عمان، وبأعداد قليلة في البداية أي قبل عام (1870م) لتكون تلك التجمعات الصغيرة كنواة لقرى أكبر وفق مخططاتها المعدة مسبقاً قبل افتتاح قناة السويس⁽¹⁾ تلك المخططات التي ظهرت فيما بعد في وثيقة عثمانية رسمية صادرة في عام (1878م) من الاستانة باللغة التركية وبالأحرف العربية (إسكي تُرك)⁽²⁾، تولى الأستاذ خليل ترجمتها إلى اللغة العربية وهي موجودة لدى مؤلف كتاب صفحات مطوية السيد سعد أبو دية. تُظهر هذه الوثيقة أن خوف الدولة العثمانية من دخول بريطانيا إلى البحر الأحمر بعد فتح قناة السويس (من قبل أولاد محمد علي الثائرين على الدولة العثمانية، ومنهم الخديوي إسماعيل) هو السبب الحقيقي لتأسيس ولاية عمان وإسكان الشراكسة بها وعلى امتداد يبدأ من لواء اسكندرونة وحتى الأردن وفلسطين، وكان هناك محاولات غير موفقة لإسكان الشراكسة في تبوك أيضاً، وتقول الوثيقة بالنص:

(1) تم افتتاح قناة السويس عام 1869م.

(2) اللغة التركية القديمة.

[لا يخفى أن السوقيات (يعني المجندين)⁽¹⁾ إلى الحجاز وإلى اليمن كانت تجري في كل وقت بواسطة البحر الأحمر، ويذهب الحجاج بحراً حتى جده وينبع البحر، ولكنه يُتوقع ظهور مانع لسوق الجند عن طريق البحر الأحمر، فإن الإنكليز خاصة تطمع في تملك مصر، ولا تتوانى عن دس الدسائس والفتن في جزيرة العرب، ينبغي تعمير مواضع المياه، الأحواض والبرك الواقعة على الطريق من الشام إلى المدينة المنورة، اعتباراً من الآن لضمان المواصلات بين سورية والحجاز، وينبغي إقامة بلوكاً (كتيبة) من الدرك ويضع مدافع جبلية ومدفعية من طراز (4 فنده) في موضع مناسب وتشكيل قائممقامية في قرية تبوك، التي تشتت شمل أهلها عندما أخافتهم وهددتهم (عشائر) شمر قبل خمسة أو ستة أعوام، ليعودوا فيجتمعوا فيها من جديد فتعمر ويضمن لها الأمن والسلام.⁽²⁾

كما أظهرت هذه الوثيقة أن النية تتجه لتوطين البدو (دون قوة هذه المرة) وإصدار أوامر بإعمار الأرض بالمهاجرين (الشركس) وقد أشارت مقدمة الوثيقة أن مسودتها مكتوبة من قبل - كمال باشا - الذي عاش من (1832 - 1913م) وهو من مواليد جزيرة قبرص، ومن الذين تعلموا بمصر، كان يتكلم الفارسية والعربية والإنكليزية.

وكانت المنطقة معروفة بالنسبة إليه، فهو قد خدم متصرفاً في طرابلس وبيروت وحلب والقدس، وفي وقت لاحق أصبح وزيراً أعظم (أربع مرات).
ودليل تطبيق ما جاء في الوثيقة هو أن (تهجير) الشركسة بدأ فعلاً منذ تلك السنة وتوجهت إلى نفس المناطق المشار إليه في الوثيقة (التي قدمت للسيد الدكتور سعد أبو دية، من جامعة استنبول صادرة عام 1878م) في الاستانة باللغة التركية. والكتابة العثمانية بالأحرف العربية).

(1) د. جودة ناشخو: كتاب تاريخ الشركس (الأديغة) والشيشان، منشورات لجنة تاريخ الأردن، ص286.

(2) أبو دية: صفحات مطوية، ص23 (لاحظ أن البدو كانوا يغزون المدن والقرى العربية أيضاً نتيجة ظروفهم الحياتية الصعبة بسبب سياسة العثمانيين..).

هذه المناطق الممتدة من إسكندرونة وحتى الطفيلة وفلسطين.
وهناك وثيقة في أرشيف رئاسة الوزراء التركية بضرورة أن يتم في عام
1879 م / ترحيل (150) ألف شركسي من البلقان على النحو التالي
(نذكر منها العائلات التي رحلت إلى المنطقة العربية):

إلى حلب /10,000/ عائلة شركسية
إلى دمشق /5,000/ "" ""
إلى قبرص /2,000/ "" ""
إلى الاسكندرون /1,000/ "" ""
إلى الجزائر /100/ "" ""
إلى ليبيا /1000/ عائلة..

وقبل ذلك كان هناك موجات أخرى قد توقفت في تركيا لعدة
سنوات حيث تم تهجيرهم مرة أخرى إلى الجولان بحدود عام 1872م وما
بعدها ، وما أن وصل المهجّرون الشراكسة إلى سورية حتى وجّه معظمهم
نحو مناطق النزاع والاضطرابات والمناطق التي هجرها السكان الأصليون
لأسباب كثيرة..فعلى سبيل المثال لا الحصر منبج التي كانت من المدن
العشرة / الديكابولس / في سورية زمن الرومان لم يكن في خرائبها احد
عند قدوم الشراكسة اليها ، وكذلك خناصر التي كانت مركزاً من
المراكز الشتوية لعبد الملك بن مروان لم يكن في خرائبها احد.. والرقّة
التي كانت حاضرة هارون الرشيد كانت قد درست في العهد العثماني
ولم يبقَ فيها أحد وتم اسكان الشراكسة فيها وبدؤوا بإعادة الحياة في
تلك المناطق..

جدول مهاجرين (٢٣٤)

* انطاولي طرفلرند غرقت ايدن وفوت اولانلردن ماعدا *
* داخل ولايته اسكان ايديلان مهاجرلك ولايت مهاجرين *
* قومسوني طرفندن ويريلان نفوس چندوليدر *

قبيله واجناس	نفوس	
	نفر	نفر
شام سنجاني	٠	٠
مرج ساطان	١٠٦	١٧٨
حوش الدور	٨٨	١٥٥
نفس بعلبك	٢٧	٤٩
حوران سنجاني		
نفس قنيطرة	٥٦	٢٥٨
عين الزبوان	٨٢	١٣٤
جوزيه	٣٧	٣٥
اربعه	٨٠	١٦٧
بيرجم	٢٣	٦٢
روبخيه	٢٤	٥٢
منصوره	١٨٤	٢٧٨
موسيه	١٧	٢٦
حرمانو	٨٢	١٣٣
عين حرمانو	٢٨	٥٦
تكا سنجاني		
ريعايه	٥٨	٨٩

صورة عن الوثيقة رقم /10/ بين جدول بالمهاجرين الشركسية إلى الجولان وغيرها من المناطق
وعددهم عام/1884م/ مع ملاحظة أن قريتي الصرمان وعين صرمان قد كتبتا خطأ (حرمانو) أما
قرية حوش دوير الشركسية في الفوطه الشرقية فقد هجرت بعد أن مات معظم سكانها من الأمراض
المستوطنة، وسكن / ست عائلات / (وهم الذين بقوا أحياء من أصل / 84 / عائلة شركسية) في قرية
مرج السلطان الشركسية./

من هنا نجد أن قسم من الشراكسة في سورية: لم يأتوا مباشرة من بلادهم الأصلية (شمال القفقاس) إلى الجولان وغيرها من بلاد الشام..

وهكذا كان على الشراكسة المهجّرين إلى البلقان منذ عام (1860م) كان عليهم أن يقبلوا التهجير مرة أخرى وفق احتياجات وأهواء الحكومة العثمانية التي وزعت بعضهم إلى بلاد الشام على طول خطوط المعمورة بين الفرات ونهر الأردن بل إلى فلسطين. تاركين مرة أخرى كل ما بنوه وما جنوه خلال أكثر من 16/ سنة في البلقان..

أما هدف خطة الإدارة العثمانية (التركية) من العمل على استقرار الشراكسة في الجولان وغيرها فهو أن تجعل منهم الحراس الساهرون على الأمن والنظام في هذه المنطقة المضطربة، (مستغلين وضعهم المأساوي في تلك الأيام).

في محافظات حلب وحمص ودمشق أسكنتهم على سيف البادية السورية لاستخدامهم في أغراضها الأمنية والاقتصادية وأمور أخرى. من أقوال العلامة أحمد وصفي زكريا عن الشركس: [هاجروا تبعاً ولجؤوا إلى البلاد العثمانية في عهد السلطان عبد العزيز (1277 - 1293هـ) الموافق (1860 - 1876م) فأقطعتهم الدولة العثمانية وقتئذٍ عدة قرى مبعثرة في بلاد الروملي (البلقان) والأناضول وفي بلاد الشام حول رأس العين (الجزيرة) وحلب وحمص وحمما ودمشق واللاذقية والجولان والبلقاء شرقي الأردن] ⁽¹⁾..

وكان للفرسان الشراكسة فيما بعد دور كبير في حماية الخط الحديدي الحجازي.

منذ أن وطئت أقدام الأجداد الشراكسة ثرى هذا الوطن الحبيب (شام شريف) في منطقة حلب، خلعوا أحذيتهم ومشوا في الأرض التي

(1) د. جودة ناشخو: كتاب تاريخ الشركس (الأديغة) والشيشان، منشورات لجنة تاريخ الأردن، ص286.

يعتبرونها مقدّسة حفاة حتى أقنعهم بعض رجال الدين، انتعال أحذيتهم. وقد وصل إلى الجولان، القسم الأكبر من الشراكسة المهجرين إثر حرب البلقان عام 1877م وما بعدها وفي هذا الحرب كان هناك معارك ضارية بين الدولة العثمانية والقيصرية الروسية في القفقاس نفسها، هُجر بعدها من القفقاس الشمالي إلى الدولة العثمانية، وفق تقرير هيئة الهجرة العثمانية التي أوردت ما يلي:

في عام 1877م هُجر من الأباظة الشراكسة فقط /100/ ألفاً أي من أبخازيا مباشرة إلى مختلف المناطق العثمانية وخاصة ضمن تركيا.

، وفي عام 1878م هُجر من البجدوغ الشراكسة فقط 150 ألفاً من بلادهم شركيسيا مباشرة، إلى مختلف المناطق العثمانية، وصل طلائع المهجّرين إلى سورية وإلى الجولان العربي السوري بشكل خاص، وهم أشلاء وأشباح، ضحايا ناجية من الموت المحقق..على مدار أجيال متعاقبة، كان همهم في بلدان الشتات ولفترات طويلة البقاء أحياء من أجل أولادهم وعائلاتهم، والحصول على سكن مناسب وطعام يقوتهم وتدفئة لعائلاتهم المرضى من جراء سوء التغذية وتعب الترحال وعدم ملائمة مناطق إقاماتهم الجديدة وانتشار الاوبئة والأمراض فيهم التي كانت تحصدهم حصداً، لقد كانوا في وضع يرثى له.

ومن خلال المثابرة والنشاط الذي امتاز به الشراكسة في سورية، بنوا قراهم التي زادت عن الخمسين قرية في سورية (وأضحت فيما بعد عدة قرى منها مدن كبيرة)، وعزقوا أراضيهم (التي لم تزرع من قبل لفترات طويلة..) وزرعوها وربوا الأبقار (التي اشتهرت فيما بعد باسم البقر الجولاني الذي ذاع صيته من حيث ملاءمتها المنطقة..) كما اهتموا بتربية الخيل وخاصة الأصيلة منها. كما خزنوا العلف لحيواناتهم مما ساعد على رفع مستوى معيشتهم، وسكنوا في (18) قرية بنوها من الصفر بأنفسهم حول القنيطرة ((التي أعادوا بنائها بعد أن كانت دراسة إثر الزلزال المدمر التي حدثت في عامي /1758- 1759/ م إذ تعرضت المنطقة لزلزال عنيف مدمر، أسفر عن تدمير العشرات من المواقع في بلاد الشام، ولا سيما في

الجولان، فقد ذكر الشيخ احمد البديري الحلاق في كتابه « حوادث دمشق اليومية » أن « خان القنيطرة » وقع في هذه الزلزلة، على كل من كان فيه، فلم يسلم من الدواب والناس إلا القليل⁽¹⁾».

وكانت قراهم على خط توزع المياه (الرقاد واليرموك من الشرق وسهل الحولة من الغرب) حول سلسلة الجبال البازلتية الممتدة من العدنانية (الصرمان) وسفوح الشعف وجبل عكاشة هذه السفوح التي استغلها الشراكسة وحولوها إلى بساتين خضراء يانعة بعد أن كانت مليئة بالأحجار والأشواك، وبنوا قراهم التي امتازت بنظافتها وسعتها والمستوى الرفيع لطرزها المعماري كما تميّزت الطرق التي أنشؤها والتي ربطت بين القرى الشركسية بجودتها وسهولة السير عليها وسارت عليها العربات الشركسية ذات العجلتين التي تجرها الثيران بسهولة على الطرق الواصلة بين جميع القرى الشركسية وغيرها من القرى. كما بنوا /9/ قرى في اسكندرونة السوري وقريتين في الساحل، وثلاث قرى في منطقة حلب وقرية الرقة ورأس العين وغيرها.. وتوسع قرى في حماة وحمص وقريتين في ريف دمشق اضافة لبناء حي المهاجرين على قاسيون دمشق، وأربع قرى في ريف درعا..

وكان أول مركز تجمع فيه الشراكسة بشكل كبير، هي القنيطرة عام 1872م حول الخان القديم حيث بنوا قرية كبيرة من خرائبها، تطورت فيما بعد إلى مركز محافظة القنيطرة بسبب توافد إليها الكثير من المواطنين من مختلف المناطق، بينما نشأت القرى الأخرى حول القنيطرة نفسها أو المناطق الجنوبية من الجولان.

وفيما يلي مناطق تجمع الشركس في الجولان وعددهم وفق سجلات النفوس الرسمية علماً أن عدد المكتومين في حينها كان كبيراً. أي ما قبل عام 1958 م

(1) م. س قبرطاي ص 90.

اسم القرية	عدد السكان	القبائل الشركسية الرئيسية فيها	تاريخ الإنشاء	الملاحظات
1 - القنيطرة	4000	قبرطاي+أبزخ+شيشان+ داغستان..	1872 م	
2 - المنصورة	1670	أبزخ + بجدوغ	1872 م	
3 - صرمان(عدنانية)	1345	بجدوغ+أبازة + قبرطاي	"" ""	
4 -مُدارية(قحطانية)	193	قبرطاي	"" ""	
5 -عين زيوان	1270	أبزخ	"" ""	
6 -مومسية(غسانية)	335	أبازة	"" ""	
7 -الجوية	650	أبزخ + قبرطاي	"" ""	
8 -بُرعجم	703	أبزخ + قبرطاي	"" ""	
9 -بريقة	848	أبزخ	"" ""	
10 -الخشنية	1936	قبرطاي+ أبزخ+ أبازة + قر تشاي	1897	
11 -الفتحام	346	أبزخ + قبرطاي	1912	
12 -فزاره	50	قوشحه	؟	
13 -روحينه	70	بجدوغ + قبرطاي	؟	تركت للبدو
14 -مزرعة الفرج	30	قوشحة	1922	
15 -الحميدية	-	قبرطاي	1922	تركت للبدو
16 -صمدانية	-	شيشان+ غلغاي	""	للفلاحين
17 -شوكتلية	-	قبرطاي	""	للفلاحين
18 -الروضية+ الزبيدة	؟	المعلومات عنهما غير متوفرة	؟	وردت في بعض المراجع وهما غير موجودتان حالياً (؟)
المجموع	14556		ما قبل عام 1958 م	

وقد أُوجدت هذه التجمعات السكانية الصغيرة في أزمدة مختلفة، فالحجرات الشركسية ظلت تتوالى على الجولان منذ ما قبل عام 1872م حتى عام 1947م.

ويتميز قدوم الشركاسة إلى سورية كعائلات وعشائر شملت الرجال والنساء والشيوخ والأطفال ، وهم يتبعون لقبائل شركسية كبرى مختلفة، وقد حملوا معهم بعض المتاع والأدوات الخاصة بهم بالإضافة إلى أسلحتهم الشخصية المميزة لهم السيف الشركسي (ساشكا) و(القاما). التي تعتبر مكملاً لزيهم القومي الذي كانوا يتمنطقون بهما وهما جزء لا يتجزأ من هذا الزي ، مثل الخنجر اليمني بالنسبة لليمنيين وأيضاً بالنسبة للعُمانيين.

كانت (القنيطرة) القرية القديمة الدارسة أنقاضاً خالية من أي مظهر للحياة إلا من خانها الحرب، عند بداية قدومهم إليها، فوجد الشركس فيها ملجأً لهم في أول الأمر في (الخان) القديم الذي بقي صامداً جزئياً، أمام عوامل الزمن، ثم بدؤوا يبنون بيوتهم على عجل وخاصة إذا علمنا أن الطقس البارد الماطر والمثلج في فصل الشتاء يحتاج إلى سرعة في البناء، أي بناء يأويهم كعائلات من هذا الطقس القاسي الذي نعرفه نحن سكان القنيطرة جيداً.

سورية ولأنته بالورود اناطولى طرفلر نه عرمت تالذ وفونل اولانردن ماعدا اسكان ايديلان مهاجرلر لبركره قير اولنا نفوسلر نيكاجاليد												
ملاحظات	سجل اسكانلر											
	نفس شامسريت	شام	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر
روابلى وجرس	نفس شامسريت	شام	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر
وطاعسنتات	سراج السلطان	دوما	٤٩	٢	٦٧	١٠٦
مهاجرلر اولوب	حوش الوير	=	=	٨٨	٨٨
تجار واصناف	نفس بلبك	بوليك	.	٢٧	٢	٢٩
وما موريس	قنطرة	حورن قنطرة	.	٥٦	٤٢	٢٠	١٢٨
وخدمتكارلوق	عين الزوان	=	٨٢	٨٢
وضطربا لك	چورنجه	=	٢٧	٢٧
انكده درلسر	ابريقى	=	٨٠	٨٠
	بیرنجير	=	٢٣	٢٣
	رونجينه	=	٢٠	.	٤٤
	مضموره	=	٥٥	١٢٨
	موسيه	=	.	.	١٧	١٧
	حرمانق	=	٦٧	٨٢
	عين جرمانيق	=	٥٧	٨٢
											٢٨	٢٨

اللائحة ب/10/ قرى شركسية في الجولان التي كانت تتبع لواء حوران في ولاية سورية من سلطنة الدولة العثمانية لعام /1296هـ/ 1878م.

وكمثال على سبب إسكان الشركسة في عمان ووادي السير أورد هذه الوثيقة:

[- حول إسكان الشركس بوادي السير وعمان :

قبلاً كان قد عين - محمد أمين أفندي - مأموراً لإسكان الجراكسة المهاجرين من قفقاسيا الذين تقرر سكنهم في نواحي أراضي عمان الكائنة في قضاء السلط من أعمال لواء البلقاء، وتوجه المومأ إليه إلى المحل المذكور مصحوباً بالأوامر المقتضية، وفي هذا الأوان قد أتم مأموريته وعاد إلى المركز وبيده أوراق رسمية فهم من مآلها أن عدد المهاجرين المذكورين، ينوف عن الأربعمائة نفس وتخصص لهم ثلاثة وتسعين بيتا، وقد أنشأت هذه المحلات في الأراضي الخالية الواقعة على جانب نهر وادي السير وتعين لكل منزل أراضي توافقه حسب النظام، ولقد أشعر من محله بأن المأمور المومأ إليه قد بذل غاية المساعدة والتسهيلات اللازمة للمهاجرين المرقومين حتى أنهم ينشرون لواء الشتاء

عليه، فسّر العموم وقدموا الأدعية الخيرية لحضرة ذي الجلالة بحفظ مولانا وسلطاننا المعظم. وحيث أن المحل المذكور المدعو باسم عمان يحوي على بناء عظيم وهو من جملة آثار الرومانيين القدماء وأراضيه واسعة ومغصبة للغاية، فتوطين المهاجرين المذكورين في تلك الأنحاء وجد مناسباً جداً سيما وأنها واقعة في أول القصر حيث أنه بذلك تستكمل الراحة والأمنية التامة، ولما كانت تلك الجهات تتحسن بظل الحضرة العلية السلطانية بالعمران يوماً فيوماً فلا شك بأنها تكون كنزاً لخزينة الدولة حيث تكسبها ثروة عظيمة⁽¹⁾.

وهناك حالات غادر فيها الشركسة القنيطرة لأسباب مختلفة منها ما نشرته نفس الصحيفة ذات الرقم /915/ في نفس اليوم حيث جاء فيها ما يلي:
{ لما رأى والي سورية أنه اجتمع كثير من الناس (العربان) ، على المهاجرين المذكورين ، سكان القنيطرة وكلهم قوم رحالة ، ونحو مائتي بيت (عائلة) أتوا حديثاً من جهات قفقاسية (أي قبل استقرارهم في القنيطرة) أمر بإرسال هؤلاء إلى محل يسمى الجرش ، (يقصد جرش في الأردن) وهو منبت كثير المياه.. ليزرعوا ويقيموا هناك }.

و هكذا كان الحل ترحيل /200/ عائلة من القنيطرة لإرضاء الجوار وربما كان هذا جزء من الحل الذي فرضه على المتخاصمين ، ومن هذا الخبر نرى كيف كانت الدولة العثمانية ، تحل المشاكل التي خلقتها هي في المنطقة ، وإذا تتبعنا الشركسة الذين أسكنوا في جرش، نعر على القضية التالية: من سجلات المحاكم الشرعية بدمشق ، وملخصها أن بعض الأشخاص من قرية سوف قرب جرش قد اشتكوا عن طريق محامي لهم من دمشق ، يدعون فيه بملكية الأرض، التي ستعطى للشركسة ولكنهم لم يستطيعوا إثبات ملكيتهم للأرض وتم حل الموضوع⁽²⁾ ما بين

(1) جريدة سورية - نومرو /966/ - / 25 شعبان 1301 هجرية / - /1883م/
(2) السجل رقم /17/ لعام /1305هـ/ - /1306هـ/ ص /81- 83/ محكمة بداية حقوق الشام ، من سجلات مركز الوثائق في دمشق.

الطرفين بالتراضي دون تدخل المحكمة وقبل بدء المحاكمة مما دعا المحامي إلى طلب أجرته من أهالي سوف.

– وقد أراد حمدي باشا والي دمشق عام /1883م/ أن يُسكن الشركس في البقاع الجنوبي أيضاً (في لبنان) ، حيث يكون باستطاعتهم عند الحاجة ، أن يمنعوا دروز لبنان الذين يهبون لمساعدة اخوتهم الدروز حول جبل الشيخ وفي جبل الدروز أو بالعكس (و لم تنفذ هذه الخطة⁽¹⁾ لأن الشركسة رفضوا أن يعاد تهجيرهم من الجولان مرة أخرى ، ولم يكونوا يدرّون في تلك الأيام بالأعيب العثمانيين الميكيافيلية في المنطقة).



صورة فرسان شراكسة من الجولان بزيهم الشركسي في النصف الأول من القرن الماضي.

(1) الإخاء العدد /31/ من كتاب البدو الرحل والمستوطنين في سورية والأردن ترجمة أحمد عبد الرزاق هاكوز.

ومن أهداف الدولة العثمانية من توطين الشركس في لواءي حوران (في سورية) والبلقاء (في الأردن): نجد أنه قد [تباينت الآراء حول الهدف الذي دفع الدولة العثمانية إلى توطين أعداد كبيرة من الشركس في بلاد الشام، غير أنها اتفقت في جوهرها على أن الهدف كان مصلحة الدولة العثمانية بشكل أو بآخر (دون مراعاة مصالح الشركاسة ودون أن يأخذوا بعين الاعتبار إسكانهم في مناطق لا يستطيعون أن يعيشوا فيها بشكل طبيعي لأنها لا تلائمهم لأسباب كثيرة)، وقد ذكر الدكتور شوكت المفتي حجوقه أن الشركس في بلاد الشام كان لهم دور بارز في المحافظة على سلامة الخط الحديدي الحجازي الذي بلغ طوله /1400 كم / فقد قاموا بحمايته من بعض البدو الذين رأوا في إنشائه تهديداً لمصالحهم التجارية، ولم ينظروا إلى مروره من بلادهم بعين الإرتياح⁽¹⁾.

أما الدكتور وليد طاش فيقول: إن الهدف من توطين الشركس في بلاد الشام هو تشكيل حاجز بشري بين البدو والفلاحين، وحماية هؤلاء الأخيرين من غزوات البدو على قراهم، وخدمة مصالح الدولة العثمانية التي كانت تعتمد على المزارعين في جني الضرائب العينية والنقدية، ومن أجل ذلك قامت الدولة العثمانية ابتداءً من عام /1878م/ بتشجيع استقرار الشركس على طول خط استراتيجي يمتد من (لواء إسكندرونة)⁽²⁾ ومنبج وحمص والجولان فعمّان. (في عام /1911م/ وأثناء عودة جان يقوه باقوه من الحج وهو أحد سكان منطقة ترك في شمال القفقاس قابل والي الشام - غالب بك - وقال له: نحن عشرة آلاف شركسي نرغب بالهجرة إليكم ونطلب منكم تأمين مكان لنا. فوافق الوالي وفي المرة الثانية قدم جان يقوه باقوه مع ممبوت حناشه مع وفد لبحث هذا الموضوع وفي الطريق زار

(1) شوكت المفتي - أباطرة وأبطال في تاريخ القوقاز - ص / 233.

(2) التي كانت تابعة لولاية حلب حيث تم إسكان تسع قرى شركسية في هذه المنطقة وكانت قرية الريحانية " في تركيا حالياً " تابعة للجمعية الشركسية في مركز القنيطرة، لمزيد من المعلومات يرجى مراجعة كتاب عدنان قبرطاي - قبسات شركسية.

الوفد مهاجرين شراكسة كانوا قد استقروا في سورية وفلسطين واطلع الوفد على أوضاعهم وكانت سيئة للغاية. ولما علم الوفد بأن مكان إقامة المهاجرين الجدد سيكون في مشارف الكرك في الأردن وهذا المكان صحراوي، عاد الوفد إلى بلاده في أغسطس عام 1911م/ بحراً عن طريق اسطنبول ولم يهاجر أحد منهم⁽¹⁾ حيث كانت الاضطرابات والعصيان على الدولة أمراً عادياً، ولم يدرك الشركس أبعاد هذا الدور، ووجدوا أنفسهم حين وصلوا إلى البلقاء في العراق وواجهوا المصاعب بالصبر والجهد والتحدي معتمدين على أنفسهم. وبغزيمة الرواد الحقيقيين بدؤوا باستصلاح الأراضي وزراعتها، وشرعوا ببناء قرى جديدة هنا وهناك فكانت عمّان ووادي السير وجرش وناعور وصويلح والرصيفة والزرقاء والسخنة والأزرق⁽²⁾. ويرى الدكتور رؤوف أبو جابر أن الدولة العثمانية شعرت أنها تحمل التزاماً دينياً وأدبياً تجاه الشركس الذين ناضلوا بشدة من أجل قضية الإسلام والإمبراطورية العثمانية، فوطنتهم في الجولان والبلقاء التي لم تكن أراضيها مستغلة بعد بشكل كامل، ولاسيما أن هؤلاء المهاجرين كانوا مزارعين وبحاجة إلى الأراضي الزراعية للعيش، ومن هنا نجد أن الدولة العثمانية كانت تهدف من وراء عملية توطينهم إلى إشراكهم في الإنتاج الزراعي الضروري لاقتصاد الدولة. إلا أن الهدف الأساسي من وراء إسكان الشركس في لواءي حوران والبلقاء وبخاصة في منطقة شرقي الأردن كان هدفاً عسكرياً بالدرجة الأولى، فقد أرادت الدولة العثمانية الوقوف أمام أطماع الإنجليز في السيطرة على مصر والجزيرة العربية، وبالتالي قطع الطريق البحري لجدة الذي كان يخدم الحجيج إلى بيت الله الحرام، ومن هنا رأت أن تزيد من عدد سكان لواءي حوران والبلقاء، فعملت على إسكان المهاجرين الشركس فيهما، وتوطين

(1) من جريدة غوازة - اسطنبول، العدد /17/ سنة /1911م/ - من نهاد برزج - التهجير ص / 130/

(2) وليد طاش، الهجرة والتهجير، مجلة الإخاء، العدد العاشر، تموز /1985م/ ص /24/.

البدو واستحداث تشكيلات عسكرية جديدة لحفظ الوحدة الجغرافية " للأملاك " الجنوبية للإمبراطورية العثمانية المتمثلة بالجزيرة العربية والعراق. وفكرت الدولة العثمانية في عام / 1887م / تحقيقاً لهذا الهدف الاستراتيجي بتشكيل ولاية جديدة على حساب ولاية سورية تضم لواءي البلقاء وهوران، وذلك حرصاً منها على إبقاء أقاليم العراق وبلاد الشام والجزيرة العربية والأناضول بعيدة عن أطماع الدول الأجنبية وخاصة بريطانيا، فهذه المناطق كانت تعتبر مناطق تماس مع جميع دول العالم الرئيسية، وذلك بحكم موقعها المتوسط بين القارات الثلاث آسيا وإفريقيا وأوروبا، ولما كانت بلاد الشام في ذلك الحين تفوق في أهميتها الأقاليم الثلاثة الأخرى، حيث كانت تشكل نقطة مركزية للأقاليم العثمانية الآسيوية، فقد رأت الدولة العثمانية أن خير ضمان للاحتفاظ بالعراق والأناضول والجزيرة العربية هو الاحتفاظ ببلاد الشام، لذلك وجدت الدولة أن من الضروري إجراء التعديلات اللازمة على التشكيلات والتقسيمات الإدارية لولاية سورية، ومن هنا جاءت فكرة إنشاء ولاية جديدة تكون عمّان عاصمتها، ويكون فيها (سنجق) لواء آخر على أن تكون الكرك عاصمة هذا السنجق الجديد في الولاية الجديدة التي كان من المقرر أن يطلق عليها اسم ولاية عمّان، أو (معمورة الحميدية) ويتخذ من معان والشوبك وحسبان والسلط وعين الزرقاء وباقي الأماكن قائمقاميات (أقضية)، وقد عللت الدولة سبب اختيار عمّان عاصمتها لهذه الولاية الجديدة بأنها تتوسط البلقاء والكرك ومعان، حيث تعادل مساحة أراضي هذه المناطق مساحة ولاية بيروت إلى جانب أنها كانت في عهد الرومان عاصمة لمنطقة عامرة تدعى فيلادلفيا⁽¹⁾. وكان من المفروض أن تكلف الدولة العثمانية البكباشي / مراد بك / قائد ألي الخيالة النظامي المرابط في نابلس بعد ترقيته تنفيذ هذا المشروع خلال عام واحد دون إثارة

(1) د. جودة ناشخو: كتاب تاريخ الشركس (الأديغة) والشيشان، منشورات لجنة تاريخ الأردن، ص - /54+53/.

أي ضجة⁽¹⁾، كما كان من المفروض أن تقوم الدولة لإنجاح المشروع بتعمير مواضع المياه (الأحواض والبرك) الواقعة على الطريق من الشام إلى المدينة المنورة لضمان المواصلات بين سورية والحجاز، وإقامة قائمقامية (قضاء) في قرية تبوك بهدف إعادة تعميرها وضمان الأمن والسلام فيها، وإعادة تجميع أهلها الذين تشتتوا على أثر مهاجمة عشائر شمر لهم، حتى تكون واجهتها ميناءً على غرار ميناء ينبع، واتخاذ مديرية فيها واتخاذ الكرك مقر متصرفية. وإلى جانب هذا كله خططت الدولة لإسكان الكثير من المهاجرين في هذه الولاية التي عازمت على إنشائها، وقررت وضع خمسمائة عائلة منهم بالقرب من عمان وعين الزرقاء والسلط وجرش، تتبعها عملية توطين لمزيد من المهاجرين بالتدريج. ولم تتحدث الوثيقة عن الأصول العرقية لهؤلاء المهاجرين، إلا أن الأماكن التي ذكرت كمناطق مرشحة للتوطين والتي جرى إسكان الشركس والشيشان فيها فيما بعد تدل على أن المقصود بكلمة المهاجرين هم الشركس والشيشان، كما أن الوثيقة لم تتحدث عن العدد النهائي المنوي لتوطينه في الولاية الجديدة من المهاجرين، فقد ذكرت (أنه سيسعى لتشكيل بلدة بإسكان نحو خمسمائة خانة (عائلة) من المهاجرين بقرب كل من عمان وعين الزرقاء والسلط وجرش، بجلب مائتي خانة إلى كل منها في البداية ويسعى لإسكانها هناك. ويؤتى بالبواقي على التدريج حتى يكمل العدد المطلوب من المهاجرين، كما يمكن إحداث قرى أخرى تعمّر على هذا الوجه بالمهاجرين، فأراضي البدو (العربان) شاسعة تزيد عن حاجتهم ولا بد من التعجيل بهذه الإجراءات وإصدار أوامر حاسمة لتفرض الأراضي وتعمّر بالمهاجرين⁽²⁾. وكانت الدولة العثمانية تنوي إرغام - البدو - على ترك خيامهم والتوطين والاستقرار بعد هدم خيامهم وإتلافها والحيلولة دون قيامهم بتربية الإبل، وتشجيعهم على تربية الخيل والضأن والبقر، وزرع

(1) وثيقة عثمانية رقم: / 31.

(2) وثيقة عثمانية رقم: / 31.

الأرز بجانب نهر الشريعة ابتداءً من بحيرة طبريا حتى البحر الميت للاستغناء عن استيراد الأرز من البندقية وأمريكا، وربما العمل على التصدير الفائض منه⁽¹⁾. وقد أصدر السلطان عبد الحميد أمراً في عام 1887م/ للسلطات العثمانية في استانبول لتسهيل حركة استيطان المهاجرين الشركس والشيشان في ولاية سورية بهدف تحقيق مشروع الولاية الجديدة،

[المجموعة الأولى من الشركسة⁽²⁾ التي قدمت إلى (الأردن وفلسطين) كانت ضمن مجموعة من /3000/ شخص غادرت ميناء / جفالا / التركي يوم الجمعة في الأول من آذار عام /1878م/ على متن باخرة نمساوية متجهة إلى مدينة اللاذقية في سورية، غير أن حريقاً شبَّ على ظهر الباخرة قرب جزيرة قبرص يوم الثلاثاء في اليوم الخامس من الرحلة مما أدى إلى جنوحها / بسبب الإعصار / على شاطئ - فما غوستا - وهلاك حوالي /500/ شركسي، إما إختناقاً، أو حرقاً⁽³⁾، أو غرقاً، وقد نقل الناجون إلى عكا في فلسطين ومنها إلى نابلس، حيث مكثوا بضعة أشهر نقلوا بعدها إلى عمان في شرق الأردن، غير أن القسم الأعظم منهم لم ترق له ظروف المعيشة الجديدة، بسبب اختلاف الطقس وانتشار الأوبئة، فاضطر للعودة إلى فلسطين مرة أخرى. وهذا ما أكده الرحالة - لورنس أوليفنت - الذي زار المنطقة في نهاية آذار عام /1879م/ حيث قال: (لقد وصل إلى عمان عام / 1878م/ حوالي /500/ شركسي، غير أن معظمهم لم تعجبه الحياة في الأرض الجديدة، فرحلوا عنها قبل زيارتنا لها بثلاثة أشهر، ولم يبق فيها غير /150/ شخصاً. أما الذين قرروا البقاء فلم يكونوا قد بنوا أية بيوت بعد. وكانوا يسكنون خرائب المدرج الروماني

(1) المرجع نفسه - رقم: /32/.

(2) الإخاء - العدد /13/ نيسان /1986م/.

(3) هناك وثائق تقول: عندما شبَّ الحريق داخل أحد العنابر أمر القبطان بإغلاق باب العنبر فمات كل من فيها من الشركسة... المؤلف عدنان قبرطاي.

وقد زرعوا حقلاً بالخضروات، وكان لديهم قطع من الأبقار وآخر من الأغنام.)

[أما بالنسبة للشراكسة⁽¹⁾ الذين سكنوا وادي السير إلى الغرب من عمان، فمن المؤكد أنهم لم يستقروا فيها إلا في الفترة التي تلت زيارة الكابتن - كوندور - للمنطقة في تشرين أول عام / 1881م / حيث أنه وفي كتابه (مؤاب وبلاد الحثيين) لم يأت على ذكر الشراكسة إلا عندما وصف زيارته لعمان بينما اكتفى بوصف الطبيعة عندما تحدث عن وادي السير. وهكذا فقد توالى موجات الهجرات الشركسية إلى شرق الأردن في السنين اللاحقة، حيث استقروا في جرش عام / 1891م / وفي ناعور عام / 1901م / وفي صويلح عام / 1905م / وأخيراً في الرصيفة عام / 1909م / وجميعها مناطق قريبة من عمان باستثناء جرش التي تبعد عنها حوالي / 50 كم / وبعد ذلك انحسرت موجة الهجرة واقتصرت على بعض الشراكسة الذين وصلوا إلى عمان بعد الحرب العالمية الثانية.. جاء ذكر تفصيلي لأعداد الشراكسة والشيشان في شرق الأردن ضمن قائمة وردت في كتاب بعنوان فلسطين وشرق الأردن لمؤلفيه - لوك وكيث روخ - وهي كما يلي:

- 1 - عمان: / 1700 / نسمة، في مساحة / 7000 / دنم.
- 2 - وادي السير / 2000 / نسمة في مساحة / 20000 / دنم.
- 3 - جرش / 1500 / نسمة في مساحة / 2000 / دنم.
- 4 - ناعور / 500 / نسمة في مساحة / 7000 / دنم.
- 5 - صويلح / 150 / نسمة شراكسة و / 400 / من الشيشان في مساحة / 2000 / دنم.
- 6 - الزرقاء / 200 / شيشاني في / 1000 / دنم.
- 7 - الرصيفة / 150 / شيشاني في / 2000 / دنم.
- 8 - السخنة / 100 / شيشاني في / 6000 / دنم.

(1) الإخاء الأردنية - العددان / 18 / في حزيران عام / 1987م / و / 17 / آذار / 1987م /.

فكان مجموع الشراكسة في حينه /5850/ ومجموع الشيشان /850/ ويعيش الجميع على أرض مساحتها /47000/ دنم⁽¹⁾. ومما يعزز الشك في أرقام هذه الإحصائية المتعلقة بالشركس، تلك الأرقام المتضاربة التي أوردها الرحالة عن عدد سكان شراكسة الأردن. أن الرحالة الألمانية - آدا. جودريش فريير - التي زارت المنطقة عام /1903م/ تقول: إن سكان عمان من الشراكسة بلغ /10000/ نسمة، نجد أن الفرنسيين - غاسان وسامنيك - قالوا في كتابهما (الأردن عام /1912م/) إن عددهم بلغ /1800/ نسمة. بالنتيجة أصبح عدد شراكسة شرقي الأردن مع الزمن يقارب ثلثي عدد شراكسة سورية الذين يشكلون نسبة 1٪ من سكان الجمهورية العربية السورية تقريباً.

إن ربع القرن الأول من حياة الشراكسة في الأردن لم يكن سهلاً أبداً، فبالإضافة إلى حالة الفقر والعوز، فقد عانى الشراكسة الأمرين من قساوة ظروف البيئة الجديدة سواءً الطبيعة منها، بما فيها من اختلاف في المناخ وصعوبة في المواصلات، وانتشار الأوبئة والأمراض، أو السكانية، بما فيها من مشاعر العداة التي كانت تكنها لهم القبائل البدوية المحيطة والتي تعود لأسباب عديدة منها: 1- اختلاف القومية واللباس واللغة. 2- تعرض مصالحها للخطر نتيجة حرمانها من مناطق الرعي التي كانت تستخدمها بعد إسكان الشراكسة فيها. 3- مزاحمة الشراكسة لها على ينابيع المياه التي كانوا يسقون ماشيتهم منها. يقول الدكتور - يوسف غوانمة (أنه لما تعرضوا / أي الشركس / إلى اعتداءات البدو القاطنين في منطقة البلقاء اضطرروا إلى تسليح أنفسهم، دفاعاً عن بقائهم وحياتهم، وقاتلوا أكثر من مرة حتى تمكنوا بفضل قوتهم أن يفرضوا احترامهم على رجال القبائل من حولهم). ولم تستقر أوضاع الشراكسة إلا بعد أن انتهت حالة العداة بينهم وبين البدو والتي راح بسببها العديد من الضحايا من الجانبين، وكان ذلك عام /1904م/ حين حدثت الموقعة المسماة /

(1) الدنم يساوي /1000/ مترمربع.

حرب البلقاوية / قرب عمان وتمكن الشراكسة خلالها من التغلب على عشائر البلقاء بعد أن تحالفوا مع قبائل بني صخر العربية، وقد أشار إلى ذلك / ويطمان / في كتابه الشراكسة حيث قال: ان الأمور استقرت لصالح الشراكسة عام /1904م/ بعد حرب البلقاوية عندما أجبرت عشائر الحديد وحلفاؤها على القبول بالواقع الجديد⁽¹⁾. أما ما أعقب ذلك التاريخ من خلافات فلم تتعد المناوشات المحدودة والفردية وقد زالت نهائياً الآن بفضل زوال الأسباب الموجبة لها، وحلت محلها علاقات التفاهم والاحترام المتبادل والمصاهرة أحياناً. بعد تلك الفترة نجد أن جريدة البشير الأسبوعية التي كانت تصدر في بيروت منذ عام /1870 - 1913م/ قد نشرت تحت عنوان / مراسلات الجهات / ما يلي: [من مكاتبتنا بالقدس الشريف بتاريخ / 6 / الجاري (بلغنا أن خمسمائة عائلة من الشركس وصل منذ نحو شهر إلى عمان، وهي تبعد عن الصلت / يقصد السلط / مسافة ست ساعات. وقد أرسلتها الحكومة إلى هناك. وقيل أن ثلاثمائة أخرى تتبعها عما قليل إلى تلك الكورة / أي المنطقة / . وليس لهؤلاء الشركس ألفة ورفاق مع سكان البلقاء ولا سيما مع سكان الصلت..⁽²⁾]. واستطراداً للحديث عن عدد السكان في عمان من الشراكسة، فقد نشرت - جريدة المقتبس الدمشقية تحت عنوان / الكرك / قالت فيه ما يلي: (أما عمان الآن فهي مركز ناحية عمان يسكنها خمسمائة دار جركسي من مهاجري القفقاس وفيها نحو / 100 / مئة دكان، وزعيم الجراكسة - محمد أفندي الجركسي. ووادي السير ورأس عمان وورصيفة وناعور وعين صويلح وعيون الحمر مهاجرو القفقاس ونفوس أهل عمان وهذه القرى نحو / 7000 / نفس ذكوراً وإناثاً وهم من مهاجري القفقاس.⁽³⁾)، عندما أرادت الدولة العثمانية أن تحصي نفوس سكان لواء

(1) الإخاء الأردنية - العددان / 18 / في حزيران عام / 1987م / و / 17 / آذار / 1987م / .
(2) جريدة البشير الأسبوعية التي كانت تصدر في بيروت منذ عام / 1870 - 1913م / - العدد رقم: / 424 / بتاريخ / 25 / تشرين أول / 1878م / .
(3) جريدة المقتبس الدمشقية - العدد / 557 / الصادر في يوم الإثنين / 26 / كانون

الكرك مثلما أحصت لواء حوران / وكان الجولان من ضمنها /، انتفض أهل الكرك والعشائر المحيطة بها على الدولة، وقابلوا قانون الخدمة العسكرية الإجبارية بالسخط والثورة فاندلعت ثورة الكرك عام 1910م/ والتي قضت عليها الدولة العثمانية بقسوة بالغة..وسعت الدولة قبل ذلك جدياً لتطبيق نظام التجنيد في مدن ولاية سورية. ففي عام 1293هجرية - 1876م/ أصابت القرعة الشرعية في الشام (البقايا) ممن عمرهم أقل من ستين عاماً، وأحالت إلى خدمة الرديف الذين تجاوزوا الستين، كما أعفت من الخدمة العاجزين من السكان على أن يقدموا رسماً معلوماً مقابل إعفائهم. وفي أثناء الحرب العالمية الأولى جندت الدولة من بلاد الشام نحو ربع مليون شخص. قانون أخذ العسكر: /1304هجرية - 1886م/: صدر هذا القانون في 27/ صفر سنة / 1304هجرية - 1886م/ وصيغ في 120/ مادة / وبموجب هذه المادة كلف جميع المسلمين من أهالي الإمبراطورية العثمانية بأداء الخدمة العسكرية المفروضة عليهم شخصياً، وتوجب على كل فرد منهم بلغ العشرين من العمر أن يتوجه إلى دائرة أخذ العسكر من أجل سحب القرعة. ونصّت المادة الرابعة من القانون على أن مدة الخدمة العسكرية عشرون سنة كاملة موزّعة على النحو التالي: 1 - الست سنوات الأولى من الخدمة النظامية تؤدي في السلك العسكري النظامي مع الاحتياط. 2- الثماني سنوات التي تليها مختصة بالخدمة التي تؤدي بسلك الرديف (الاحتياط). 3- السنين الستة الباقية وتتحصر بالخدمة التي تؤدي في سلك المتحفظ. والذين يؤدون الخدمة في الأصناف الثلاثة المذكورة على التوالي يكونون قد أتموا الواجبات المفروضة عليهم في العسكرية. أما مدة خدمة العساكر الذين يشغلون في الأعمال الفنية، فقد جعلت اثنا عشر عاماً، بحيث تكون مدة خدمتهم النظامية والاحتياطية ثماني سنوات ومدة خدمتهم في الرديف أربع سنوات فقط، ويعفون من الخدمة في المستحفظ.. ومما زاد في نفور السكان من الخدمة

الأول / 1910م/ الموافق لذي الحجة / 1328هجرية /.

العسكرية إرسال المكلفين بها إلى بلاد بعيدة كاليمن والروملي وكريت والجبل الأسود وبغداد ، واستمرار الفتن والثورات في تلك الولايات.. أما بخصوص الشراكسة في تلك الأيام فكان تجنيد عدد كبير منهم في كل حروب الدولة العثمانية منها على سبيل المثال: / 300 / جولاني في (تشناقاله) ومثلهم في حرب كوت العمارة التي سميت باللغة الشركسية (بغداد زاوه) أي حرب بغداد ومثلهم في حرب التربة ، التي كتبت عنها المجموعة الأمريكية: (إن المسلمين السوريين أظهروا في القتال البسالة ، أكثر مما أظهره الترك)⁽¹⁾ ، ويقدر عدد شهداء شراكسة الجولان بأكثر من ألف شاب مما سبب للذين بقوا على قيد الحياة التزامات مادية ومعنوية ، وخاصة على بقية الذكور الذين وجدوا أنفسهم مسؤولين عن عائلات بأكملها ، فكم من أخ لم يتزوج ليستطيع تربية وإعالة أبناء أخيه الشهيد.. وهكذا.. وكان عدد شهداء العرب في الحرب العالمية الأولى كبيراً جداً ، كما مات من الجوع أكثر من نصف مليون سوري في تلك الأيام التي سميت ب (سفر برلك) بسبب السياسة الزراعية الخرقاء للدولة العثمانية ، التي دخلت الحرب دون بنية تحتية أو اكتفاء ذاتي غذائي مما دعاهم إلى مصادرة اغذية الفلاح السوري المخزن... ((وقد رأينا أن /32٪/ من ذكور قرية البريقة الجولانية كانوا في الجيش العثماني وهي عينة عشوائية لبقية القرى الشركسية في الجولان فكان من الطبيعي في ظروف الجيش العثماني أن يكون خسائرهم في الحروب كبيراً ، خاصة إذا علمنا أنهم دوماً في مقدمة المهاجمين والمدافعين ، كما هي عادتهم دوماً في الحروب)). كان شباب الشراكسة يُجندون في الجيش العثماني ويحاربون في حروبها كلها منذ الشهور الأولى لتهجيرهم ، بالرغم من وجود قانون البدل العسكري والتي ملخصها ما يلي: ((بموجب قانون أخذ العسكر سنة/1304هـ/ الموافق /1886م/ طلب

(1) كتاب الحرب العظمى /1914م -1918م/ من مركز الوثائق - ص/15/ من الجزء /13/.

من كل فرد مكلف بالخدمة العسكرية ، ولا يرغب في الانخراط في السلك العسكري خمسون ليرة عثمانية (وهو مبلغ خيالي بالنسبة لوضع الشراكسة المادي في حينها) على أن يتدرب مدة خمسة أشهر ، في أحد المعسكرات ، يعطى في نهايتها (تذكرة) أي شهادة إنهاء الخدمة ، ثم ينتقل بعدها إلى الرديف الاحتياطي⁽¹⁾.

(1) - فخري البارودي مذكرات البارودي ، ج 1 ص 97 - 100 + ص 154 / من الإدارة العثمانية لعبد العزيز عوض.

المبحث الخامس

موجات أخرى من المهجرين الشركسة إلى سورية الطبيعية

نعود إلى دراسة المعطيات التي توفرت عن القنيطرة مع إيراد ما يساعدنا من أقوال وكتابات الرحالة ، فبعد عام /1879م/ وما بعدها خفّت حدة تدفق موجات المهجرين الشركس. من القفقاس الشمالي ومنطقة البلقان مؤقتاً إلا أنها لم تتوقف نهائياً حيث استمر المهجرين في مغادرة مواطن إسكانهم الأول (طوعاً أو كرهاً) ولظروف مختلفة تم تحريكهم إلى أماكن أخرى (من جديد ومنها إلى ولاية سورية وحلب كما قلنا سابقاً) ، ففي عام /1882م/ وصلت مئة عائلة شركسية إلى دمشق من أماسيا وسيواس في الأناضول ، وقد استعانت الحكومة العثمانية بعدد من شباب هذه العائلات فجندهم في سلك الخدمة العسكرية بينما انضم الباقون إلى مواطنهم في بلدة القنيطرة⁽¹⁾.

ويشير القنصل العام الفرنسي في سورية في رسالة وجهها من بيروت إلى السيد - وادينغتون - وزير الخارجية الفرنسية في السادس عشر من نيسان /إبريل عام 1878م/ إلى اللاجئين في تلك البلاد. ويقول في رسالته أن عدد اللاجئين الذين وصلوا إلى سورية في ذلك الحين قد بلغ خمسة وعشرين ألفاً /25000/ وكان يتوقع أن يرتفع العدد إلى مائة ألف /100000/ لاجئ⁽²⁾. وعلى أية حال فإن فرنسا وإيطاليا قد احتجتا ، كما تذكر الرسالة ، على إرسال الدولة العثمانية اللاجئين المسلمين إلى سورية⁽³⁾.

(1) من كتاب تاريخ الشركس (الأديغة) والشيشان لجودت حلمي ناشخو ص /41/.

(2) روملي دن ترك جوكليري - ص /415/.

(3) روملي دن ترك جوكليري - ص /363، 391/.

ـ ملامح إحصائية لسكان الشراكسة:

ورد في التقارير الرسمية في مارس /1906م/، أن /1949/ عائلة من الشركس قد استوطنوا في منطقة القنيطرة، و/2250/ عائلة في شرق الأردن، و /670/ بالقرب من حمص، وأن هناك حوالي /1100/ شخص في البلاد لم يجر توطيئهم بعد، وأن هناك حوالي /550/ عائلة في ولاية بيروت التي تشمل سنجقي- عكا واللاذقية، وبذلك كان في ولايتي دمشق وبيروت ما قد يبلغ مجموعه /25000/ (من الشراكسة) وهناك تقديرات أخرى تقول أن أكثر من (30500) مهاجر كانوا في ولاية دمشق منذ /1873م/. ويبدو أن هناك من الشركس في سورية الجنوبية عام /1906م/ أقل مما كان موجوداً بعد وصول المرحّلين من البلقان مباشرة عام /1878م/. وهذا يبيّن بوضوح نسبة الوفيات العالية بين الشراكسة في السنوات الأولى للهجرة، بالإضافة إلى حقيقة أن أعداداً كبيرة من هؤلاء الذين قدموا عام /1878م/، قد غادروا سورية في وقت مبكر. وبمقارنة أرقام عام /1906م/ بالأرقام التي سجلت مؤخراً عام /1938م/، يتضح أن عدد الشركس في كثير من المستوطنات القروية استمر في التناقص، أو بقي ثابتاً لعدة عقود. ويجب أن يؤخذ في الاعتبار طبعاً، أن هذه الأرقام لا يمكن الاعتماد عليها 100٪، ولكن الأبحاث والاستعلامات على مستوى القرية يؤكد هذا الاتجاه. ويقدم شيشان (رأس العين) الحالة الأكثر لفتاً للأنظار في هذا المقام، ذلك أن تضاؤل أعدادهم من حوالي /5000/ إلى /1000/ أو أقل قليلاً يشهد على ذلك، كما أن قراهم السابقة على الخابور الأعلى، التي أصبحت خرائب خالية، تقدّم دليلاً واضحاً آخر⁽¹⁾. ولتأخذ مثلاً آخر، في عام /1942م/ لم يبق في قرية تل عجل شمالي سلمية، من الثمانين عائلة التي كانت فيها، إلا اثنتي عشرة عائلة، هذا إلى أنه في هذا الموقع وفي القرى الشركسية المجاورة، كان معدّل وفيات

(1) بلغ عدد قراهم في تلك المنطقة /11/ قرية. تقلصت حالياً إلى قريتين فقط، هما رأس العين التي تحولت إلى مدينة. وقرية السفح.

الأطفال عالياً إلى درجة غير عادية، طفل واحد فقط عاش من بين تسعة عشر طفلاً ولدوا لواحد من المستوطنين الأصليين لقرية (تل السنان). وفي الوقت الحاضر، يعيش في الرقة عشر عائلات فقط من الشراكسة.

ويبدو أن السبب الرئيسي في تناقص عدد السكان في كثير من المستوطنات يعود إلى ضعف مقاومة المستوطنين الشركس للملاريا والأمراض المستوطنة أو الوافدة الأخرى. وربما أسهم العامل الثقافي في الأمر، فمثلاً، نادراً ما يتزوج الشركسي أكثر من زوجة واحدة في نفس الوقت. وقد تعود قلة عدد السكان إلى أن مساحات الأراضي التي خصصت لكل مستوطنة كانت محدودة، وأن القوة الإنتاجية لبعضها كانت متدنية، وهناك سبب آخر أيضاً، وهو نزوح الرجال من القرية إلى المدينة أو انضمامهم إلى الجيش، منذ الأيام الأولى لإنشاء المستوطنات الشركسية ومن موقعهم الجديد في الجيش العثماني، كان عدد كبير منهم يستشهدون في الحروب والثورات التي لم تكن تتقطع في القرنين الأخيرين من حياة الدولة العثمانية.

أما منطقتا الاستيطان الرئيسيتان في بلاد الشام فهي في مرتفعات الجولان العربي السوري، وفي منطقة عمان، فقد كانتا أكثر ملاءمة للصحة، وأكثر إنتاجاً من كثير من المستوطنات الأخرى ولذلك ازدهرتا ونمتا. ومع هذا يبدو أنه كان هناك نمو ضئيل حتى الأربعينات من القرن / العشرين /، حتى في هاتين المنطقتين. والأمراض والأوبئة والجوائح التي تعرض لها الشراكسة في الدولة العثمانية سبب من الأسباب في تناقص عدد السكان أيضاً. وهنا علينا أن نذكر أن أكثر من نصف مليون سوري قد ماتوا جوعاً في الحرب العالمية الأولى، (سفر برلك) بسبب مصادرة السلطات العثمانية، كل ما كان الفلاحون السوريون قد خزروه من الحبوب ليطعموها لعيالهم خلال عام كامل..

كما أن ملايين المهاجرين السوريين واللبنانيين الحاليين في الأمريكيتين كان في عهد الدولة العثمانية..

الباب الثاني

**سياسة الإبادة والتهجير والتوطين
من قبل ورثة الدولة العثمانية**

الفصل الأول

جمهورية تركيا تستمر في سياسة الإبادة والتهجير والتوطين

المبحث الأول: طبيعة العلاقة بين الاتحاديين الأتراك الطورانيين وعلى رأسهم مصطفى كمال أتاتورك والشراكسة في تركيا الحديثة:

لأخذ فكرة سريعة عن طبيعة العلاقة بين الاتحاديين الأتراك وعلى رأسهم مصطفى أتاتورك والشراكسة في تركيا خاصة عندما احتدم الخلاف بين السلطان الشرعي خليفة المسلمين ومصطفى كمال أتاتورك الذي كان يُعتبر عاصياً وخارجاً على القانون في حينها، علينا أن نعود إلى الفتاوى والنداءات والإستغاثات من السلطان العثماني في آخر أيامه الذي كان يوجهه إلى الشراكسة التي جاء في بعضها ما يلي: "أيها الشراكسة لماذا الانتظار، إلى السلاح إلى السلاح، اجتمعوا والتفوا حول راية السلطان". وكان السلطان يتوجه في لقاءاته واجتماعاته مع الشراكسة ويقول لهم: "أيها الشراكسة الشجعان، هلموا إلي لأراكم ... إن الخدمة التي تؤدونها إلي في هذا اليوم سوف لا تضيع، وإن العالم الإسلامي بأسره سوف يشكركم على حسن صنيعكم، وإنني سوف أذكركم ما دمت حياً، ومن بعدي سوف يبقى أولادي مدينين لكم بالشكر والثناء على أفعالكم مدى الحياة، فليبارككم الله تعالى ويمنح القوة والمضاء لسيوفكم"⁽¹⁾. ولعل أعظم حوادث العصيان واليهاج التي حصلت، كانت

(1) كتاب أباطرة وأبطال ص268.

في منطقة (دوزجه)⁽¹⁾ التركية. حيث بلغ عدد المتمردين على أتاتورك أربعة آلاف شخص قوامهم من الشراكسة، وعدا ذلك فقد قامت ثورة لا تقل شدة عن تلك في منطقة (أطه بازار) حيث قام الزعيم الشركسي (أحمد أنزاور) الذي كان يقود المليشيات المناوئة لحركة الزعيم أتاتورك منذ البداية، وظهرت فعاليته أشد ما يكون أثناء انعقاد (المجلس الوطني)⁽²⁾. ولعل أخطر عقبة وأكبر صعوبة واجهت أتاتورك هو خلافه مع الأخوين الشركسيين أدهم وتوفيق شركس، ومع ذلك فقد قدم المواطنون الشركس في هذه الظروف العصبية أكبر خدمة وطنية لتركيا، وربما كانت سبب إنقاذها من الهلاك والانحلال والكل يعلم الشيء الكثير عن حرب تركيا مع اليونان التي اشتبكت فيها بقايا الجيش التركي من الشراكسة والمتطوعين الشراكسة مع جيش اليونان، في معركة الحياة والموت تحت قيادة أدهم شركس وأخيه، الذين حاربا على ثلاث جبهات، وليس لأحد أن ينكر ما قام به الشراكسة من أعمال حربية ودفاعية فائقة بعدما كان الأتراك أنفسهم قد قطعوا أملهم في الصمود أمام الهجمات التي قام بها أعداء تركيا في مختلف الجبهات، وأهمها جبهة أزميز ومعركة سقاريا التي اشترك فيها فرسان الشراكسة وقطعوا خط الرجعة على اليونانيين، الذين استماتوا في سبيل الحصول على الظفر بأي ثمن كان، ولكن دون جدوى..

بعد ذلك أخذ الاتحاديون الطورانيون المتعصبون للقومية التركية تعصباً كبيراً، يطبقون مبادئهم الشوفينية بصورة مكشوفة، وأول عمل قاموا به هو إغلاق الجمعية الشركسية والمدرسة الشركسية (الوحيدة) التي كانت في اسطنبول مع إرسال جميع معلميها إلى المحاكم

(1) م - مسقط رأس الإمام الشركسي الكوثري وكان آخر نائب لشيخ الإسلام في نهاية الدولة العثمانية مات ودفن في القاهرة. ومنطقة دوزجة فيها أكثر من 60/ قرية شركسية..

(2) كتاب أباطرة وأبطال ص254.

العسكرية، وقتل عدد منهم ذكروا في مرثية شركسية معروفة ومتداولة حتى الآن، ولما أيقن أعضاء جمعية (الاتحاد والترقي) أن صبغ الشركسة وغيرهم من القوميات بالصبغة التركية عن طريق التمثيل الطبيعي، سوف يحتاج إلى عشرات بل مئات من السنين، لجؤوا إلى وسائل العنف والشدة لاستعجال النتيجة التي يريدونها بالقوة، فقررروا إفناء المثقفين والمتورين الشركسة، وإعادة تهجير سكان بعض قرَاهم التي أصبحت مزدهرة (بفضل كدهم وجهودهم المضنية) إلى أماكن بعيدة نائية وأكبر سلاح استند إليه الاتحاديون، كان التزام بعض الفئات الشركسية جانب السلطان خليفة المسلمين، الذي كان يحاربه جماعة الزعيم مصطفى كمال أتاتورك لانتزاع السلطة منه. وقد اعتبر القانون التركي في تلك الأيام أن التكلم بغير التركية جريمة يعاقب عليها مرتكبها، وعملوا على تغيير الكنية للعائلات الشركسية إلى كنيات طورانية، ومنذ تلك الأيام أخذت اللغة الشركسية في تركيا تذوي وتتراجع بسرعة كبيرة، وكان هذا سبباً في إيقاظ آلام ومآسي الماضي في نفوس مثقفي الشركسة والمهتمين بقضايا الأمة الأديغية الشركسية في الشتات، مما دفع بعضهم إلى إصدار هذا البيان من الجولان في عام 1925م/، عندما علموا باضطهاد الشركسة في تركيا من قبل جماعة الاتحاد والترقي:

(أعرض فيما يلي: صورة وثيقة موقعة من السيد يوسف بن أحمد الجركسي الشابسيغوي القرمزقي والسيد محمد إمام قرية عين زيوان في الجولان العربي السوري عام 1344هجرية / 16 / ذي الحجة / 1925م/ نشرت في حينها في أحد الجرائد السورية ولم يتسن لي معرفة اسمها) بعنوان: (نداء إلى علماء الجراكسة وأمرائهم):

* (نداء الى علماء الجراكسة وامراءهم) *

قضى الله ولاراد لقضائه ومضى على الامة الجركسية النجبية ايام كثيرة وهي منفردة اللل ومشتتة الاوصال في اقطار شتى وها هي قد نضج الجركسية الخالدة التي رفعت مجددا على الدول الماضية كما نشرت لواء عدلها بين الرعية تنادي اليوم اخفادها باعلا سوتها بوجود التمسار اتحاد ونبذ الضغائن والاحقاد لكي تصلح شأن البقية الباقية من جراكسة الاناضول وتحفظ لهم مصالحهم الدينية وحياتهم المادية وعمرة الله تعالى ديب الحياة يدب في صدور الجراكسة ويسري في عروقهم وعظامهم فشرعوا يكسرون اصفاد بني قنظوراء الموضوعه في رقابهم منذ اجيال لذي اعلامهم حينما من الهوا فقصير ترفرف فيه كما ترفرف اعلام الامم الحيه والشعوب المناهضة نحن الآن في بدء نهضتنا من كبوتنا وفي دور ارجحنانا الدينيه والسياسيه فلا ريب ان نجاحنا في غاياتنا وفوزنا في اغراضنا يتوقفان على امور كثيرة اهمها الآن الهجرة الى القفقاس فياعلم الجراكسة وامراءهم نناشدكم الله تعالى ان تحرك هممكم العاليه لهذا الامر الجليل فليس ذلك عليكم بيسير بل امر بسيط عليه تؤجرون ومن رب العرشون ايها العلماء والامراء اليوم يوم الجركس الذي به تعرفون وبخدمتكم لعلو ملتكم رفون وبسعيكم في تخليص قومكم تشكرون وبحسن صديقاتكم ما تذكرون فما قدر الله ان لم يجيبوا نداءنا ولم تقوموا اداء حقوق شعبنا الآن فتضع دياتكم الاسلاميه كما تقضي على حياتكم المليه الى الابد ويشعر زعماء الجراكسة الواقفون اليوم موقف المتفرج على احوال جراكسة الاناضول انهم في وقوفهم مثل هذا الموقف يفضون ان في عرفه حيث انهم لا يسعون في تهجير الجراكسة الى الوطن الاصل وهو القفقاس بانهم مجنونون على دياتهم وعلى ملتهم جنائيه لا تكفرها صلا بياهم وحجمهم وزكاهم بل لا يكتفوا بظلمهم بالشهادتين ايها الرساء المبرورين بالذات اصب الطورانيه ماذا تخشون من تهجير الجراكسة الي ارض قفقاس من انتم الطوف ارض الله هوا ومياها كما ان اهلها احسن خلق الله تقربا واخلاقا واكثرهم ذكاء وحياء وامتنه ايماننا و اسلاما بعد الانبياء من تقامهم بالنص ان كنتم تخشون على مناصبكم ان تذهب من ايديكم فلاحل لهذا الوهم من الحقيقه لانكم تلاقون في القفقاس من القفقاسيين والحق يقال ان وراحه فكذلك الحكومه الروسيه النظيمه ادرى بقوة الجراكسة التي تقف معها كفا لكف في ميدان الدفاع حسبا تقضيه واجبات المصير تركه بينهم وعلى ذلك فيجب علينا دائما ان نوثق عري الصداقه بيننا وبينهم فان لنا في ذلك فوائد عظيمه في المستقبل فان قيل اذا كانت القفقاس صوفه بتلك الاوصاف الجميله فلماذا هاجر منها بعض الجراكسة الى الاناضول وروم اللبي فاقول ان القفقاس فوق ما وصفتنا وفوق ما يصفه الواض المؤرخين وانما خطأ خطأ عظيما بعض زعماء الجراكسة الذين تسببوا في تلك الهجرة التي ما ازل الله بها من سلطان فعلمهم من الله ما يستحقونه فانهم قد صعب ديننا واضمحلال قومنا وتقليل جنسنا وكثنت ملتنا وضباب ايماننا وفساد اخلاقنا وقتل لغاتنا واحياء مميزاتنا كما ان تلك الحيرة التي حوت على المصائب التي تشيب الاطفال حكايها وتبكي الاعلام كتابتها وكذلك اسكاننا بمدنها مرزعة ببلاد النور ادهى وأمر وما ذكرنا من مآثر الهجرة المنجوسه بجزء من كل وقليل من كثير وما كل ما يلزم يقال يا عيله الجراكسة وامراءهم اجيبوا نداء الحق والتفتوا الى شئكم وانصبرو سكم لانفسكم ولا تضيعوا اعماركم العزيزه في سبيل خدمه اولاد جنكزخان فان كثيرا من ابطال الجراكسة بذلوا النفس والنفس في ذلك الصامحوا في آخر حياتهم الا قولا او طردا او سلبا او ندامه كما هو المشاهد وقديما قال الحكماء (من جرب الحرب حلت به الندامه) اعلموا يا جراكسة ان الهجرة من البلدان التي لا يتم فيها المصالح الدينيه والمليه عليكم وجهم واجبه الى يوم القيمه فكيف اتم تستصعبون الهجرة التي تشرىتمنا الاسلاميه كما توجبها حياتنا القوميه من الاقطار التي بلغت لذته مفايدها كيد السماء مع اشتهاكم بالغيره الدينيه والشهامه الخلقيه كس القفقاس القفقاس فان جنسنا لا يسول لهم التمسك بالشريمه النراء كما في ارض القفقاس كما ان شعبنا لا يزداد بعددا وعددا في قليل من من الا فيها انتم اذا بدمرتم قليلا فتملدون ان اول القرائض عليكم الهجرة الى القفقاس فان هنالك سعادته الجراكسه بتبئته رب الروح والى الله المشورين

في جمعه شعبان سنة ثلاث واربعين والائتمة والف هجره

وروده في ١٦ ذي الحجه سنة ١٢٧٤ هـ امير جيزولام يوسف به احمد الجركسي

الشانيني القرمزقي

المبحث الثاني

إعادة تهجير /14/ قرية شركسية في تركيا من قبل أتاتورك

في تلك الأيام المصيرية تستمر السلطة التركية الجديدة زمن أتاتورك بسياسة الدولة العثمانية في التهجير والتوطين الاجباري وتهجير الشركس من قبل الأتراك المتعصبين (حزب الاتحاد والترقي) عام /1923م/ : حدثت سنة /1923م/ بعض الحركات من جانب الحكومة التركية الاتحادية، وكانت هذه الحركات ذات طابع خاص، وتتطوي على ضرر بالغ بالنسبة للسكان الجركس (الشركس) في غرب الأناضول. والقصد من هذه الحركات كان تهجير سكان القرى الجركسية من غرب الأناضول. إلى شرقها بصورة جبرية، دون رعاية لما تتطوي عليه هذه الاجراءات من تعسف وقسوة وظلم، لسكان يعتبرون مواطنون أتراك منذ حوالي قرن، وإن لم يكونوا اثنياً أتراكاً، لهم ما للأتراك وعليهم من الواجبات والخدمة العسكرية مثل غيرهم من المواطنين الآخرين. وهذه الحادثة تذكرنا بما جرى للأرمن المنكوبين أثناء الحرب العالمية الأولى. وسبب ذلك لا يمكن ايضاحه، إلا بعد اعادة النظر بالأدوار التي مرت بتركيا منذ الانقلاب التركي والذي نتج عنه ما سمي (بالمشروطية) سنة /1908م/، التي كان من شأنها انتهاء دور الاستبداد، وكانت بداية عهد ديمقراطي جديد. ولما كان من الطبيعي أن يتعلم ويستفيد جميع مواطني الدولة العثمانية دون تفریق، من الأوضاع والتغيرات التي نشأت عن اعلان المشروطية من حرية ومساواة، وما إلى ذلك من الأمور، فقد استاء من ذلك وبصورة خاصة تلك الفئة الضالة، من المواطنين الذين يطلقون على أنفسهم

(أعضاء جمعية الاتحاد والترقي) المعروفة بمغالاتها بعنصريتها وشوفينيتها، والتي كانت تحاول تترك جميع سكان أراضي الدولة العثمانية الشاسعة، رغم كون الأتراك أنفسهم لا يشكلون إلا جزءاً من مجموع العناصر التي كانت تتكون منها الدولة العثمانية.. لذلك خافت هذه الجمعية الغيورة على نفسها من انطلاق الحريات بعد الانقلاب التركي، وحاولت درء هذا الخطر بصورة غير مناسبة وخطرة للغاية. مع أن في المادة /39/ من معاهدة لوزان (24 تموز عام /1923م/) التي وقعت عليها الدولة التركية تتضمن العبارة التالية: [.. ولن تفرض قيود على حرية استخدام أي مواطن تركي لأية لغة في المحادثة الخاصة وفي التجارة والدين والصحافة أو في المطبوعات مهما كان نوعها أو في الاجتماعات العامة. وعلى الرغم من وجود اللغة الرسمية، يجب أن تمنح تسهيلات كافية للرعاية الأتراك - الذين لا تكون التركية لغتهم - باستخدام لغتهم أمام المحاكم بصورة شفوية⁽¹⁾].

فأول عمل قاموا به هو بعد مؤتمر لوزان هو اغلاق المدرسة الجركسية التي كانت في استانبول مع إرسال جميع معلميها إلى المحاكم العسكرية، ومنعوا التكلم باللغة الشركسية ودام الأمر أكثر من /70/ عاماً وعملوا جاهدين على إلغاء اللغة الشركسية القديمة قدم التاريخ المكتوب من أفواه معظم الأمة الشركسية المتواجدة في تركيا الحديثة، بل منعوا استيراد آلة الأوكرديون التي يعزف عليها الشركس في افراحهم، وغيروا أسماء العائلات الشركسية إلى أسماء تركية في دوائر النفوس التركية زمن أتاتورك ودامت هذه الجرائم حتى عهد قريب..

ولما أيقن أعضاء جمعية الاتحاد والترقي أن صبغ الجراكسة وغيرهم من الأقليات بالصبغة التركية عن طريق التمثيل الطبيعي، سوف يحتاج

(1) شاوارش طوركيان - القضية الأرمنية والقانون الدولي - ترجمة خالد الجبيلي - ط2 منقحة /1992 - 2000/ - دار الحوار للنشر والتوزيع - اللاذقية - سورية - ص /244/.

إلى عشرات بل مئات من السنين فقد لجؤوا إلى وسائل العنف والشدة لاستعجال النتيجة التي يردونها بالقوة. فقررروا إفناء المثقفين والمتورين من الجركس، وتهجير سكان قراهم المزهرة بفضل جهدهم وجدهم وعرقهم.. إلى أماكن بعيدة، وأكبر سلاح استند إليه الاتحاديون، كان التزام بعض الفئات الجركسية جانب السلطان والخليفة، الذي كان يحاربه جماعة الزعيم أتاتورك لانتزاع السلطة منه. وقد أتاح انحياز بعض الجماعات من الجركس إلى جهة الخليفة، الفرصة إلى الاتحاديين لوصم الجركس بالخيانة، مع العلم أن السلطة الشرعية في تركيا في ذلك الوقت كانت لا تزال بيد السلطان، وأن مصطفى كمال وأعوانه كانوا يعدّون عصاة، لخروجهم على السلطان⁽¹⁾. وقد أجمع الاتحاديون في ضلالهم، وأوقعوا التفرقة بين مواطني الوطن الواحد الذين حاربوا وجاهدوا في سبيل تخليص الوطن التركي الذي كان قاب قوسين أو أدنى من الاضمحلال. وقد أصدرت الحكومة التي كان يسيطر عليها الاتحاديون حينذاك، أوامر صارمة لاتخاذ التدابير الشديدة ضد خصومهم، فقيدوا الحريات العامة وأحرقت الكتب غير المرغوب فيها، وخاصة العربية منها، وألغوا الكتابة بالأحرف العربية.. كما ألغوا الخلافة المريضة.. وتحولوا إلى الأحرف اللاتينية وأخذوا يؤذنون باللغة التركية بدل العربية، وتحولوا إلى الجمهورية التركية ورفضوا شعاراً مفاده (لا يوجد في تركيا أية قومية غير الأتراك ولا يجوز التكلم إلا باللغة التركية..). وفوق ذلك قامت الحكومة في سنة / 1923م / بسن قانون يسمى (قانون منع الشقاوة) والنواب الذين كانوا يعارضون هذا القانون، كان يجيبهم رئيس الحكومة في ذلك الوقت رؤوف أورباي ابن أحمد باشا، ويقول لهم مدافعاً عن ذلك القانون المجحف: إن نقل بعض الفئات القليلة الذين يأوون الأشقياء إلى داخلية البلاد لا يعني أبداً منهجياً عاماً.. وهؤلاء الأفراد الذين

(1) وهناك فتوى دينية من شيخ الإسلام بهذا الأمر، رأيتها في مركز الوثائق التاريخية بدمشق.

يساعدون الأشقياء ليسوا بكثير وعددهم محدود ، لذلك لا يجوز معارضة هذه المادة القانونية ٥١. وكان هذا القانون معداً سلفاً للتهجير الذي كان الاتحاديون ينوون وضعه موضع التنفيذ في نطاق واسع ، فقد شمل في أول الأمر - أربعة عشر قرية جركسية - في غرب الأناضول ، فساقوا أهل هذه القرى إلى مناطق نائية في شرق الأناضول وصحاريها المقفرة ، حيث لا يتوفر فيها أسباب المعيشة ، دون مراعاة لما ينطوي عليه هذا العمل من ظلم وقسوة وابتادة ، وكانت فاتحة أعمالهم في قرية (مروتلر) التابعة لمناس. وأساس التهمة التي اسندت إلى أهالي وسكان هذه القرى كانت كما يلي: في الوقت الذي كان فيه مؤتمر - لوزان - منعقداً ، نزل إلى سواحل الأناضول بعض رجال العصابات وهم مجرمون سياسيون قادمون من جزر اليونان ، فانتشروا في منطقة - بيغا ومنياس - ، وكان عددهم يقدر ب/150/ رجلاً. والأكثرية المطلقة منهم كانوا أتراكاً والعشر منهم من الجراكسة الذين كانوا يلتزمون جانب ((الثائر شركس أدهم الذي دفعه أتاتورك بمطاردته له ليتخلص من نفوذه وخطره عليه شخصياً ، إلى اللجوء إلى عدوه اليوناني (ثم نزوحه إلى سورية فالأردن) الذي قاتله سابقاً بضراوة وأنقذ تركيا من الغزو اليوناني للساحل التركي..)). إلا أن القوات الحكومية تصدت للعائدين إلى تركيا ، عند نزولهم إلى البر وأبادتهم في مواقعهم. ومع ذلك فقد قررت الحكومة تشريد سكان القرى الشركسية الأربعة عشرة المتواجدة في المنطقة كلها ، والتتكيل بهم جميعاً ، زاعمين ظلماً أن الجركس هم الذين قاموا بمساعدة اليونان أعداء تركيا ، وساعدت رجال العصابات وآوت الأشقياء الذين كانوا ينوون أحداث اختلال واقامة ثورة في البلاد التركية. مع العلم أن الجركس لم يشكوا إلا جزءاً ضئيلاً من مجموعهم ، وأما الأكثرية التركية من هؤلاء الأشقياء فلم تلق الحكومة اليها بالاً ، واستثنت الأتراك من سكان هذه القرى من اجراءاتها التعسفية. وسبب ذلك لم يكن إلا حقد الاتحاديين على العناصر غير التركية ، التي كانت هدفاً لِبغضهم وانتقامهم فصبوا عليهم جام غضبهم. وأما الذين اشتركوا فعلاً في تنفيذ هذه المؤامرة فقد أخذوا على عاتقهم افناء الأبرياء وكانوا من ذوي

المناصب العالية في الدولة ومنهم - أوز آل ب - رئيس مجلس النواب،
وكمال بالطه - رئيس أركان الفرقة السابعة عشرة من الجيش التركي،
والمقدم - إسماعيل حقي -، ورئيس الحكومة - رؤوف أورباي - وعدا
سكان هذه القرى المنكودة، فقد اتهم من قبل المجلس العسكري ما
يقارب /150/ شاباً من مثقفي الجركس لأسباب واهية وأعدموا رمياً
بالرصاصة، دون أن يكون لهم أي دخل. (في التهم المفبركة ضدهم...) (1)
وهذا يذكرنا بما قام به جمال باشا السفاح في سورية ولبنان في الحرب
العالمية الأولى. واستمر أتاتورك في حربه الداخلية يصفى أعداءه جسدياً
مما اضطر الكثيرين من قادة أدهم شركس وضباطه وجنوده إلى النزوح
إلى بعض الدول العربية، في مقدمتها سورية (2) .. وكذلك كان الاتحاديون
يعدون العدة بعد الانتهاء من الدفعة الأولى، لتهجير وإفناء سكان ثلاثين
قرية شركسية أخرى، ولكن عدم ملائمة الظروف حالت لحسن الحظ
دون تنفيذ هذا البرنامج العنصري البشع (3) ..

وأول من دافع في المجلس التركي عن حقوق أولئك السكان
المنكودين (من الجركس) كان - محمد فتكري شوئينو - الذي حاول
افهام أعضاء ذلك المجلس مساوئ هذه الاجراءات. وقد انتهت عملية
التهجير في بداية شهر أغسطس سنة /1923م/. فمن خلال عريضة رفعت

(1) كتاب أباطرة وأبطال لشوكت المفتي ص /266/.

(2) لاحظ أن تلك الأيام كانت متقلبة سياسياً وعسكرياً فنحن نذكر كيف التجأ
قائد ثورة الشمال من سورية إلى تركيا (السيد نجيب عويد) بعد انتهاء ثورة هنانو
فراراً من ملاحقة الفرنسيين له وهو يعلم بأنه سيحاكم في تركيا على إعدامه
القائد التركي عاصم بك ، وكان نزوحه هذا يشبه نزوح بعض جماعة أدهم
شركس في تركيا، إلى اليونان ثم سورية من حيث الظروف ولكن باتجاه
معاكس. وكان هؤلاء القادة والجنود أصحاب خبرة عسكرية كبيرة استغلهم
ضابط المخابرات الفرنسي في سورية الملازم (كوليه). ولمن يود الاستزادة في هذا
الموضوع عليه أن يرجع إلى كتاب عدنان قبرطاي - أوراق شركسية منسية.

(3) د. شوكت المفتي - أباطرة وأبطال - ص / 264 - 266/.

إلى مجلس الشعب التركي، وإلى الشعب التركي أيضاً حول المسألة الشركسية في تركيا الحديثة، أعدها محمد فكري شوئينو عام 1923م/ (1) نجد المعلومات المهمة التالية: [سأذكر لكم الأدلة التالية على مدى خدمة الشركسة للدولة العثمانية: منذ عام 950 هجرية - 1543م/ ولغاية تاريخ التهجير الشركسي (2) ، كان مجموع من تمكن من الوصول إلى مرتبة باشا في الدولة العثمانية من الشركسة هو مائتان وخمسون شخصاً، من هؤلاء اثنا عشر شخصاً كانوا بمرتبة (الصدر الأعظم) أي بمثابة رئيس وزراء الدولة العثمانية، وواحد كان شيخ الإسلام، وخمسة عشر منهم كان الوزير الثاني في الدولة أو وزير السلطان أو قائد القوات البحرية، وحوالي مئة منهم كان برتبة مارشال في الجيش والباقي وزراء وقائد جيش ووزير حربية وقادة أركان وولادة وسفراء. كل هذه الوظائف المهمة والدقيقة كانت من نصيب هؤلاء الشركسة، ونحن نشكرهم ونقدر أهميتهم على حسن تصرفهم، فلا يمكن التغاضي وإغماض العين عن هذه القاعدة العريضة التي تشكل الأساس في الوثائق التركية التي تبحث في رجالات الدولة ومن أشهر هذه الكتب (حديث الوزراء) وكتاب الرؤساء وشجرة المشايخ والسجل العثماني. ومنذ تاريخ تهجير الشركسة من وطنهم شركيسيا ولغاية عام 1908م/ كان الذين وصلوا (من الشركسة) إلى مرتبة وزير أو وكيل عدداً لا يستهان به أيضاً وعدد الذين منحوا لقب باشا من الشركسة والذي استطعت الحصول عليه يزيد عن مئة وخمسين شخصاً منهم وزراء دفاع ومارشالات بشكل كبير.

(1) عريضة رفعها إلى مجلس الشعب التركي وإلى الشعب التركي أيضاً حول (المسألة الشركسية) محمد فكري شوئينو عام 1923م/ - ص/22 - اسطنبول عام 1923م/.

(2) المقصود هنا هو تهجير الشركسة من وطنهم جركستان / شركيسيا / الواقعة في شمال القفقاس، من قبل الامبراطورية الروسية إلى الدولة العثمانية اعتباراً من عام 1860م وما بعدها ..

والآن أريد أن أقوم بمقارنة صغيره. حسب المراجع التي حصلت عليها، كان عدد من منحوا لقب باشا منذ إنشاء الدولة العثمانية هو ثلاثة آلاف شخص، وذلك خلال سبعمائة عام⁽¹⁾، مع علمنا أنه من عام 950 هجرية - 1543م/ وصل ما يزيد عن أربعمائة شركسي إلى مرتبة باشا، .



صورة تذكارية لمجموعة من المقاومين الشركسة برئاسة "أدهم شركس" وعلى يمينه القائد التركي مصطفى كمال أتاتورك، قبل وقوع الخلاف بينهما.

(1) - وهو عمر الدولة العثمانية في حينها. المؤلف.

المبحث الرابع

حقائق على استمرار المطامع التركية في الأراضي السورية

قبل البدء بهذا الموضوع الهام، أود أن أذكر كل العرب بدون استثناء، الذين كانوا تحت نير الحكم العثماني البغيض، بأن حزب الاتحاد والترقي وغيرها من الأحزاب الشوفينية التركية المتعصبة قومياً تعصباً أعمى، عندما استلموا فعلياً زمام الحكم في نهايات الدولة العثمانية، كانوا قد بدؤوا فعلياً في عملية تتريك كل الأمة العربية بدون تمييز!؟ منها على سبيل المثال لا الحصر فرض اللغة التركية على العرب كافة في كل دوائر الدولة الرسمية، والبدء بتعليم كل العلوم في مدارس الدولة العثمانية باللغة التركية " حتى تعليم اللغة العربية" كانت بالتركية كما هو معروف. وفي مركز الوثائق التاريخية بدمشق، الكثير من القضايا الشرعية وغيرها أصبحت تكتب باللغة التركية التي كانت تكتب بالأحرف العربية، في العقود الأخيرة من حياة الدولة العثمانية.. وعدد كبير من الوثائق التي تثبت ذلك في حوزتي، صورتها من مركز الوثائق التاريخية بدمشق.. وهناك وثائق كثيرة في بطون الكتب الوثائقية منها على سبيل المثال لا الحصر هذه الوثيقة المكتوبة بالأحرف العربية باللغة التركية:

برقية من والي سوريا الى ميرزا باشا عام ١٣١٤ هـ يطلب فيها التحقيق لتحديد الفرقة التي يتسبب اليها طراد شيخ بني صخر المعتقل بتهمة القتل.

Le 189 _____

N° d'arrivée _____

Transmis par _____

h. m. du _____

Le 189 _____

Transmis par _____

h. m. du _____

TELEGRAMME

Commencé à _____

Signature de l'employé _____

De _____ Pour _____

نوع الإرسال	طريق	روز واسب	دقيته	ساعت	اعلى تاكول	شروط	عدد كلمات	عمل تومرس
1° de dépôt	2° de dépôt	3° de dépôt	4° de dépôt	5° de dépôt	6° de dépôt	7° de dépôt	8° de dépôt	9° de dépôt
							٩٤	٧٥٤١

تفتحه ده كذا برز انك
 ناهي ميرزا شيخ طراد في صخره در دست ايند فله عقول
 ايند ميرزا شيخ طراد في صخره در دست ايند فله عقول
 ميرزا شيخ طراد في صخره در دست ايند فله عقول

برقية من والي سوريا رقم ٧٥٤١ ورجعتنا في
 العقيد ميرزا بك / القبطرة
 القى القبض على شيخ عشيرة بني صخر طراد في جبل حوران ونقل لمركز الولاية وق
 كتب بذلك الى القائمقامية. ولأن عشيرة بني صخر منقسمة لعدة فرق بحسب عبا
 تحقيق بسرعة واحباري لاية فرقة يتسبب القتل. (١)
 والي سوريا ٦ حزيران ١٣١٤

من الكتاب الوثائقي ميرزا باشا محمد خير حفندوقة ص /56/.

وفيما بعد ألغى مصطفى كمال أتاتورك استخدام الأحرف العربية واستبدالها بالأحرف اللاتينية، بعد هذا نجد حقائق تاريخية حديثة على استمرار المطامع التركية في الأراضي العربية السورية بشكل خاص، لقربها من تركيا الحالية نلخصها فيما يلي:

[.. في المفاوضات التي أجراها (جورج بيكو) و(مصطفى كمال أتاتورك) بتاريخ / 5 - 6 كانون أول 1919م/ كان كمال أتاتورك قد طالب ليس فقط بكليسيا بل أيضاً بمنطقة - الاسكندرونة السوري - والجزيرة وحب السوريتان -..⁽¹⁾]. ومنذ تلك الأيام تخصص الدولة التركية ليرة تركية واحدة في ميزانيتها المالية السنوية لولاية حلب وادلب والموصل..ومنه نعلم ونتأكد من أطماع الأتراك بالأراضي العربية السورية والعراقية.. (وبهذه المناسبة أطالب الجهات المسؤولة في الجمهورية العربية السورية باقتطاع ليرة سورية واحدة شهرياً من الموظفين ومن أبنائنا الطلبة، على شكل تعاون ونشاط مدرسي، وادراج ربعها في ميزانية الدولة تحت بند اعادة اللواء السليب، يقيناً من شعبنا العربي السوري بالعودة الحتمية للواء اسكندرونة السليب إلى حضان الوطن السوري).

ونجد الأتراك بعد إحداث الجمهورية التركية الحديثة قد استمروا في نهج العثمانيين القدماء، كما رأينا عندما هجروا /14/ قرية شركسية وبما يخص سياستهم في التوطين والتهجير وترحيل الأرمن بقوة السلاح نجد أنه [عقب احتلال كيليكيا من قبل القوات التركية خلال /1921 - 1922م/ أوعز لمن تبقى من الأرمن في عينتاب ومرعش وأورفة ومناطق أخرى بأنه من الأفضل لهم مغادرة البلاد. فغادر نتيجة لذلك الآلاف من السكان. وبعد الحرب العالمية الأولى، شكل ما تبقى من الأرمن (الذين نجوا من المجازر اليتامى) أكثر من /60 ألف / لاجئ في وسط وشرقي الأناضول. وفي خريف /1929م/ والأشهر التالية أرغم أكثر من /30 ألفاً /

(1) مفيد عنوق - تاريخ سهل العمق - دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - ط1 سنة /2001م دمشق ص/ 70 /.

أرمنياً على الهجرة إلى سورية وبلدان أخرى. وقد أرغم هؤلاء اللاجئين، على مغادرة منازلهم وترك أعمالهم وأرسلوا عبر الحدود إلى سورية بجوازات سفر تركية مختوم عليها ((لا يسمح لحاملها بالعودة إلى تركيا)). ووصل بعضهم إلى نقاط الحدود بالقطار وبعضهم الآخر مشياً على الأقدام جوعى وشبه عراة.. وقد بعث القنصل البريطاني في حلب إلى وزارة الخارجية البريطانية تقريراً مفصلاً عن عمليات الترحيل بتاريخ /14 تشرين الثاني 1929م/ أما بالنسبة لمن تبقى من الأرمن فقد حدث بهم الظروف التقل في كل اتجاه وصوب اسطنبول وما وراءها، إلى كندا والولايات المتحدة..⁽¹⁾.

ولواء اسكندرونة هي منطقة سورية وجزء لا يتجزأ من الجمهورية العربية السورية تاريخياً، بما فيه منطقة كليكية من حيث الأنتولوجيا التاريخية، تاريخاً وموقعاً ولم تكن في يوم من الأيام تركية كما سيجيء بيان ذلك فيما بعد، وقد نجح في بداية الأمر أول رئيس شركسي للدولة السورية ((الدمادا أحمد نامي الذي كان رئيساً للدولة السورية منذ عام /1925- 1928م/ ورئيساً للوزراء وشكّل ثلاث وزارات كان منها فارس الخوري ويوسف الحكيم..)) في إبقاء لواء اسكندرونة مع الوطن الأم سورية (رغم كل المؤامرات التركية) وعمل على إعادة توحيد سورية التي قسمتها السلطات الفرنسية إلى خمس دويلات⁽²⁾. وقد ألحقها فرنسا بتركيا، في عام /1939م/ بدعم من عصبة الأمم وتحريض سافر من قبل بريطانية حيث قضت سياسة الحلفاء الغربيين ضد محور برلين - روما بإرضاء كمال أتاتورك، رجل الانقلاب التركي، بضم لواء الاسكندرونة وكليكية إلى تركيا ثمناً لفتح أبواب الدردنيل أمام الأساطيل الغربية، وبخاصة البريطانية منها، ولم يكن ذلك لمصلحة فرنسا بالدرجة الأولى،

(1) شوارش طوركيان - القضية الأرمنية والقانون الدولي - ترجمة خالد الجبيلي - ط2 منقحة /1992 - 2000/ - دار الحوار للنشر والتوزيع - اللاذقية - سورية - ص /156.

(2) كتاب يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي ص /165+166/.

وإنما لمصلحة السياسة البريطانية التي كانت ترمي إلى السيطرة على ثلاثة مرفئ في البحر الأبيض المتوسط، أي (مضيق جبل طارق والدردنيل باب البحر الأسود المواجهة لروسيا، وحيث باب الشرق الأوسط على طريق الهند وفلسطين معاً)..

في مقالة لأحد القوميين السوريين كتب يقول:

(في عام 1937م/ حشدت تركيا قواتها أمام الجزيرة السورية بحجة وجود قوى كردية. وتركيا لن تعدم حجة لحشد قواتها حتى ولو لم يكن في المنطقة أكراد..).

بعد ذلك ألحق لواء اسكندرونة عنوة بتركيا منسلخاً عن جسم الوطن الأم سورية العربية، ليلتحق بتركيا الدونمة، تركيا (كمال أتاتورك)⁽¹⁾. بطريقة المخادعة الملتوية وبالمكر والتزوير.. وحدث الأمر كما يلي: في خضم النزاعات الدولية قررت عصبة الأمم إرسال لجنة إلى سنجق اسكندرونة لإجراء استفتاء يقضي بمعرفة نسبة الأتراك في السنجق فهل يمثلون أكثرية ليحق لهم ضم السنجق إلى تركيا أم أن الأكثرية هي إلى جانب العرب، وبذلك تكون معاهدة لوزان نافذة المفعول. وتبقى الحدود المرسومة بين تركيا وسورية هي الثابتة ؟ وبذلك أيضاً تكون ادعاءات أتاتورك باطلة..وما أن وصلت لجنة الأمم إلى سنجق الاسكندرية حتى سبقتها الإجراءات الغاشمة...حيث عمدت تركيا إلى تهجير وارسال /25000/ تركي إلى لواء اسكندرونة حتى تبين إلى لجنة الإفتاء أن العنصر التركي يرجع بعده على العنصر العربي وأن السنجق = اللواء بالتالي هو قطعة من تركيا التي تطالب بضمها إليها..وكان في طليعة المدافعين عن عروبة اللواء صحيفة (العروبة) وصاحبها الأستاذ صبحي زخور ومعه الأستاذ المناضل زكي الأرسوزي⁽²⁾.. وقد صوت شراكسة

(1) مفيد عرنوق - تاريخ سهل العمق - دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - ط1 سنة /2001م دمشق ص/10- 11/.

(2) المرجع نفسه - ص/77/.

لواء اسكندرون لصالح بقائها مع الوطن الأم سورية العربية وكان نسبة السكان الشراكسة فيها يزيد عن 3% كما أفاد بذلك المناضل زكي الأرسوزي في محاضرة له في التلفزيون العربي السوري منذ فترة طويلة⁽¹⁾، وإن المهازل التي سبقت ضم لواء اسكندرون إلى تركيا، من تزوير في الاستفتاء وضغط على عرب اللواء من تهديد وقمع وسجون يعجز اللسان عن وصفها وسردها.⁽²⁾ وتم طرد آلاف العرب والأرمن والشركس من لواء اسكندرون العربي السوري، وهجروا وسكنوا في مختلف أنحاء سورية العربية، وقامت السلطات المسؤولة في سورية في تلك الأيام بإحصاء المهجرين السوريين من اللواء السليب، وقامت بتعميم إداري على مختلف المحافظات السورية مفادها: ضرورة موافاتهم بعدد مواطني لواء اسكندرون المهجرين الذين سكنوا في مختلف أرجاء الجمهورية العربية السورية. [ومن الوثائق والتقارير الإدارية لعام 1939م/ التي تخص قضاء القنيطرة⁽³⁾ حصلت على المعلومات التالية: رقم: 4722 - تاريخ 12 آب - إلى مقام مديرية الداخلية -] لا يوجد في ملحقات هذه المنطقة أحد من اللاجئين من لواء اسكندرون إلا عائلتين مسلمتين في قضاء القنيطرة أحدهما مؤلفة من خمسة ذكور وثلاث إناث - والأخر من رجل ذكر فقط ودمتم⁽⁴⁾.

مقام محافظة دمشق: - جواباً للهاتف المؤرخ في 12/ تموز 1939م رقم / 693 / التجأ إلى قسبة القنيطرة شخص واحد يسمى عمر بن عبد

(1) من محاضرة الباحث عدنان قبرطاي بعنوان اضاءات على تاريخ الشركس في الجمهورية العربية السورية - الجولان العربي السوري نموذجاً: محاضرة في حلب بالمركز الثقافي بتاريخ يوم الخميس 2019/7/18م./

(2) مفيد عرنوق - تاريخ سهل العمق - دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - ط1 سنة /2001م دمشق صفحة / 82./

(3) عدنان قبرطاي - كتاب الجولان في المراسيم والقرارات.

(4) الوثيقة رقم 19/19/ من وثائق مركز الوثائق التاريخية بدمشق.

ربه من قرق خان⁽¹⁾ - تابعة افرنسية وعائلة أخرى مؤلفة من ثمانية أشخاص وكلا العائلتين إسلامية سيدي. في 13/8/1939م التوقيع قائمقام القنيطرة⁽²⁾.

رقم: 4722 - تاريخ 12 آب - إلى مقام مديرية الداخلية -

ولا يوجد لدينا عن شراكسة لواء اسكندرونة المهجرين إلى الجولان، إلا ما كتبه القائد فوزي القاوقجي وهي وثيقة حقيقية في مركز الوثائق بدمشق، كان قد أرسلها مع جثمان الشهيد وكيل الضابط: محمد خالد به جي (شركس) من اللواء السليب، وعاش بعد التهجير في قرية الصرمان الشركسية (العدنانية) في الجولان العربي السوري وهذا نصه: [الجمهورية السورية - وزارة الداخلية الديوان - رقم 155/ص: إلى مقام محافظة دمشق -

استمع مقامكم ولا بد إلى ما أذاعته محطة راديو دمشق في الساعة السابعة والرابع من صباح اليوم إلى الأنباء السارة التي أذيعت ومفادها فك الحصار الذي كان مضروباً على مدينة يافا من قبل مجرمي رجال الهاغانا وقد قام بفك هذا الحصار وقصف مدينة تل أبيب وأشعل فيها النار بعد دك حصون مستعمرة (نيتر) فصائل جيش الإنقاذ المؤلفة من متطوعة الجراكسة في القنيطرة والتي يرأسها القائد إحسان شردم. وها أني أقدم لمقامكم في طيه صورة عن البرقية المحولة التي أذاعها الجنرال فوزي بك القاوقجي والتي وصلت إلينا مع جثمان الشهيد وكيل الضابط خالد الجركس من أهالي قرية الصرمان التابعة للقضاء، هذا وقياماً بالواجب المقدس سأشخص بالذات مع رؤساء الدوائر وفرقة من رجال الدرك للاشتراك في تشييع جثمان هذا الشهيد الذي قضى في ساحة الشرف وسألقي كلمة تأبينية تناسب المقام كما أني سأبذل ما في الوسع للترفيه

(1) نتيجة لإعطاء الفرنسيين لواء اسكندرونة السورية لتركيا وتهجير الكثيرين من سكانها العرب.

(2) الوثيقة رقم 19/19/ من وثائق مركز الوثائق التاريخية بدمشق.

عن عائلته وأولاده البالغ عددهم ثمانية أشخاص فتفضلوا بالعلم والاضطلاع سيدي - القنيطرة في 1948/4/29م التوقيع: قائمقام الجولان⁽¹⁾. ومنه نعلم أن الشهيد هجر من أقصى الشمال السوري (لواء اسكندرونة) واستشهد في أقصى الجنوب السوري على ساحل البحر الأبيض المتوسط بالقرب من المدينة الفلسطينية يافا بعد أن فكوا الحصار عنها..

(1) الوثيقة رقم 155/ص/ تاريخ 1948/4/29م من وثائق مركز الوثائق التاريخية بدمشق تاريخ 1948/4/29م./

الجمهورية العربية السورية

وزارة الداخلية

الدائرة العامة

٥٥/٨٤٣

الى مقام محافظة دمشق

استمع مقامكم ولاية الاما اذ اعنته محطة راويز دمشق في الساعة السابعة والربع من صباح اليوم
الا انباء حسارة التي اذ بعيت ومضاهما منك الحصار الذي كانه مفرداً على مدينة يافا
من قبل بحري رجال الاغاثا وقد تلام بفك هذا الحصار وقصف مدينة تل ابيب وارش
شيل النار بعد ذلك حصونه مسترة [نيترا] فصالح جيش الانقاذ المؤلفة من
مطوعة الجرائد في القنيطرة والتي يرأسها القائد امجاد شردم

ولهذا في اقدم نقائكم في طيبة صورة عن البرقية المحولة التي اذ اعطى الجنرال
موزي بك القاوجي والتي وصلت اليها جنانه الشهيد وكيل الضابط خالد الكر
من الهاي قرية الصراة التابعة للقضاء

لهذا اذ قيا ما بالواجب المقدس س شخص بالذات مع رؤساء الدوائر وزوجة من
رجال الدرك للاسرة في تسيير جنانه لهذا الشهيد الذي قضى في ساحة
اشرف وسال لعل الله تأسيه تناسبه بالمقام كلاً اني سأبذل ما في الواسع
للتدفيه عن عائلته وادولاره البالغ عددهم ثمانية اثنان من مائة الف لعمري

(١١)

قائد مقام الجولان

القنيطرة في ٢٩/٤/٥٥

٥/١ ح-٤

ولدلالة على أن المنظمات الأهلية السورية كانت قائمة على كامل التراب السوري قبل سلخ لواء اسكندرونة، أورد هذه المعلومة الجولانية: (في 20/ 11/ 1933م / أصبحت الجمعية الثقافية الشركسية في القنيطرة برئاسة السيد أمين سمكوغ... وكان للجمعية فروع في الريحانية في لواء إسكندرون السوري أي في أقصى الشمال السوري وأقصى الجنوب السوري في الجولان العربي السوري) الخشنية والصرمان وغيرها من قرى الجولان العربي السوري.⁽¹⁾

ولأهمية موضوع يهود الدونمة في تركيا لا بد من إعطاء فكرة سريعة عنهم:

الدونمة هم اليهود الذين نزحوا من إسبانيا (الأندلس) في القرن السادس عشر، واستوطنوا شمالي تركيا تحت زعامة (سبتي سيبي) اليهودي. وتوصلت هذه الفئة التي أعلنت إسلامها ظاهرياً وبقيت تدين باليهودية، أن أصبحت برجالاتها الأشداء، وعلى رأسهم (أنور باشا وجمال باشا ومصطفى كمال أتاتورك) من قادة حزب الاتحاد والترقي، تسيطر على تركيا وبذلك خلعت السلطان عبد الحميد واستولى مصطفى كمال أتاتورك على السلطة، وألغى كل ما له صلة بالعرب وألغى الحرف العربي وفرض الكتابة في تركيا بالحرف اللاتينية وفرض لبس (البرنيطة) على الشعب التركي وألغى الأذان باللغة العربية.. وقال إنه لا يوجد في تركيا غير القومية التركية واضطهد بقية القوميات غير التركية ومنعهم من التكلم بلغتهم القومية وعاقب كل من يتكلم بلغته القومية (ظلت هذه الأمور لمدة 70/ سنة ويزيد) حتى أنه منع استيراد آلة الأوكرديون لأن الشراكسة في تركيا يعزفون عليها في أعراسهم كما قلنا سابقاً.. ولذلك كله تعاطفت معها كل من فرنسا وانكلترا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، والدليل على ذلك في وقتنا الحاضر أن تركيا الدونمة في تحالف

(1) من كتاب عدنان قبرطاي - قياسات ومفردات من التراث الثقافي الشركسي المادي وغير المادي - الجزء الثالث - ص/62.

واضح مع إسرائيل ترعاه كعنوان لتحالفها مع الولايات المتحدة الأمريكية علناً وبدون وجل أو خجل. وتركيا عضوة في الحلف الغربي (حلف الناتو) وتركيا تسعى منذ عشرات السنين للدخول في السوق الأوروبية المشتركة دون جدوى، وتركيا خدمت إسرائيل منذ قيامها على الأرض الفلسطينية العربية، خدمات جلى خلال عقود كثيرة وحتى الآن.. وقد أقامت إسرائيل تمثالاً لمصطفى كمال أتاتورك في تل أبيب.. وفي تلك الفترة الحساسة كانت بعض الجهات التركية المتآمرة على سورية العربية، قد بعثت ببعض عملائها للقيام بالدعاية لدى بعض التركمان السوريين بغية تهجيرهم إليها، والوثيقة التالية التي وجدتها في مركز الوثائق التاريخية بدمشق تؤكد ما ذهبت إليه: الجمهورية السورية - وزارة الداخلية

قائمقامية قضاء القنيطرة رقم الديوان /6731/1: مكتوم: [إلى مقام محافظة دمشق - اتصل بنا أن هجرة السوريين من أصل تركماني إلى تركيا لا تزال قائمة على قدم وساق ويرجع السبب في ذلك إلى أن الجهة التركية قد بعثت ببعض عمالها للقيام بالدعاية لدى تلك الفئة من السوريين، وقد فهم أخيراً أن المركز الرئيسي لنزوح هؤلاء إلى تركيا هو قرية " براق " من أعمال محافظة حوران. فنرجو العمل على عدم منح الأشخاص من الفئة المبحوث عنها جوازات السفر ومراقبة الحالة مراقبة جدية واتخاذ التدابير (المقتضية) بحق العملاء الأتراك الذين يبتئون الدعايات بهذا الشأن. ودمتم سيدي - دمشق في /26/1/1367 هجرية / و/9/12/1947م - وزير الداخلية - تعميم - مكتوم⁽¹⁾. و]. قبل معارك الجيش العربي السوري مع الكيان الصهيوني الذي ولد في /15/5/1948م/ بفترة قليلة، كان الجيش السوري يومئذ مؤلفاً من ثلاثة ألوية⁽²⁾.

(1) الوثيقة رقم: دا / 45/40. من وثائق الدولة في مركز الوثائق التاريخية بدمشق. من كتاب قضاء الجولان(القنيطرة) من خلال التقارير الإدارية ووثائق الدولة - ج 2 -ص/75.

(2) اللواء مؤلف من فوجين مشاة، وفوج مدرعات، وفوج مدفعية.

اللواء الأول: يقوده العقيد عبد الوهاب الحكيم (وهو الذي سمي بالرتل السوري) وخاض المعارك الأولى. اللواء الثاني: يقوده العقيد محمد جميل البرهاني - اللواء الثالث: يقوده العقيد حسني الزعيم⁽¹⁾ (وبعد قليل انتدب هذا مديراً عاماً للشرطة فحل محله ضابط آخر برتبة مقدم). أما اللواء الأول فقد كان أقوى هذه الألوية ، وهو الذي خاض معركة سمخ. وأما اللواء الثاني فإنه بعد أن كان معسكراً في حلب أمر بالمرابطة على الحدود الجنوبية بين سورية وفلسطين ، من بانياس إلى سمخ. أما اللواء الثالث فقد كان في دير الزور والجزيرة ، وقد استعانوا بأفراده وضباطه لتقوية اللوائين الأول والثاني. ومنه نجد أننا كنا مضطرين أن نمرکز اللواء الثاني في منطقة حلب، أما اللواء الثالث فقد كان في دير الزور والجزيرة ، خشية من الأطماع التركية الواضحة في أراضي الجمهورية العربية السورية.. لذلك خضنا معارك المنطقة الجنوبية من الجبهة السورية وحاربنا إسرائيل بلواء واحد فقط في بداية الحرب على القطاع الجنوبي في منطقة سمخ (المسماة الرتل السوري وكان قائدها الزعيم - عبد الوهاب الحكيم -)، وكان الرئيس (النقيب) ناظم سنجر قائداً للكتيبة الثالثة الموزعة على الحدود السورية التركية، وهو من شراكسة القنيطرة ، قد استطاع هذا القائد المميّز نقل كتيبته (التي أعيد تشكيلها) في ظروف تلك الأيام خلال أقل من /24/ ساعة وحشدتها لتحل مكان الكتيبة الشركسية في منطقة جسر بنات يعقوب لتستريح، اثر معركة بستان الخوري المظفرة التي خاضتها /كتيبة الفرسان الثانية الشركسية في الجيش العربي السوري./⁽²⁾.⁽³⁾

أثناء التصويت على مشروع قرار تقسيم فلسطين العربية ، في الأمم المتحدة عام /1947م/ كانت تركيا من الدول التي أيدت التقسيم.

-
- (1) إنه هو الذي دبر الانقلاب السوري الأول ، وتولى رئاسة الجمهورية السورية بعد خلع شكري القوتلي وإخراجه من سورية ، وكان ذلك في /29/ آذار /1949م/.
 - (2) من (كتاب حصاد سنين خصبة.. لأحمد عبد الكريم ص/116/).
 - (3) من كتاب آخر كتأب الفرسان الشركسية لعبدنان قبرطاي.

وكانت تركيا خلال تاريخها الحديث مع الكيان الصهيوني على الدوام. وجيشها يقوم على الدوام بمناورات مشتركة مع جيش الكيان الصهيوني. وتركيا متعاونة بشكل مميّز من الناحية الاقتصادية وغيرها مع الكيان الصهيوني.. وفي نهايات القرن العشرين حشدت تركيا قواتها على الحدود السورية زمن رئيس الوزراء التركي السابق مسعود يلماز بحجة أن سورية تأوي عبد الله أوجلان الثائر الكردي على التحوّل التركي على الشعب الكردي، وقد صرح في حينها مسعود يلماز أنه سوف يحتل دمشق.. وفي الحرب التي تشن علينا منذ تسع سنوات، تاجر أردوغان باللاجئين السوريين ووعد بأنه سيصلي في الجامع الأموي بدمشق، وفتح بازاراً للاجئين السوريين، وأخذ /7/ مليارات دولار من أوروبا، وهو ما يزال يبتزهم ويهددهم بترحيل اللاجئين إليهم إذا لم يدفعوا له مجدداً كيف لا وهو تلميذ ترامب في فن الابتزاز، الذي اعاد انتشار قواته ومركزهم في منابع النفط والغاز السوري وصرّح علناً أنه سيستخدم أموال النفط والغاز السوري لتمويل قواته وقوات حلفائه من قسد 19. (مئات الآلاف من تركمان شمال سورية وغيرهم، نزحوا إلى تركيا بسبب الارهاب الأسود، وتركيا أردوغان، تنوي توطينهم في أماكن تخدم أطماع ونوايا تركيا على الشريط الحدودي.. وذلك بهدف تغيير ديمغرافيا لصالح المحتل التركي وفق أهدافهم القريبة والبعيدة المدى جرياً على عاداتهم العثمانية القديمة، منذ أوائل وجود الدولة العثمانية في آسيا الصغرى..). في عام /2016م/ طالبت أنقرة نقل تركمان الجنوب السوري إلى الشمال 19. ومنحت تركيا الجنسية التركية للاجئين السوريين الذين يثبتون أصولهم التركية أو التركمانية بسهولة تامة.. وهكذا يستمر الأمر كما كان زمن العثمانيين وفترة أتاتورك في زمن أردوغان، وهذا ما نجده ونراه على الحدود السورية التركية في هذه الأيام (بل ضمن الأراضي في الجمهورية العربية السورية متجاوزين كل القوانين الدولية في العالم متعاونين مع شركائهم في الناتو وخاصة الأمريكان..). من قبل العثمانيين الجدد زمن الرئيس التركي الحالي أردوغان الذي يرى نفسه عثمانياً أكثر من العثمانيين القدماء، ففي منطقة عفرين وجرابلس السورية وغيرها من المناطق، التي احتلها

الجيش التركي بعملية غصن الزيتون وغيرها من العمليات الاجرامية، تم تهجير قسماً كبيراً من مواطنيها، وتم تغيير الأسماء العربية لمناطقها واستبدالها بأسماء تركية، ويحاولون تغيير المناهج العربية السورية في مدارسها، وأنشأوا جامعات تركية فيها، وأخذوا يجبرون المواطنين السوريين على استخدام العملة التركية بدل العملة السورية.. وبنوا جدار فصل عنصري في الأراضي السورية في تلك المنطقة، أسوة بجدار الفصل العنصري الصهيوني في الضفة الغربية الفلسطينية، وحفروا خندقاً عميقاً حولها يشبه خندق (ألون) الذي حفرتة إسرائيل في الجولان العربي السوري.. وفي منطقة الحسكة وحدها هجّر المحتل التركي /19/ ألف عائلة سورية.. وتقطع المياه عن مليون سوري بشكل متقطع ومستمر في محافظة الحسكة، وذلك للضغط عليهم وابتزازهم لتحقيق أهدافهم الاستعمارية البغيضة، فقد تكرر قطع المياه عن مليون سوري في الحسكة وما حولها أكثر من أربعة عشرة مرة ويدوم الانقطاع في كل مرة أكثر من اسبوعين، وهذا العمل الاجرامي المدان في كل الشرائع والقوانين الدولية " والمصنّفة ضمن جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية بل ضمن قوانين الإبادة "، لا يحرك ساكناً للمنظمات الدولية التي كانت وما زالت تتباكى وتقيم الدنيا ولا تقعد لها، من أجل محاكمة شخص أو شخصين، أو انقطاع الإنترنت بسبب عطل لساعات ١٩.

وبلغ عدد المهجّرين الجدد بفعل الارهاب الأردوغاني حتى الآن أكثر من نصف مليون سوري. فأردوغان له أطماع في كل الأمة العربية وخاصة في سورية العربية، التي أراد أن يصلي في جامعها الأموي، منذ الأيام الأولى للحرب الكونية التي شنت على سورية، بجهوده المميّزة في دعم الارهابيين بكل الوسائل المتاحة، وإلا ماذا يعني تواجده في الداخل السوري (وخاصة في ادلب وغرب الشمال السوري وغيرها من المناطق العربية السورية، منذ سنوات وهو يحمي كل الفصائل الارهابية هناك ويمدهم بكل وسائل البقاء؟) وفي الصومال وفي السودان وفي قطر وفي ليبيا التي وقع السراج مع أردوغان مذكرة تفاهم تتيح التدخل العسكري لتركيا في ليبيا ١٩.. وفي هذه الأيام تعمل تركيا لإقامة قاعدة بحرية تركية في منطقة مصراته

الليبية ١٩. وتواصل البحث عن الغاز والبتترول في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط ضاربة عرض الحائط بكل القوانين البحرية الدولية فالمعاهدة الدولية للبحار التي وقع عليها في عام / 1982م / كل دول العالم ، لم توقع عليها تركيا.. فتركيا أردوغان لا تعترف بقوانين البحار ولا قوانين الأنهار وخاصة ما يخص نهري " دجلة والفرات " التي أقام الأتراك عليهما / 22 / سداً ، لتتحكم بمياه النهرين وغزارتها ولتضغط على سورية والعراق متى شاءت.. كما تستخدم تركيا من نهر الخابور أضعاف حصتها ، وتترك المياه الراجعة والملوثة تجري في حصة سورية مما يلوث النهر في الجزء السوري منها.. اضافة لقطع مياه نهر " قليط " نهائياً عن منطقة حلب منذ فترات كبيرة..

يأمل أردوغان في تغيير ديمغرافيا في المنطقة التي يسميها منطقة آمنة ، وهي منطقة احتلال بامتياز في كل الشرائع والقوانين الدولية ، وفي هذا المنطقة الذي يطرحه أردوغان بهدف إسكان مليونين من اللاجئين السوريين إلى تركيا (بسبب الارهاب الأسود الذي كان فيه أردوغان العمود الفقري لها). نجد أنه في الواقع الأمني الفعلي في المناطق نفسها ، والتي يندرج تحت مقولة (المضحك المبكي) ، أن الذي يريد منطقة آمنة (عرضها /32/ كيلومتر في العمق السوري على طول الحدود التركية السورية بحجة مكافحة الارهاب) ، لم يرَ أو يكتشف المكان الآمن (وكر زعيم الارهابيين - أبو بكر البغدادي وعائلته ومرافقيه - الذين كانوا على بعد /6/ كيلومترات من حدوده التركية - السورية) ١٩..وقد بات واضحاً لدينا أن هذه التغيرات التي يريجوها ويخطط لها أردوغان في هذه الأيام ، هو استمرار في التغيرات السكانية السابقة من تهجير وتوطين وابداء ، أي منذ الأيام الأولى لدخول الدولة العثمانية إلى بلاد الشام ، كما رأينا بعض أمثلة لها في هذا الكتاب الموجز ، التي أحدثها الأتراك العثمانيون أولاً ثم ورثتها في الجمهورية التركية ، وقد أوردت جانباً بسيطاً منها فيما سبق ، في المناطق الشمالية والشرقية من الجزيرة السورية في الجمهورية العربية السورية بشكل خاص.. إن أهم ميزات الجزيرة السورية هو الفسيفساء الجميلة المتناغمة والمتعايشة فيها منذ الآلاف السنين ،

ومواطنوها يرفضون رفضاً قطعياً تدخل الأجنبي في هذه المنطقة السورية المعطاءة، وهذا الشعب الأبى لا يمكن أن يفرط بذرة تراب ولا بقطرة بترول ولا بحبة قمح فيها، فعندما تدعم أمريكا (قسد) فإنها تدعم أطماع أردوغان في الوقت نفسه، وتجد له المبرر لغزو الأراضي السورية بحجة مكافحة الارهاب. والاتفاق الأخير بين الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا أردوغان على فرض منطقة آمنة في العمق السوري هو لتقاسم الأرباح والغنائم بين أردوغان وترامب. وأردوغان (كما يدعي) يريد حلاً لمسألة المهجرين السوريين، والذي كان وما زال نظام حكمه ضالماً في العمليات الارهابية التي سببت تلك التهجيرات وهو لا يزال منغمساً في التآمر على سورية إلى الأذقان، وهو سارق أصحاب الكفاءات العلمية السورية، وسارق أصحاب رؤوس المال السورية، حيث يتم تجنيسهم بالجنسية التركية بسهولة.. وقد تسبب عملية (نزع السلاح وغيرها) الأخيرة نزوح وتهجير مئات الالاف من السوريين مجدداً، رغم ادعائه أن من أهدافه إعادة مليوني سوري، واسكانهم في مدن سيقمها في المنطقة الامنة، وهو في وضع مالي منهار وخاصة انهيار عملته التي لم يسبق لها مثيل ١٩،

وقد وصف السيد الرئيس الدكتور بشار الأسد، أردوغان بقوله: ((فهو سارق المعامل والمصانع السورية من حلب وغيرها من المناطق وسارق القمح والبتترول السوري والآن يعمل على سرقة الأرض السورية)) بحجة منطوقته الأمانة لإسكان اللاجئين السوريين في تلك المنطقة على الأراضي السورية خلافاً للأنظمة والقوانين الدولية، وذلك بهدف تغيير ديمغرافيا لصالح المحتل التركي وفق أهدافهم القريبة والبعيدة المدى، كما فعلوا منذ بضعة عقود في اللواء السوري اسكندرونة السليبية وغيرها من المناطق السورية السليبية. إذ هجروا قسماً كبيراً من مواطنيها العرب السوريين استمراً للسياسة العثمانية التركية القديمة في التهجير والتوطين..، وذلك بهدف تغيير ديمغرافيا لصالح المحتل التركي وفق أهدافهم القريبة والبعيدة المدى، كما فعلوا منذ بضع عقود في اللواء السوري اسكندرونة السليبية وغيرها من المناطق السورية السليبية. إذ هجروا قسماً كبيراً من مواطنيها العرب السوريين استمراً للسياسة العثمانية التركية القديمة في التهجير والتوطين.

المبحث الخامس

ميثاق الأمم المتحدة حول الإبادة الجماعية

وأخيراً أود أن أعرض عليكم ميثاق الأمم المتحدة حول الإبادة الجماعية لمقارنتها مع ما جاء في هذا الكتاب الموجز، حول الإبادات وجرائم الحرب المرتكبة من قبل الدولة العثمانية وورثتها وحتى الآن، ضد الشعوب التي ذكرتها على سبيل المثال لا الحصر، ولتحكموا بأنفسكم على الطغاة البغاة، في هذه المنطقة المقدسة لكل الديانات السماوية: أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 9/ كانون الأول سنة 1948م، (ميثاقاً حول منع جريمة الإبادة، والمعاقبة عليها). وقد وضع موضع التنفيذ سنة 1950م/، وأقره الاتحاد السوفيتي سنة 1954م، وفيما يلي مواد الأساسية: (المادة 1/): تؤكد الأطراف المتعاقدة، أن الإبادة الجماعية، سواء ارتكبت وقت السلم، أو وقت الحرب، هي جريمة بموجب القانون الدولي، وتتعهد هذه الأطراف بمنع هذه الجريمة والعقاب عليها.

في الميثاق الحالي، الإبادة الجماعية تعني، أي عمل من الأعمال التالية، يتم ارتكابه بنية الإبادة الكلية، أو الجزئية للجماعات القومية، أو العنصرية، أو العرقية، أو الدينية مثل: أ - قتل أعضاء الجماعة. ب - التسبب بأذى جسدي، أو عقلي خطير، لأعضاء الجماعة. ج - فرض ظروف حياتية على الجماعة، يقصد بها التسبب كلياً، أو جزئياً، في تدميرها الجسدي. - فرض إجراءات، يقصد بها منع التوالد داخل الجماعة. هـ - نقل أطفال الجماعة بالقوة إلى جماعة أخرى.

بعد قراءة سريعة للمادة الأولى من هذا الميثاق نرى أن كافة بنوده تنطبق على الإبادة الجماعية التي مورست ضد الأمة الشركسية والشعب الآشوري والأرمني من قبل الأتراك العثمانيين أولاً ثم من قبل حكام

الجمهورية التركية منذ عهد أتاتورك وحتى الآن. فأين كان القانون الدولي وحُماته، وأين حق تقرير المصير للشعوب، وأين هي حقوق الإنسان؟ وإلى متى سيدوم فرض (الشرعية الدولية الانتقائية) واتحاد القاتل مع المقتول في دولة مفروضة على الشعوب الضعيفة، وإلى متى ستبقى هذه القضية هي قضية العصر التي تبحث عن حل في كل مواقع الظلم والاعتداء، وبشكل خاص الاعتداء على الشعوب المستضعفة..؟⁽¹⁾

وقد تبنت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة بعد قيامها مباشرة مجموعة قرارات تمنع وقوع جريمة الإبادة الجماعية بحق أية مجموعة بشرية بسبب اللون أو العرق، أو الدين. وأكدت أن جريمة الإبادة يستتكرها العالم المتحضر، ولا يجوز ارتكابها لأي سبب من الأسباب، وقد نادى الدول الأعضاء أن تتضمن تشريعاتها منع ارتكاب هذه الجريمة ونادت أيضاً بالتعاون بين الدول من أجل منع وقوعها.

ونصت المادة الثانية على أن المقصود بالإبادة الجماعية: أي فعل من الأفعال الذي يقصد من ورائه التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية أو عرقية أو عضوية. واعتبرت من يقوم بفعل الإبادة كل من الذين يؤدون الأعمال التالية:

أ - التآمر على ارتكابها. ب - التحريض المباشر أو غير المباشر، والتحريض المعلن أو السري. ج - ارتكابها أو الاشتراك فيها. د - التستر عليها.

وقد حددت المادة الرابعة ضرورة إيقاع العقاب على كل مرتكب لهذه الجريمة سواء أكان حاكماً دستورياً أو موظفاً عاماً أو فرداً من الأفراد، ويترتب على الدول الأعضاء المتعاقدة اتخاذ التدابير التشريعية اللازمة لضمان تنفيذ هذه الاتفاقية من جهة، ومعاقبة مرتكبيها من جهة أخرى، على أن تتم محاكمتهم أمام محكمة مختصة، من محاكم الدولة التي

(1) تعليق المؤلف عدنان قبرطاي.

ارتكبت الجريمة على أراضيها أو أمام محكمة دولية جزائية ذات اختصاص. من بين أبشع انتهاكات الحقوق والحريات الأساسية التي ارتكبتها السلطات العثمانية أولاً ثم حكام الجمهورية التركية الغاشمة هي سياسة الإبادة الجماعية في كل مراحل تاريخها الأسود، ضد الشعوب المستضعفة كما بيّنا في هذا الكتاب الموجز.. التي تجلت في الأعمال الموجهة إلى الإبادة الكاملة أو الجزئية لشعوب كثيرة دون استثناء ونخص بالذكر الشراكسة. والآشوريين والأرمن والسريان والكلدان⁽¹⁾، والقانون الدولي المعاصر، يعتبر الإبادة الجماعية من الجرائم الدولية كما أسلفنا والأشخاص المذنبون في ارتكاب هذه الجرائم يخضعون للعقوبة، بصرف النظر عما إذا كانوا رجال دولة أو أشخاص غير رسميين. وطبقاً لمعاهدة عدم سريان فترة التقادم على جرائم الحرب والجرائم البشرية، لا تسري أية فترات تقادم على الأشخاص، الذين ارتكبوا جرائم الإبادة الجماعية. وهم يخضعون للمسؤولية بصرف النظر عن زمن ارتكاب أعمالهم الإجرامية "حتى إذا لم تكن هذه الأعمال تُعد انتهاكاً للتشريعات الداخلية للبلد الذي ارتكبت فيه" /المادة 1/. وفي الحالات التي درسناها في هذا الكتاب نجد أنه ينطبق تماماً المسؤولية عن الجرائم المرتكبة بحق الشعوب المذكورة وأقصد كل الحكام والوزراء والجنرالات والبشوات... الذين أصدروا الأوامر لمؤسسيهم لتنفيذ تلك الجرائم الشائنة المدانة في الماضي والوقت الحاضر، الذين ارتكبوا ويرتكبون أبشع الجرائم التي أقل ما يُقال عنها أنها جرائم إبادة جماعية هم "مجرمون في نظر القانون الدولي". وفي نظر كل الشرائع الوضعية والسماوية.. ولا يسري التقادم عليهم أبداً، فإن كانت الظروف الحالية لا تسمح بمحاكمتهم إلا أن العالم لن يسكت عنهم في المستقبل. في معاهدة منع الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها جاء في المادة الأولى أن الإبادة الجماعية جريمة تنتهك قواعد القانون الدولي. لهذا وبصرف النظر عما إذا كانت هذه الدولة (العثمانية

(1) تعليق المؤلف عدنان قبرطاي.

وورثتها من الجمهورية التركية الحالية) مشاركة في المعاهدة، وعمّا إذا كانت قوانينها تحرم الإبادة الجماعية أم لا فإن المذنبين في هذه الجريمة الدولية يخضعون للمحاكمة والعقوبة. وكما يؤكد القرار الاستشاري للمحكمة الدولية للأمم المتحدة، الصادر في 28/ مايو عام 1951م، بالنسبة للتحفظات المتعلقة بمعاهدة منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها. فإن المبادئ الموضوعية في هذه المعاهدة تعتبر معترفاً بها من الجميع، وعلى هذا فهي ملزمة لجميع الدول حتى مع عدم وجود أي ارتباط بالمعاهدة. والأشخاص المذنبون في جرائم الإبادة الجماعية، يجب أن يحاكموا أمام محكمة قومية للدولة التي ارتكبوا فيها أعمالهم الإجرامية. وفي حالة ما إذا كانت الحكومة الموجودة في السلطة هي المشجعة والمنظمة لهذه الجرائم غير الإنسانية، يمكن إنشاء محكمة جنائية دولية. وقد صدق ما يزيد عن مائة دولة على معاهدة منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها منذ عقود.

وقد كان المشرعون الأمريكيون يعترضون على وجه الخصوص على المادة الثانية من المعاهدة، والتي تُعرّف الإبادة الجماعية، " فطبقاً لهذه المادة بالذات تُعد الولايات المتحدة الأمريكية مذنبية في أعمال الإبادة الجماعية ضد سكان البلاد الأصليين من الهنود الحمر في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي قمع مطالبات الزنوج بالمساواة في الحقوق وقتلهم دون محاكمة، كما يفعل رجال الشرطة الأمريكية على الدوام، وكان آخر ما شاهدناه في هذا المجال قتل أربعة من الشرطة الأمريكية للمواطن الأمريكي الأسود جورج فلويد خنقاً، حيث جلس أحدهم بركبته على رقبة جورج لمدة أكثر من ثمانية دقائق وهو يصيح بعبارة (لا أستطيع التنفس).. وفي فيتنام. وفي أفغانستان والعراق وسورية.. مارس الأمريكيون والأوروبيون جرائم لا تعدّ ولا تحصى..⁽¹⁾ " وفي عام 1986م/ فقط وافق مجلس الشيوخ الأمريكي على التصديق عليها وطبقاً لهذه المادة بالذات

(1) تعليق المؤلف عدنان قبرطاي.

تُعد الدولة العثمانية وورثتها التي هي الجمهورية التركية الحالية مذنبية في أعمال الإبادة الجماعية ضد الأمة الشركسية والآشورية والأرمنية.. الذين عانوا أعمال الإبادة الجماعية والنفي بل والطرْد النهائي من وطنهم الأصلي الأزلّي وتشريد الشركسة وتوزيعهم على /45/ دولة في العالم منذ عام 1860م وحتى الآن. ولم يتم في المعاهدات بشأن الإبادة الجماعية حل مسألة مسؤولية الدول التي تكون حكوماتها هي المنظمة والمحرضة على هذه الجرائم الدولية. إذ إن محاكمة ومعاقبة الموظفين الحكوميين المسؤولين، ومن يقومون بتنفيذ أوامرهم الإجرامية لا يعفي الدولة من المسؤولية الدولية⁽¹⁾.

وقد أكدت اتفاقية عدم تفاقم جرائم الحرب، والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية التي اعتمدت وعرضت للتوقيع والتصديق بقرار الجمعية العامة رقم 2391 (د -23) بتاريخ /26/ نوفمبر لعام /1968م/. وبدء النفاذ في /11/ نوفمبر عام /1970م/، حيث رأت دول هذه الاتفاقية، واستناداً إلى قراري الجمعية العامة للأمم المتحدة /3/ (د -1) و/170/ (د -2) والمتعلق بتسليم ومعاقبة مجرمي الحرب، وإلى القرار رقم 2184 (د -21) الصادر في /16/ كانون الأول لعام /1966م/، الذي نص على إدانة انتهاك حقوق سكان البلاد الأصليين، الاقتصادية والسياسية من ناحية وإدانة سياسة الفصل العنصري من ناحية أخرى باعتبارهما جريمتين ضد الإنسانية. وإدراكاً لمسؤوليات الجمعية العامة إزاء مصير الأجيال القادمة من الأطفال وإزاء مصير الأمهات في ظروف وحالات المنازعات المسلحة ومراحل الكفاح من أجل الاستقلال، وتقرير المصير والتحرر القومي والوطني، وما يتعرض له السكان المدنيون ومنهم الأطفال والنساء في المناطق المعرضة للعنف، الذي يفرضه المستعمر⁽²⁾، ونظراً لاستمرار مثل هذه الحالات في العالم

(1) من كتاب الأمن الدولي وحقوق الإنسان: فلاديمير كارتاشكين - ترجمة: د. علي غالب عام 1989م.

(2) في الشمال السوري وغيرها من المناطق، ينطبق صفة المستعمر والمعتدي على كل الدول التي دخلت الجمهورية العربية السورية دون موافقة الحكومة السورية الشرعية..

رغم الإدانة العامة وانتهاك الحقوق والاعتداء على الحريات الأساسية، وإهدار كرامة الجنس البشري، واستمرار تواجد أنظمة عنصرية تنتهك قواعد القانون الدولي، فإن الجمعية العامة تجد نفسها ملزمة لتوفير حماية خاصة للنساء والأطفال من بين السكان المدنيين، وعلى ضوء القرارات الصادرة عنها، فقد أعلنت رسمياً الإعلان الخاص بحماية النساء والأطفال في حالات الطوارئ والمنازعات المسلحة، ودعت جميع الدول الأعضاء للالتزام به التزاماً دقيقاً. ورغبة منها في تحقيق هذه الأهداف فقد حظرت حالات الاعتداء على المدنيين وقصفهم بالقنابل، الأمر الذي يلحق بهم آلاماً لا تحصى وعلى الأخص الأطفال والنساء الذين هم أقل أفراد المجتمع مناعة، كما حظرت استعمال الأسلحة الكيماوية والبكتريولوجية أثناء العمليات العسكرية حيث أنها من أفدح الانتهاكات لحقوق الإنسان. وقد حظرها بروتوكول جنيف منذ عام /1925م/، واتفاقية جنيف عام /1945م/..

ملاحظة: الجزء الثاني من الكتاب.

الباحث والمؤرخ: عدنان محمد مصطفى قبرطاي: في سطور:



العقيد الجوي الركن المتقاعد عدنان قبرطاي.



(العقيد الجوي الركن المتقاعد: عدنان محمد مصطفى قبرطاي).

من مواليد حي القبرطاي في القنيطرة بتاريخ /29/7/1947م./

- درس في مدرسة النموذج وخالد بن الوليد الابتدائيتين في القنيطرة عام /1953م/ حتى عام /1959م/.

- درس في ثانوية أحمد مريود والحسن بن الهيثم في القنيطرة في المرحلتين الإعدادية والثانوية (/1960م حتى /1967م/).

- دخل كلية العلوم الطبيعية في جامعة دمشق عام /1967 - 1968م/.

- ترك كلية العلوم وتطوع في نهاية عام /1968م/ في الكلية الجوية وتخرّج فيها برتبة ملازم جوي عام /1970م/.(التي تعادل شهادتها البكلوريوس= شهادة جامعية).

- تخرّج في عدة دورات تأهيلية منها دورة مهندس سرب جوي، وكان آخر دوراته العسكرية في كلية الأركان عامي /1985م و1986م/ التي تعادل شهادتها (دكتوراه في العلوم العسكرية) بموجب مرسوم جمهوري عام /1963م/.

- حاز على بضع أوسمة منها وسام التدريب لمرتين.

- حاز على عدة شهادات من قائد القوى الجوية ومن رؤسائه المباشرين..

- تقاعد براتب عميد ورتبة عقيد جوي ركن.

- عضو اتحاد الكتاب العرب. (جمعية البحوث والدراسات).

- انتخب أميناً لسر الجمعية الخيرية الشركسية وبعد عدة دورات انتخب نائباً لرئيس الجمعية الخيرية بدمشق منذ ستة سنوات. كما انتخب رئيساً للمجلس الاستشاري الشركسي لشراكسة سورية لمرتين. وبصفته رئيس المجلس الاستشاري الشركسي الذي يمثل شراكسة سوريا، وفي الظروف الاستثنائية التي يعيشها شراكسة سورية ترأس اجتماع لجنة المصالحة الشركسية مع لجنة المصالحة في مجلس الشعب السوري وكذلك مع وزير المصالحة السيد علي حيدر وشرحت اللجنة المشاكل الاستثنائية التي يمر بها الشراكسة في سورية وطالبوا بإطلاق سراح الموقوفين والمسجونين والمخطوفين الشراكسة.. كلف رئيساً للجمعية الشركسية لمدة ينوف مجموعها عن العام أثناء غياب الأصيل المتكرر خارج البلاد.. وأصبح رئيساً للجمعية الخيرية الشركسية بعد أن استقال الرئيس السابق منذ /2014/5/27م، وظلّ رئيساً للجمعية الخيرية الشركسية حتى تاريخ /2016/5/27م/.

- حصر جهوده وهوايته وتفرّغه في البحث والتأريخ والتأليف في تاريخ الجولان بشكل خاص، والشراكسة في العالم منذ عدة عقود، واهتم اهتماماً خاصاً بدولتي سلاطين الشراكسة البحرية والبرجية.

- كان مسؤولاً ثقافياً لعدة دورات في اللجنة الثقافية في الجمعية الخيرية الشركسية بدمشق، وله مشاركات دائمة منذ أكثر من ثلاثة عقود في النشرة الثقافية ثم في مجلة ألبروز التي تصدرها الجمعية الخيرية الشركسية بدمشق. كما ينشر له مقالات في الشأن الشركسي في المجلات الشركسية بعمان في الأردن. وله أيضاً مقالات في جريدة الجولان وفي مجلة الحرفيين بدمشق وفي مجلة التراث العربي في سورية وفي جريدة أدغه ماق في نالشيك، ومجلة الرودينا

التي تصدر في موسكو. كما أصدر أول مجلة الكترونية في الجمعية الخيرية الشركسية باسم البروز.

– له مقابلات تلفزيونية في عدة فضائيات محلية وعربية وأجنبية وشركسية.

– ذكر في الموسوعة الشركسية لمحمد خير مامسر كمؤرخ وباحث ومؤلف وله في هذه الموسوعة بحوث تزيد عن مئة صفحة..

– صنّف في المواقع المشهورة في الإنترنت، كأحد أعلام الشركسية في سورية العربية. وصنف - علم - في جريدة الاسبوع الأدبي التي يصدرها اتحاد الكتاب العرب في سورية - العدد /1633/.

اهتم منذ صغره بجمع وتدوين تاريخ الجولان العربي السوري واهتم بشكل خاص بتاريخ مدينته القنيطرة، والقرى الشركسية في سورية، كما جمع ودوّن التاريخ الشركسي للقفاص ولشراكسة الشتات وخاصة لشراكسة سورية العربية.

- أرخ وبحث وألف في مواضيع كثيرة تخصّ الشأن الشركسي بشكل عام واهتمّ بتاريخ أعمال شراكسة سورية بشكل عام وبشراكسة الجولان بشكل خاص، إضافة لاهتمامه بكل ما يتعلّق بتاريخ الجولان والقنيطرة تحديداً منذ نعومة أظفاره

- كتب تاريخ القنيطرة منذ ظهورها في الكتب العربية كقرية صغيرة قبل /700 سنة / خلت وحتى الحرب العالمية الأولى. وكان مصادره في البحث والتوثيق متعددة منها ما جاء في كثير من أمهات الكتب القديمة عن الجولان والقنيطرة، وكل ما استطاع جمعه من كتابات الرحالة في مختلف الأزمنة، وكل ما وجدته من وثائق في مركز الوثائق التاريخية بدمشق، التي تضم أكثر من /2300 مجلد كبير / عن المحاكم الشرعية في الدولة العثمانية.. وكل ما استطاع ايجاده في كتب مكتبة الأسد والظاهرية، وكل ما جمعه شخصياً وما حصل عليه من الأصدقاء والمهتمين والأقارب من صور ووثائقية، إضافة لما جاء في السجلات العثمانية القديمة وفي سجلات النفوس العثمانية والسلنمات العثمانية التي تعني (الجريدة العثمانية الرسمية) التي تحوّل اسمها فيما بعد طرد العثمانيين من سورية إلى مجلة العاصمة، وفيما بعد أصبح اسمها (الجريدة الرسمية السورية). وكان من مصادر بحثه ما كتب في العصر الحديث عن

الجولان، وكذلك القرارات والمراسيم التي صدرت قبل وبعد استقلال سورية بخصوص الجولان العربي السوري، (حيث أُلّف فيها كتب كثيرة) إضافة للمخطوطات كما جمع معلومات هامة من شهود العيان المسنين ومن صانعي الأحداث والمشاركين بها منذ نصف قرن تقريباً. وجمع كل التقارير الإدارية التي كانت تصدر من القائمقامات في قضاء الجولان العربي السوري التي كانت تتبع لمحافظة دمشق في حينها، وكتب منها عدة كتب..

- وثق معظم ما فعله الشركاسة السوريون، في المجتمع المدني (الأهلي) من جمعيات خيرية ومنتديات ثقافية وأندية رياضية وفرق رياضية في القنيطرة والقرى الشركسية المنتشرة في عدة محافظات، إضافة لما أصدره شركاسة سورية من صحف ومجلات في داخل سورية وخارجها، ووثق ما بذلوه من أجل إيجاد أبجدية شركسية بالأحرف اللاتينية، وكذلك المؤتمرات التي عقدها من أجل الحفاظ على اللغة الشركسية حيّة، وكذلك وثق منجزات شركاسة الجولان في مجال إحداث المدرسة الأديغية (الشركسية) المختلطة، في القنيطرة خلال أكثر من عشرة أعوام منذ عام /1933م/ وحتى عام /1942م/ وبين أن هذه المدرسة هي امتداد للمدرسة الشركسية التي كانت في القنيطرة منذ عام /1883م/ في العهد العثماني. كما وثق ما أمكنه من التراث الشركسي والحرف الشركسية والأزياء الشركسية والأسلحة البيضاء التي صنعها الشركاسة، وأدوات الخيول الشركسية، والسباقات التي كان الشركاسة يقومون بها في سورية.

- له بحوث وكتب هامة عن فترة حكم سلاطين الشركاسة في الشرق الأوسط. وكتب عن المرحلة اللاحقة لفترة سلاطين الشركاسة ثلاثة كتب يظهر فيها أن الشركاسة قد استمروا في حكم بعض بلدان الشرق الأوسط لقرون أخرى وبأشكال مختلفة من أشكال الحكم.. وعمل على تقديم المساعدات القيمة لبعض الطلبة الذين يحضرون دراسات وحلقات بحث عن الشركس في الجامعات المختلفة لنيل شهادة الماجستير والدكتوراه في بعض البلدان العربية والأجنبية..

وقد وثق عدنان قبرطاي في دمشق مع الخبير الشركسي - علي خان قزوقه - من جمهورية قبردينيا بلقاريا الشركسية في الاتحاد الروسي مع المصور المتخصص، الشركسي السوري - بشر ياور - كل ما وجدوه في المتحف الحربي

في التكية السليمانية من الأسلحة البيضاء والنارية الشركسية القديمة من صنع الشراكسة، وقاموا بصيانتها في عام /2007م/. وكان عددها أكثر من /100/ قامة وسيف وطبنجة وبارودة وأجهزة قتالية أخرى شركسية قديمة باتت نادرة. وكذلك الأمر في المتحف الوطني ومتحف التقاليد الشعبية في قصر العظم بدمشق.. ومن بيوت الشراكسة في سورية العربية وتُقوا أيضاً أكثر من مئة قطعة سلاح أبيض شركسي آخر.. وذلك تمهيداً لإصدار موسوعة الأسلحة البيضاء الشركسية في العالم من قبل السيد علي خان قزوقه المقيم في موسكو.. كما جمع عدنان قبرطاي أكثر من /200/ شريط تسجيل من الطراز القديم و - س. د - و - دي. في دي - وأشرطة الفيديو مضمونها جميعاً التراث والفلكلور الثقافي الشركسي المادي وغير المادي.. مع كم كبير من الورقيات المهمة في الشأن الشركسي.. وحصل من مركز الوثائق التاريخية وغيرها بدمشق بجهوده الخاصة على مئات الوثائق الشركسية من أصل آلاف سجلات المحاكم العثمانية وغيرها مثل الأوامر السلطانية وغيرها.. التي يخص الشراكسة في المشرق العربي..

- مثل مع صحبه الجمعية الخيرية الشركسية في المؤتمر العالمي للجمعية العالمية الشركسية في مدينة نالتشيك عام /2003م/، وقدم للموسوعة الشركسية التي كانت قيد التأليف دراسة عن أعلام من شراكسة سورية. كما كان عضواً في اجتماع الجمعية العالمية في استنبول عام /2011م/. ومثل الجمعية الشركسية في الاجتماعات الشبابية في جامعة نالتشيك وفي كراسنار وفي أبخازيا مع مجموعة من شباب الجمعية الخيرية الشركسية في الشهر الخامس من عام /2014م/. مثل مع صحبه الجمعية الخيرية الشركسية في المؤتمر العالمي للجمعية العالمية الشركسية في مدينة نالتشيك عام 2015م. واجتمع مرتين مع رئيس جمهورية قبردينا - بلقاريا شارحاً له أوضاع شراكسة سورية.. له مقالات ومحاضرات كثيرة كان آخرها محاضرة عن آفاق عودة الشتات الشركسي إلى الوطن الأم، في المؤتمر الدولي الذي عقد في موسكو بتاريخ 27 /- /2018/5/28م/.. ومحاضرة في فرع قدسيا للجمعية عن أسلاف الأمة الأدبغية الشركسية - ومحاضرتين في فرعي الكسوة الشرقية والغربية.. ومحاضرة في الجمعية الخيرية الشركسية - المركز - عن الجذور التاريخية لمنشأ كلمة شركس..

(- أصدر الكتب التالية:)

- 1 - كتاب صفحات مطوية من تاريخ القنيطرة والجولان عام 2005م / م.ج.1
- 2 - كتاب صفحات مطوية من تاريخ القنيطرة والجولان - ج.2.
- 3 - كتاب صفحات مطوية من تاريخ القنيطرة والجولان - ج.3.
- 4 - كتاب صفحات مطوية من تاريخ القنيطرة والجولان - ج.4.
- 5 - كتاب صفحات مطوية من تاريخ القنيطرة والجولان - ج.5.
- 6 - كتاب صفحات مطوية من تاريخ القنيطرة والجولان - ج.6.
- 7 - نضال ومعاناة أهل الجولان في وثائق الدولة والتقارير الادارية منذ عام 1918م حتى /1948م/ ج.1.
- 8 - نضال ومعاناة أهل الجولان في وثائق الدولة والتقارير الادارية منذ عام 1918م حتى /1948م/ ج.2.
- 9 - كتاب الجولان في المراسيم والقرارات (1918 - 1938م). عام /2008م/.
- 10 - كتاب أوراق شركسيّة منسيّة عام 2006م.
- 11 - كتاب آخر كتائب الفرسان الشركسية عام 2007 م.
- 12 - قافلة من الشهداء الشركسية في سورية.ج.1.
- 13 - الأدباء والفنانين الشركسية في بلدان الشتات.
- 14 - بعض أوقاف الشركسية في مصر وبلاد الشام.
- 15 - قبسات ومفردات من التراث الثقافي الشركسي المادي وغير المادي ج.1.
- 16 - قبسات ومفردات من التراث الثقافي الشركسي المادي وغير المادي ج.2.
- 17 - قبسات ومفردات من التراث الثقافي الشركسي المادي وغير المادي ج.3.
- 18 - قبسات ومفردات من التراث الثقافي الشركسي المادي وغير المادي ج.4.
- 19 - قبسات ومفردات من التراث الثقافي الشركسي المادي وغير المادي ج.5.
- 20 - قبسات ومفردات من التراث الثقافي الشركسي المادي وغير المادي ج.6.
- 21 - قبسات ومفردات من التراث الثقافي الشركسي المادي وغير المادي ج.7.
- 22 - قبسات ومفردات من التراث الثقافي الشركسي المادي وغير المادي ج.8.
- 23 - قبسات ومفردات من التراث الثقافي الشركسي المادي وغير المادي ج.9.
- 24 - قبسات ومفردات من التراث الثقافي الشركسي المادي وغير المادي ج.10.
- 25 - قبسات ومفردات من التراث الثقافي الشركسي المادي وغير المادي ج.11.
- 26 - قبسات ومفردات من التراث الثقافي الشركسي المادي وغير المادي ج.12.
- 27 - قبسات شركسية في سورية العربية.

- 28 - من التراث الشركسي المادي واللامادي ج1.
- 29 - قرية المنصورة الشركسية درة في الجولان.
- 30 - قرية عين زيوان الشركسية درة في الجولان.
- 31 - قرية الجويزة درة في الجولان.
- 32 - قرية الخشنية درة في الجولان.
- أسلاف الأمة الأديغية (الشركسية).
- 34 - البحرية الأديغية (الشركسية) ورجالها..
- 35 - الشراكسة الكاسيون.
- 36 - الشراكسة والسلاح.
- 37 - قصة الكتابة عند الشركس ج1.
- 28 - قصة الكتابة عند الشركس ج2.
- 29 - - الأصول الشركسية للسلطين البحرية (1250 - 1382م).
- 40 - أخطاء وعثرات مؤرخي وباحثي تاريخ أواخر الدولة الأيوبية ودولتي سلاطين الشراكسة ج1.
- 41 - أخطاء وعثرات مؤرخي وباحثي تاريخ أواخر الدولة الأيوبية ودولتي سلاطين الشراكسة ج2.
- 42 - الشراكسة حكموا بعض الدول الافريقية أو ساهموا في حكمها.
- 43 - الشراكسة حكموا بعض دول آسيا وأوروبا أو ساهموا في حكمها ج1.
- 44 - الشراكسة حكموا بعض دول آسيا وأوروبا أو ساهموا في حكمها ج2.
- 45 - الأبخاز الشراكسة أزل وأبد. باسم مستعار - أميرة قبرطاي) عام 1994م ./
- 46 - قبسات أبخازية في الشرق.
- 47 - مسؤولية الامبراطورية العثمانية وورثتها عن نكبة الشراكسة - ج1.
- 48 - مسؤولية الامبراطورية العثمانية وورثتها عن نكبة الشراكسة - ج2.
- 49 - مصير الشراكسة..
- 50 - قافلة من الشهداء الشراكسة في سورية.ج2.
- 51 - عمل على ترجمة وإصدار كتاب انتصار الوحدة في شمال القفقاس ليوري شنبه (باسم مستعار - أميرة قبرطاي) عام 1996م.
- 52 - عمل على ترجمة وإصدار كتاب شركيسيا.
- 53 - أصدر جزء من كتاب نور المقابس في تواريخ الجراكس لنوح المرتوقي بعد ترجمتها إلى الشركسية من قبل السيد عدنان قالموق.

- حقق وأصدر كتب أخرى بالاشتراك مع مؤلفين آخرين.
(ألف الكتب التالية :

54 - الجولان في تقارير القائمقامات. (قيد الإصدار).

55 - الشجاعة عند الشراكسة. (قيد الإصدار).

56 - الإمام محمد زاهد الكوثري. (قيد الإصدار).

57 - الشراكسة حكموا اليمن. (قيد الإصدار).

58 - أساليب قتال الشراكسة. - (قيد الإصدار).

59 - أسباب سقوط دولة سلاطين الشراكسة الثانية

60 - الشراكسة في الشرق الأوسط.

61 - تاريخ الرياضة في الجولان العربي السوري.

كتب عشرات المقالات والدراسات والأبحاث في صحف ومجلات مختلفة..

ثبت المصادر والمراجع

- (1) - محمود كشغري - ديوان لغات الترك (طبعة مصورة - أنقرة سنة 1941م).
- (2) - ابن إياس - بدائع الزهور: ج 3.
- (3) - تاريخ ابن خلدون - تأليف عبد الرحمن بن خلدون (732 - 808 هجرية) المسمى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر - (1332 - 1406م / الجزء الخامس - دار الفكر للطباعة والنشر - مراجعة خليل شحادة وسهيل زكار -
- (4) - مفيد عرنوق - تاريخ سهل العمق - دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - ط1 سنة / 2001م
- (5) - دائرة المعارف الإسلامية الشيعية حسن الأمين المجلد الثاني.
- (6) - خلاصة الأثر ج/4/ للمحبي.
- (7) - ابن إياس - كتاب طومان باي.
- (8) - عدنان قبرطاي - البحرية الشركسية. دمشق.
- (9) - الإقطاع - بولياك - بيروت / 1949م / -.
- (10) - تحقيق محمد مصطفى، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان - القاهرة عام / 1960م /.
- (11) - أكرم العليبي - كتاب دمشق.
- (12) - كتاب دمشق الشام - أيوب سعدية.
- (13) - كتاب يوميات دمشق - للبديري الحلاق.
- (14) - كتاب معالم دمشق التاريخية - أحمد الأيش وقتيبة الشهابي -.
- (15) - كتاب في رحاب دمشق - محمد أحمد دهمان -.

- (16) - مجلة البروز التي تصدرها الجمعية الخيرية الشركسية في دمشق - العدد /الحادي عشر / - تشرين الثاني - عام /1999م/ ص / 20 ÷ 23 - مقالة للباحث والمؤرخ عدنان قيرطاي.
- (17) - أحمد فريدون ورفقات 630 - 641.
- (18) - النشاوي: أوروبا في مطلع العصور الحديثة.
- (19) - البرفسور فؤاد كوبرولو - نشوء الإمبراطورية العثمانية - أنقرة - عام /1959م/.
- (20) - مقالة البرفسور أ. لطفي باركان - نشرت في مجلة كلية الاقتصاد بجامعة اسطنبول.
- (21) - نهاد برزج - تهجير الشراكسة - ترجمة - عصام الحسن حتق.
- (22) - مقالة البرفسور أ. لطفي باركان - نشرت في مجلة كلية الاقتصاد بجامعة اسطنبول.
- (23) - صلاح الدين جاتين ترك، اليورك وأوضاعهم الحقوقية - المجلد الثاني - أنقرة.
- (24) - كتاب جنكيز أورهنلو - إسكان العشائر ترجمة فاروق مصطفى.
- (25) - آ. حوراني - تغيير وجه الهلال الخصيب في القرن الثامن عشر، دراسات إسلامية جزء /8/ عام /1957م/ - .
- (26) - الموسوعة الإسلامية.
- (27) - محمد كرد علي في خطط الشام المجلد 5/ -6/.
- (28) - الجريدة الرسمية العدد /303/ شهر حزيران /1927م/.
- (29) - جريدة ولاية سوريا، العدد /932/، /21 رمضان /1300 هجرية - 6 تموز يوليو 1883م/ - عن لواء عكا لزهير غنايم.
- (30) - الوثيقة رقم /395/ الموجودة في الصفحة /217/ من المجلد /1/ تاريخ /1162 هجرية الموافق لعام 1748م/ الموجودة في مركز الوثائق التاريخية بدمشق.
- (31) - مجلة يممس - أنقرة عام /1977م/.

- (32) - د. جودة ناشخو: كتاب تاريخ الشركس (الأديغة) والشيشان، منشورات لجنة تاريخ الأردن، .
- (33) - أبو دية: صفحات مطوية. عمان.
- (34) - عبد المنعم حسكير: كتاب الجولان،
- (35) - تاريخ أحمد جودت - الجزء الرابع.
- (36) - جون.ف. بادلي - احتلال الروس للقفقاس - تعريب صادق إبراهيم عودة.
- (37) - من وثائق الحرب الروسية القفقاسية - ترجمة السيد غازي جادا.
- (38) - الأوامر السلطانية - حلب - رقم الجلد /8/ رقم الصفحة /66+65/ ورقم الوثيقة: /83/ من وثائق مركز الوثائق التاريخية بدمشق.
- (39) - أسطفان براسيموس - كتاب المسألة الشرقية - ترجمة كمال نعيم الخوري - مركز الدراسات العسكرية - دمشق عام /1996م/ ص /189/.
- (40) - الوثيقة رقم /26/ - المجلد رقم /50/ الصفحات /7+8+9/ من مجلدات الوثائق العثمانية في مركز الوثائق التاريخية بدمشق.
- (41) - أرشيف رئاسة الوزراء التركية ، وثائق نامي هومايون.
- (42) - سلنامة ولاية حلب رقم /22/ لعام /1326هـ/ /1908م/ الموجودة في مركز الوثائق التاريخية بدمشق،
- (43) - القفقاس في التاريخ للجنرال - إسماعيل برقوق.
- (44) - مذكرات موسى قوندوق.
- (45) - عدنان قالموق - مجلة البروز باللغة الشركسية تصدر في نالشيك..
- (46) - الوثيقة رقم /395/ الموجودة في الصفحة /217/ من المجلد /1/ تاريخ /1162هـ/ الموافقة لعام /1748م/ الموجودة في مركز الوثائق التاريخية بدمشق.

- (47) - أمل دوغراماشي من جامعة حاجي تبه - أنقرة - البحث التي قدمته للمؤتمر الثاني لتاريخ بلاد الشام في جامعة دمشق كلية الآداب - الجزء الثاني من عام /1516 - 1939م./
- (48) - أرشيف رئاسة مجلس الوزراء (العثماني) - وزارة داخلية الباب العالي - كرتونة / مصنف / رقم / 99./
- (49) - الوثيقة رقم: دا / 45/40 . من وثائق الدولة في مركز الوثائق التاريخية بدمشق.
- (50) - مجلة الإخاء عدد شباط 1980.
- (51) - أ - بيرجيه - تهجير جبلي القفقاس / مجلة روسيا القديمة 1882م العدد 33.
- (52) - جستن مكارثي - الطرد والإبادة - ترجمة فريد الغزي - .
- (53) - مجلة الإخاء العدد 38.
- (54) - مجلة صوت النارتيين، أنقرة - العدد في شهر شباط عام 1980م./
- (55) كتاب (Bulgarin und Ostrumelien) لمؤلفه س. قوبشفيش لايبزيغ /1886م./
- (56) - علي حسن قاسوم - إبادة الشركاسة - ترجمة الدكتور - عمر شابسيغ - .
- (57) - يا. أبراموف - القوقازيون الشركاسة - ترجمة د. راتب سطاس ود. زهدي سطاس
- (58) - تاريخ المشرق العربي الإسلامي - د - عصام شبارو - .
- (59) - مجلة الإخاء، العدد /8/ عام /1984م./
- (60) - الهجرات من البلقان المجلد الثاني 1970.
- (61) - مجلة صوت النارتيين - أنقرة /1980م/ العدد /16/.
- (62) - مجلة الإخاء، العدد /18/ حزيران عام /1987/.
- (63) - مجلة قفقاسيا الثقافية - أنقرة. العدد (7) 1965 م.
- (64) - سجلات دائرة تسجيل السكان العامة. لندن - ن و 69/424 سري رقم: / 3625./

- (65) - خريطة تبين مناطق اسكان الشراكسة في تركيا.
- (66) - مجلة قفقاسيا - تصدر في أنقرة - السنة الأولى - العدد الخامس.
- (67) - كتاب - قضية المهاجرين والهجرة في تركيا للبرفسور الدكتور - أحمد جواد اداربن.
- (68) - وثيقة متوفرة لدى الباحث الشركسي فكري تونا من وثائق الدولة العثمانية أبرزها لعدنان قبرطاي أثناء مقابلاته شخصياً في بداية تسعينات القرن الماضي.
- (69) - من أرشيف وزارة الخارجية التركية - المجلد /122/ دوسيه رقم: /64/.
- (70) - اسطفان براسيموس - المسألة الشرقية - ترجمة - كمال نعيم الخوري - مركز الدراسات العسكرية بدمشق عام /1996م/.
- (71) - دائرة تسجيل النفوس العامة - لندن. أف. أو. /69/424 سري رقم: /3625/ الصفحات رقم: /26 - 27 - 28 - 29 - / البنود 1/59 - 2 - 3 - .
- (72) - جغرافية الإسكان في تركيا للبرفسور - نجدت توتج ديلك - .
- (73) - سوق المهاجرين - للدكتور شرف الدين مقموي /1911م/.
- (74) - مجلة القفقاس الثقافية - المقالة لزييدة شابلي - .
- (75) - مجلة "الإخاء" النشرة الدورية الثقافية التي تصدرها اللجنة الثقافية في الجمعية الخيرية الشركسية، فرع وادي السير، العدد: 107، السنة 23، أيلول 1998م.
- (76) - من أرشيف وزارة الخارجية التركية - المجلد /122/ دوسيه رقم: /64/.
- (77) - مجلة قفقاسيا الثقافية - أنقرة - العدد /7/ سنة /1965م/.
- (78) - مقالة لعدنان قبرطاي في مجلة البروز التي تصدرها الجمعية الخيرية في دمشق.

- (79) — مارك بنسون، السياسة الروسية وهجرات تثار القرم إلى الإمبراطورية العثمانية /1854 - 1862م/، جونية - دوغوا فروبيا أراستيرمالارى ديرجيسي، 37- 56- 2.
- (80) — بلال سمسير روملي دن ترك جوكليري (هجرة الأتراك من تريس) أنقرة /1968م/.
- (81) - روملي دن ترك جوكليري.
- (82) - باسباكانليك أرسيفي (محفوظات رئاسة الوزارة) أرادى داهيلية
-
- (83) — نورمان لويس البدو الرحّل والمستوطنون في سورية والأردن - 1800 - 1980م/ — الفصل السادس بعنوان (الشركس والشيشان في الأردن وسوريا) — ترجمة أحمد عبد الرزاق هاكوز
- (84) - محمد علي معاذ - الجراكسة في بلاد الشام، مجلة الواحة، العدد الصادر في تشرين الأول /1986م/ -
- (85) — وثيقة رقم /4/445 آذار 1878م/ دمشق / سياسي من وثائق وزارة الخارجية البريطانية / المعلومات قبل ست سنوات من تاريخ الوثيقة.
- (86) - جريدة سورية رقم / 912 / الثلاثاء رجب /1300/ هجرية.
- (87) — وثيقة رقم /4/445 آذار 1878م/ دمشق / سياسي من وثائق وزارة الخارجية البريطانية / المعلومات قبل ست سنوات من تاريخ الوثيقة.
- (88) - وثيقة رقم / 17600 / تاريخ /5 صفر 1275 هجرية /.
- (89) - تقرير نائب القنصل البريطاني - جاغو - في دمشق إلى ماركيث سالزبوري وزير الخارجية البريطاني / أيلول /1879م/
- (90) — عصر السلطان عبد الحميد وأثره في الأقطار العربية، المجلد الأول -
- (91) - وثيقة رقم: /374/ في / 1 / نيسان سامسون 1878م/ من وثائق وزارة الخارجية البريطانية رقم / 37 / سياسي.

- (92) - ليون كاهون - رحلة إلى جبال العلويين عام / 1878م / - ترجمة
- مها أحمد -
- (93) - وثيقة رقم: 1878/7/19/324م/، أرشيف وزارة الخارجية
البريطانية..
- (94) - عدنان قبرطاي، الشراكسة ساهموا في حكم بعض دول آسيا
وأوروبا (تحت مسميات مختلفة ودافعوا عنها) الجزء الأول. -
- (95) - مجموعة من السلنمات العثمانية لعدة سنين.
- (96) - جريدة سورية - نومرو /966/ - / 25 شعبان 1301 هجرية / -
/1883م/.
- (97) - مجلة العربي، العدد 203 سنة 1975.
- (98) - راسم رشدي: كتاب شركسي يتحدث عن قومه.
- (99) - مجلة الإخاء الأردنية، حزيران 1992 م، العدد 37.
- (100) - عدنان قبرطاي قضاء الجولان من خلال التقارير الإدارية ووثائق
الدولة -ج2.
- (101) - سلنمة الدولة العثمانية رقم /27/.
- (102) - وثائق وزارة الخارجية البريطانية للاستخدام السياسي: وثيقة رقم
/344/ في آذار بيروت عام 1878م.
- (103) - وثائق وزارة الخارجية البريطانية للاستخدام السياسي: وثيقة رقم
/445/ في 4 آذار دمشق عام 1878م.
- (104) - الدكتور ميخائيل مانىكة: بحث لمعهد الآثار الألماني،
الصالحية، دمشق.
- (105) - نفحة البشام - محمد بن عبد الجواد القاياتي المتوفى سنة
/1320هـ/1902م/، طبعة القاهرة.
- (106) - صحيفة المقتبس: جريدة يومية سياسية اقتصادية اجتماعية
أسسها صاحبها - محمد وأحمد كرد علي في دمشق عام
/1908م/.
- (107) - مجلة الإخاء، العدد/120/ كانون الأول /2001م/.
- (108) - الموسوعة الفلسطينية - المجلد الثاني.

- (109) - أحمد وصفي زكريا - كتاب الريف السوري.
- (110) - سلنامة الدولة العثمانية لعام /1296هـ/1878م./.
- (111) - روملي دن ترك جوكليري - /1968ثانياً/1970./.
- (112) - سجلات المحكمة الشرعية، شريط حيفا رقم: /141/، مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية - مجلد رقم: /5/، نومة /64/، 12 ذي الحجة 1319هجرية 1901م./.
- (113) - جريدة سورية نومرو /1131/ 4 صفر سنة 1305هجرية الموافق لعام /1887م./.
- (114) - سجلات المحكمة الشرعية، شريط حيفا رقم: /141/، مجلد رقم /2/ صحيفة رقم /21/ نومره 26/45 شوال /1305هجرية /1887م/ + جريدة سورية نومره /1131/، 4 صفر سنة /1305هجرية الموافق لعام /1887م./.
- (115) - سجلات محكمة السلط الشرعية، رقم /15/ سجل حجج شرعية /1326 - 1328هجرية / نومره /126: 178، 14 رمضان /1328هجرية - 1910م./.
- (116) - سجلات محكمة السلط الشرعية، رقم /17/ سجل الإعلامات الشرعية، نومره /52/، 137، /12 محرم /1330 هجرية - 1911م./.
- (117) - جريدة سورية - نومرو /1131/ 4 صفر سنة 1305هجرية = /1887م./.
- (118) - مجلة الإخاء الأردنية التي تصدرها الجمعية الخيرية الشركسية - العدد /24/ تشرين الثاني /1988م./.
- (119) - أبو دية: صفحات مطوية.
- (120) - جريدة سورية - نومرو /966/ - /25 شعبان 1301 هجرية / - /1883م./.
- (121) - السجل رقم /17/ لعام /1305هـ/ - /1306هـ/ ص /81- 83/ محكمة بداية حقوق الشام، من سجلات مركز الوثائق في دمشق.

- (122) - الإخاء العدد /31/ من كتاب البدو الرحل والمستوطنين في سورية والأردن ترجمة أحمد عبد الرزاق هاكوز.
- (123) - كتاب الجولان مفتاح السلام لعبد المنعم الحكيم.
- (124) - ميرزا باشا كتاب وثائقي لمحمد خير حفندوقة - عمان.
- (125) - شوكت المفتي - أباطرة وأبطال في تاريخ القوقاز.
- (126) - كتاب عدنان قبرطاي - قبسات شركسية ج4.
- (127) - جريدة غوازة - اسطنبول، العدد /17/ سنة /1911م/ - من نهاد برزج - التهجير.
- (128) - مجلة الإخاء، العدد العاشر، تموز /1985م/.
- (129) - مجلة الإخاء - العدد /13/ نيسان /1986م/.
- (130) - مجلة الإخاء الأردنية - العددان /18/ في حزيران عام /1987م/ و /17/ آذار /1987م/.
- (131) - جريدة البشير الأسبوعية التي كانت تصدر في بيروت منذ عام 1870 - 1913م - العدد رقم: /424/ بتاريخ /25/ تشرين أول /1878م/.
- (132) - جريدة المقتبس الدمشقية - العدد /557/ الصادر في يوم الاثنين /26/ كانون الأول /1910م/ الموافق لذي الحجة /1328هجرية /.
- (133) - كتاب الحرب العظمى /1914م - 1918م/ من مركز الوثائق.
- (134) - فخري البارودي مذكرات البارودي ، ج1.
- (135) - الإدارة العثمانية لعبد العزيز عوض.
- (136) - مجلة الإخاء الأردنية التي تصدرها الجمعية الخيرية الشركسية - العدد / 31 / أيلول /1990م/.
- (137) - كتاب يوسف الحكيم ، سورية والانتداب الفرنسي.
- (138) - أحمد عبد الكريم. حصاد سنين خصبة وثمار مرة.
- (139) - عدنان قبرطاي - كتاب آخر كتائب الفرسان الشركسية. دمشق.
- (140) - محمد أديب القامري - عروبة فلسطين في التاريخ آب /1972م/.
- (141) - عدنان قبرطاي (الشراكسة الكاسيون). دمشق.

- (142) - محاضرة الباحث عدنان قبرطاي بعنوان إضاءات على تاريخ الشركس في الجمهورية العربية السورية - الجولان العربي السوري نموذجاً: محاضرة في حلب بالمركز الثقافي بتاريخ يوم الخميس 2019/7/18م./
- (143) - الوثيقة رقم 19/19/ من وثائق مركز الوثائق التاريخية بدمشق.
- (144) - كتاب عدنان قبرطاي - الجولان في المراسيم والقرارات. دمشق.
- (145) - الوثيقة رقم 155/ص/ تاريخ 1948/4/29م من وثائق مركز الوثائق التاريخية بدمشق تاريخ 1948/4/29م./
- (146) - عدنان قبرطاي - قبسات ومفردات من التراث الثقافي الشركسي المادي وغير المادي -
- (147) - مجموعة من الخرائط والوثائق المصورة من مركز الوثائق التاريخية بدمشق.
- (148) - تاريخ القوقاز - مت جوناتوقة يوسف عزت باشا - أمير اللواء بالجيش العثماني وعضو المجلس الملكي الكبير بأنقرة - المطبوع باستانبول سنة / 1330هـ - 1912م/ - تعريب المرحوم خوستوقة عبد الحميد غالب بك من أعيان القاهرة - دار صوت النارتين للنشر.
- (149) - محمد رفعت الإمام - الأرمن في مصر -.
- (150) - س. جرافينهاج. م. فان ديربيبيكس هوفبويكاندل. إنكلترا والأرمن / 1839 - 1904م/ - القاهرة / 1993م/ -.
- (151) - موسوعة تاريخ القفقاس والجركس، محمد جمال صادق أبازاو. دمشق.
- (152) - أيتك ناميتوق. أصل الشركس، ترجمة الدكتور فؤاد دوغوظ - دمشق.
- (153) - مجلة "الإخاء" النشرة الدورية الثقافية التي تصدرها اللجنة الثقافية في الجمعية الخيرية الشركسية، فرع وادي السير، العدد: 107، السنة 23، أيلول 1998م.
- (154) - القلقشندي - صبح الأعشى: طبعة القاهرة، المجلد الرابع.

- (155) - التعريف للعُمري، طبعة عمان، ص255، حققها الدكتور سمير الدروبي عام 1992م.
- (156) - شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العُمري المولود بدمشق عام 700هـ - 1300م / موسوعة مسالك الأبصار.
- (157) - الشيخ أحمد البديري الحلاق: حوادث دمشق اليومية (1154 - 1175هـ - 1741 - 1762م).
- (158) - المجلد الثاني من الموسوعة الفلسطينية.
- (159) - مجلة اللطائف المصرية التي كانت تصدر في القاهرة في العدد السادس الصادر في 15/10/1892م.
- (160) - محاضرة الدكتور عادل عبد السلام: كراسة ندوة الجولان التاريخية خلال فترة 1978/6/27 حتى 1987/7/1.
- (161) - سلنامة الدولة العثمانية رقم 27/.
- (162) - جداول احصائية للدولة العثمانية عام (1884م) في عام (1288هـ) الموافق لعام 1871م/.
- (163) - صفحتين من جواز سفر - عبد الوهاب مخصيدة - (الذي استصدره من دمشق في 13/10/ عام 1945م/ من أجل سفره للحج) وهذا الجواز يبين أنه من مواليد القنيطرة عام 1861م/..
- (164) - مجلة العمران السورية - العددان 57+58/.
- (165) - عبد الكريم محمود غرايبه - كتاب: تاريخ العرب الحديث.
- (166) - عدنان قبرطاي - صفحات مطوية من تاريخ القنيطرة والجولان - ج1. دمشق.
- (167) - الأبخاز الشراكسة أزل وأبد، عدنان قبرطاي. دمشق.
- (168) - بطرس البستاني، دائرة المعارف ج 1.
- (169) - هيئة الموسوعة العربية قسم: الحضارة العربية - رقم كتاب التكليف: 2751/ وح شعبة: عدد ورقات البحث: 8 الأستاذ الباحث: عدنان محمد مصطفى قبرطاي: عنوان البحث: الشركس. قدمت عن طريق رئيس مجلس إدارة الجمعية الخيرية الشركسية بدمشق.

- (170) - محافظة القنيطرة - نخبة من مثقفي المحافظة -
- (171) - تيسير خلف، وثائق عثمانية حول الجولان - التكوين للطبع والنشر والتوزيع - دمشق - عام /2006م/.
- (172) - تيسير خلف - استكشاف الجولان /1805- 1880م/ مغامرون وجواسيس وقساوسة. - التكوين للطبع والنشر والتوزيع - دمشق - 2006م.
- (173) - تيسير خلف - صور الجولان في التراث الجغرافي العربي - الإسلامي - ط1 /2004م/ - قدمس للنشر والتوزيع - دمشق.
- (174) - الوثيقة رقم /395/ في الصفحة / 217 / من المجلد /1/ تاريخ /1162هجرية الموافق لعام 1748م/ الموجودة في مركز الوثائق التاريخية بدمشق.
- (175) - يا. أبراموف - ترجمة الدكتور راتب سطاتس والدكتور زاهد سطاتس.
- (176) - محمد بن محمود الحلبي الملقب بابن أجا المتوفى سنة /881 هجرية/ - العراق بين المماليك والعثمانيين الأتراك - صناعة - محمد أحمد دهمان.
- (177) - خيرى الذهبى في مقدمة كتاب نهاية المماليك ودخول العثمانيين إلى الشام من بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس.
- (178) - السيروليم موير - تاريخ دولة المماليك في مصر - ترجمة محمود عابدين وسليم حسن.
- (179) - عدنان قبرطاي - الأصول الشركسية للسلطين البحرية - .
- (180) - تاريخ مصر الحديث للمرحوم جورجى زيدان - الجزء 2.
- (181) - تاريخ الجبرتي - الجزء الرابع 5.
- (182) - كارل بروكلمان (تاريخ الشعوب الإسلامية).
- (183) - د - علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج1.
- (184) - باقر ياسين - تاريخ العنف الدموي في العراق -
- (185) - د. علي الوردي، - الوردي - لمحات اجتماعية - ج1، نقلاً عن جيمس بيلي فريز، نقلاً عن سليمان فائق.

- (186) - صلاح الدين جاتين ترك، اليورك وأوضاعهم الحقوقية - المجلد الثاني - أنقرة.
- (187) - عدنان قبرطاي - البحرية الشركسية -
- (188) - فون فيل - السنة الأخيرة لحروب الشركس من أجل الاستقلال - ترجمة - فاخر ديجن.
- (189) - كتاب (Bulgarin und Ostrumelien) لمؤلفه س. قوبشفيش لايبزيغ /1886م/.
- (190) - بنسون (الاستعمار العثماني).
- (191) - ك. ه. كاريات (الهجرة).
- (192) - باكرات شنوكوبا، البذرة الأخيرة،
- (193) - يا. أبراموف - ترجمة الدكتور راتب سطاس والدكتور زاهد سطاس.
- (194) - مارك بنسون، السياسة الروسية وهجرات تثار القرم إلى الإمبراطورية العثمانية /1854 - 1862م/، جونية.
- (195) - المعبري - تحفة المجاهدين.
- (196) - إسماعيل سرهنك - حقائق الأخبار -
- (197) - ابن آياس بدائع الزهور ج4.
- (198) - أحمد دراج - المماليك والفرنج -.
- (199) - ياقوت الحموي، معجم البلدان،
- (200) - نهاية المماليك ودخول العثمانيين إلى الشام (الرؤية المصرية) - من بدائع الزهور في وقائع الدهور - لابن آياس -
- (201) - كليات - كارل ماركس. مجلد /9/.
- (202) - بكائيات شركسية عن التهجير من الموروث الثقاي في الشركسي.

المحتوى

5	اهداء
7	البحث وأهميته
7	مشكلة البحث
8	أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى تحقيق الآتي
11	مقدمة المؤلف
17	الباب الأول: سياسة الإبادة والتهجير والتوطين في الدولة العثمانية منذ القدم.....
19	الفصل الأول:التهجير والتوطين في ولايتي حلب وسورية أثناء الحكم العثماني لهما
19	المبحث الأول
19	تمهيد
26	المبحث الثاني: الإمارات الحدودية الشمالية التي كانت تتبع للدولة الشركسية
30	المبحث الثالث: دفاع سلاطين الشراكسة عن وحدة الأراضي في دولتهم وخاصة في الجزء الشمالي السوري منها ضد العثمانيين
40	المبحث الرابع: مذابح الأتراك العثمانيين ضد الشراكسة والعرب بعد دخولهم بلاد الشام ومصر والعراق
61	المبحث الخامس: العثمانيون كانوا من رواد الإبادة والتهجير السكاني والتوطين
66	المبحث السادس: سياسة الإسكان العثماني في الشمال السوري وخاصة في ولاية حلب، والرقعة، وحماة، وحمص.....
77	الفصل الثاني: توسع العثمانيين في سياستهم الإسكانية وأخذوا بتفريغ الأوطان الأخرى
77	المبحث الأول: [الشركس - التعريف والتسمية]
79	الموطن
81	السكان
81	الحياة الاقتصادية
82	تاريخ: الشركس ما قبل التاريخ - تاريخ قديم - عصور وسطى - عصر حديث
83	الحرب الروسية - الشركسية
84	الشراكسة في الشتات
84	الشراكسة والإسلام
86	اللغة والأدب والمسرح
87	الفنون (الموسيقى - الرقص - الفلكلور والتصوير)
90	المبحث الثاني: العثمانيون يعملون على تهجير شعوب لا يحكمونها
100	المبحث الثالث: العثمانيون يوطنون قبائل وشعوب في أراضي غيرهم
108	المبحث الرابع: العثمانيون يتآمرون على تهجير تسعة أعشار الأمة الشركسية ...

المبحث الخامس: بعد وصول الشراكسة إلى تركيا صدمهم الواقع فيها	124
المبحث السادس: تهجير وتوطين الأمة الشركسية في البلقان والأناضول.....	139
المبحث السابع: من أهداف الدولة العثمانية في توطين الشراكسة	144
المبحث الثامن: من مصائب التهجير	157
المبحث التاسع: إعادة تهجير الشراكسة المهجرين إلى البلقان	163
- أضواء على تهجير الشركس من وإلى البلقان	169
المبحث العاشر: تهجيرات لاحقة للتهجيرين الكبيرين.....	177
المبحث الحادي عشر: الوثائق المنشورة المتعلقة بإعادة تهجير الشراكسة ضمن الدولة العثمانية.....	190
الفصل الثالث: تهجير الشراكسة إلى سورية الطبيعية بشكل عام.....	195
المبحث الأول: البدايات الأولى لإسكان الشراكسة في بلاد الشام	195
المبحث الثاني: بعض ما نشر في صحيفة سورية وغيرها عن المهجرين الشراكسة في الأردن وسورية	206
من أقوال العلامة أحمد وصفي زكريا عن الشركس	207
المبحث الثالث: تهجير الشركس إلى فلسطين العربية.....	219
1 - الوجود الشركسي في فلسطين العربية.....	231
2- نزول الشركس في / غابة الشركس/ أو خربة الشركس في فلسطين.....	231
المبحث الرابع: بعض أهداف الدولة العثمانية من إسكان الشراكسة في بلاد الشام	239
- حول إسكان الشركس بوادي السير و عمان	248
المبحث الخامس: موجات أخرى من المهجرين الشراكسة إلى سورية الطبيعية ...	262
- ملامح إحصائية للسكان الشراكسة	263
الباب الثاني: سياسة الإبادة والتهجير والتوطين من قبل ورثة الدولة العثمانية ...	265
الفصل الأول: جمهورية تركيا تستمر في سياسة الإبادة والتهجير والتوطين	267
المبحث الثاني: إعادة تهجير /14/ قرية شركسية في تركيا من قبل أتاتورك.....	271
المبحث الرابع: حقائق على استمرار المطاعم التركية في الأراضي السورية.....	278
المبحث الخامس: ميثاق الأمم المتحدة حول الإبادة الجماعية	294
الباحث والمؤرخ: عدنان محمد مصطفى قبرطاي في سطور	301
ثبت المصادر والمراجع.....	309

الإبادة والتهجير والتوطين في الدولة العثمانية وورثتها/
عدنان محمد مصطفى قبرطاي. - دمشق: اتحاد الكتاب العرب،
2020. - ج1 (324ص)؛ 25سم. - (سلسلة الدراسات؛ 3)

1 - 909.049996 ق ب ر إ 2 - 953.03 ق ب ر إ
3 - العنوان 4 - قبرطاي 5 - السلسلة
مكتبة الأسد